١٨٩-١٩٠

العَرَب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريـالات

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩ و١٠ س ١٦ — الربيعان ١٤٠٢ هـ كانون ٢ شباط (يناير / فبراير) ١٩٨٢م

ملامح للتراث المغربي عن جزيرة العرب

[دعي صاحب هذه المجلة لحضور اللقاء العلمي الذي أقامته وزارة الشؤون الثقافية في المملكة المغربية في مدينة الرباط فيا بين ٢١ و٢٥ من شهر المحرم سنة ١٤٠٢هـ (١٩/٢٣/١١/١٩٨١م) عن (تاريخ الأندلس وآثار أبي مروان بن حيّان).

وقد كانت الأبحاث التي قدمت أو ألقيت ونوقشت شاملة ، بحيث تناولت جوانب عامة من النواحي الثقافية في الأندلس وبلاد المغرب بصفة عامة . وقد شارك بإلقاء هذا البحث عن (ملامح للتراث المغربي عن جزيرة العرب) في صباح يوم الاثنين ١٤٠٢/١/٢٥هـ .]

الحديث عن علماء المغرب — أندلسِهِ وأقصاه ، ووسطِهِ وأدناه — وعن أثرهم في الثقافة العربية ، أوسعُ من أن يُحَدَّ أو يحصر.

فما الثقافة العربية في معناها الشامل — سوى صَرْحٍ شارك في بنائه كلُّ عالم عربي ، في أيِّ قطر من أقطار المعمورة ، في مختلف العصور.

ولعلماء المغرب من الأثر القوي في تشييد ذلك الصرح ، ما لا يحتاج إلى إيضاح .

وليس يصح في الأذهان شَيءٌ ‏ ‏ ‏ إذا احتاج النهارُ الى دَلِيلِ

وحسبي أن ألمح — بإيجاز — الى ملامحَ بارزةٍ من آثار أولئك العلماء في جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة وجغرافيتها .

عزلة الجزيرة بعد انتقال قاعدة الخلافة عنها :

انصرف العلماء وغيرهم عن جزيرة العرب منذ أن انتقلت منها الخلافة ، وبانتقال

الخلافة والسلطان والدولة تنتقل الرغبات ، وتتجه الأبصار ، وتتركز الآمال حيث يوجد المُلْكُ والسلطان ، اللذان بهما تتيسر سبل الحياة ، وتحصل الطمأنينة والهدوء في كنفهما .

ومع ذلك الانصراف فإنَّ لمكة المكرمة في نفس كل مسلم من المكانة الدينية ما جعلها دائماً مطمح الأنظار ، ففضلاً عن كونها تضم مشاعر الحج ، وتحوي بيت الله المعظم الذي فرض الله على كل مسلم قادر حجَّهُ — فهي ملتقى للمسلمين من مختلف أقطارهم ، وهي بحكم دينهم الحنيف لا يمكن أن ينصرفوا عنها .

مكة أعظم ملتقى فكري إسلامي :

ولهذا فقد أصبحت منذ جاء الإسلام مركزاً للثقافة الإسلامية العربية ، يجتمع فيها من العلماء كلَّ عام ما لا يجتمع في أية مدينة أخرى من مدن العالم الإسلامي .

وكان العلماء منذ العصور الأولى يقصدونها من مختلف الأقطار ، لا ليُؤدُّوا ركناً من أركان دينهم أداؤه فرضٌ فحسب ، بل ليضيفوا إلى ذلك التزود بزاد العلم والمعرفة . فالعالم يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب ، فيلتقي بكثير من العلماء الوافدين من بلاد بعيدة عن بلاده فيحصل بهذا الالتقاء من التقارب والتفاهم ، والاستزادة من العلم ، والامتداد لروافد الثقافة ، والانتشار للآراء والأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية في كل عام ، ما لا يحصل مثله في أيِّ ملتقى .

تبريز علماء المغرب على غيرهم :

ولقد كان علماء الأندلس رسل فكر ، وحملة علم ، وحُماة ثقافة . فكانوا يفدون على مكة لا للحج وحده ، بل لينشروا العلم ، وليستزيدوا منه ، وليكونوا صلةً بين شرق البلاد وغربها بالعلم والثقافة .

ولهذا فليس من الغريب القول بأنه لولا أولئك العلماء لأصبحنا نجهل كثيراً من أحوال العالم الإسلامي في عهوده الماضية ، وخاصة ما يتعلق بجزيرة العرب ، هذه الجزيرة التي صلتها بعواصم الخلافة الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة كانت أقوى

وأوثق ، وهي إليها أقرب ، وشؤونها لم تكن يوماً ما مرتبطة إلا بهذه العواصم ، ولم يكن للأندلس ولا للدول الإسلامية فيه أي نفوذ في هذه الجزيرة .

ولكنّ الرابطة الروحية وحدها أقوى وسائل الصلات ، وأوثق أسباب الروابط . أفترى هذه الرابطة القوية لدى علماء المغرب أقوى منها لدى المشارقة ؟!

إذا صحّ الاستدلال بالآثار — وهذا بدَهيٌّ الصحة ، ولا مجال للمجاملة في سبيل تقرير الحقيقة — فإن علماء المغرب برَّزوا — على علماء المشرق — بما كتبوه عن الجزيرة في رحلاتهم للحج ، بل بزُّوهم في هذا الميدان . مما سأُلمِع إلى طرف من الحديث عنه ، مما هو معروف .

ولا يزال الباحثون في ماضي الجزيرة — وسيبقون دائماً — عالة في معرفة كثير من أحوالها على ما لعلماء الأندلس من آثار ، كشف الدارسون عن بعضها في هذا العصر ونشروه ، من مؤلفات أولئك العلماء ، كابن أنس العذريّ ، وأبي عُبَيْدٍ البكري ، والشريف الإدريسيّ وغيرهم .

علماء من الجزيرة عرفوا في الأندلس قبل أن يعرفوا في بلادهم :

ولعل أعجب من ذلك وأغرب أن الجزيرة نفسها جهلت من أحوال بعض مشاهير علمائها ما عرفه علماء الأندلس .

وها هي أمثلة عرضت لي أثناء البحث الذي لم أُحاول فيه الاستقصاء من هذه الناحية ، ولا شكّ أنه قد عرض لغيري ممن هو أوسع اطلاعاً ، وأطولُ باعاً في العلم وسعة البحث ، من ذلك الكثير :

١ — مؤرخ مكة الفاكهي :

في القرن الثالث الهجري تصدّى لتدوين تاريخ مكة عالم جليل من أهلها هو محمد بن اسحاق الفاكهي[1] ، وهو معاصر لمؤرخ مكة الأزرقي ، ولكنه أعلم منه ، وتاريخه أوفى وأشمل ، قال عنه مؤرخ مكة الفاسيُّ الحَسَنيُّ (٨٣٢هـ) في كتابه «العقد الثمين»[2] في ذكر الكتب التي رجع إليها : (وكتابه في أخبار مكة وما أكثر فوائده) وقال

في ترجمته[٣] : (وكتابه في أخبار مكة كتاب حسن جداً ، لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة ، وفيه غنية عن كتاب الأزرقي ، وكتاب الأزرقي لا يغني عنه ، لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة ، مفيدة جداً ، لم يذكرها الأزرقيُّ ، وأفاد في المعنى الذي ذكره الأزرقي في أشياء كثيرة ، لم يفِدْها الأزرقي — إلى أن قال : وإنّي لأعجبُ من إهمال العلماء لترجمته ، فإنَّ كتابه يدلُّ على أنه من أهل الفضل . فاستحق الذكر . انتهى .

هذا المؤرخ الذي يدل ما وصل إلينا من كتابه على جلالة قدره ، لا نجد له ذكراً فيما بين ايدينا من مؤلفات علماء المشرق ، إلا من زمن ياقوت الحموي في القرن السادس فما بعده ، إن لم يكن بَعْدَ زمن ياقوت ، إذ لا أستبعد أن يكون نقلُ ما نقل عن الفاكهيِّ بالواسطة ، ومن مؤلفات أندلسية ، فهو كثيراً ما يهمل ذكر مصدره ، ويدلُّ على هذا أنه صرَّح في أحد المواضع بنقله عن السهيلي في «شرح السيرة» وذكر الحُمَيْديَّ في موضع آخر .

وهنا ملاحظة جديرة بالانتباه هي أن السُّهيلي في كتابه «الروض الأُنف» يعوِّل في أخبار مكة على كتاب الأزرقي ، ولم أر لما نسب ياقوت إليه ذكراً ، مع تصريحه بأنه نقل عن السهيلي في شرح السيرة في كلامه على (واسط) في «معجم البلدان» بهذا النص : قال السهيليُّ في شرح السيرة : قال الفاكهيُّ : يقال إن أول من شهده وضرب فيه قبةً خالصة مولاة الخيزران . انتهى وهو يعني واسطا الوارد في شعر عَمرو بن الحارث بن مُضاضٍ الجرهمي الذي منه :

كأن لم يكن بين الجُحُون إلى الصفا أنيس لم يسمر بمكة سامر

وقد أورد ابن هشام في أول السيرة في الكلام على جرهم هذا الشعر .

أما علماء الأندلس فقد عرفوا الكتاب في زمن مبكر ، كما تدل على ذلك النصوص الواردة في بعض مؤلفاتهم ككتاب «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكريِّ (المتوفي ٤٨٧ هـ) ، و«فهرست ابن خير الأشبيلي (٥٧٥ هـ)[٤] وغيرهما .

٢ — أبو علي هارون بن زكريا الهجري[٥] :

وهذا عالم جليل ، يصح بأن يوصف بأنه عالم الجزيرة في عصره ، فقد تصدَّى

لتدوين ما يتعلق بها مما يهم الباحث معرفته ، من مختلف أحوال سكانها ، ووصف مواضعها وحَدّدها ، وذكر حيواناتها وطبائعها وأمراضها وطرق علاجها ، وأورد من لهجات سكانها وأشعار شعرائها في العصر الذي عاش فيه ما لم يورده غيره .

ومع جلالة قدر هذا العالم بصنيعه الذي يكاد أن ينفرد به ، فقد كان جَهْلُ علماء المشرق به مُطبِقاً ، لولا ما وصل إليهم من علمه عن طريق علماء المغرب ، الذين عرفوه حياً ، ونقلوا مؤلفاته الى بلادهم فاستفادوا منها وأفادوا .

في سنة ٢٨٨ قدم مكة عالمان جليلان ، هما ثابت بن حزم ، وابنه قاسم بن ثابت ، من أهل سرقسطة (سراقوسة الآن) وصفهما صاحب « نفح الطيب » بأنهما اعتنيا بجمع اللغة ، وأدخلا الى الأندلس علماً كثيراً ، وقد ألّف قاسم كتاب « الدلائل » في غريب الحديث ، ومات سنة ٣٠٢ هـ قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت الذي توفي بعده سنة ٣١٣ عن خمس وتسعين سنة .

وفي كتاب « الدلائل » الذي بدىء بتأليفه على رأس القرن الرابع الهجري تبدو لنا أول الشواهد على صلة علماء الأندلس بأبي عليّ الهجري .

ثم كثرت النقول في كتب الأندلسيين اللغوية والجغرافية والتاريخية .

فنَقل اللغوي العظيم علي بن سيده (٤٥٨ هـ) في معجميه « المحكم » و « المخصص » وأبو عبيد البكري (٤٨٧) في « معجم ما استعجم » [٦] وفي « فصل المقال » وجاء بعدهما الرُّشاطيُّ — عبدالله بن علي اللخميّ (٥٤٢) فألف كتاب « اقتباس الانوار » [٣] في الأنساب فاستفاد كثيراً مما جمعه الهجريُّ .

وبواسطة علماء الأندلس عرف علماء المشرق طرفاً يسيراً من أحوال الهجريّ ، بحيث لم تَزِدْ ترجمته في مؤلفاتهم « كمعجم الادباء » للحموي و « الوافي بالوفيات » للصفدي و « بغية الوعاة » للسيوطي — لم تزد على القول : هارون بن زكريا الهجريُّ أبو عليٍّ صاحب كتاب « النوادر المفيدة » روى عنه ثابت بن حزم السرقسطيُّ وغيره ، ويضيف ياقوت : ولا أعلم من أمره غير هذا .

أما الصفدي فإضافته : لقيه قاسم بن ثابت بالمغرب ، ولقيه غيرهما بالمشرق ، كذا

قال وقاسم لقي الهجري بمكة كما تقدم ، ولم أر من ذكر أنَّ الهجريَّ رحل إلى المغرب ، ولكن نوادره وتعليقاته عرفت بين علماء تلك البلاد ، فنقلوا عنها ما تَلَقَّفه المشارقة عنهم .

وقد يكون من بين المشارقة من عرف شيئاً عن الهجري كعلي بن حمزة البصري (٣٧٥ هـ) صاحب كتاب « التنبيهات » والهمداني اليمني في « صفة جزيرة العرب » حيث نقل أولهما عن الهجريِّ مصرحاً ، ونقل الثاني بدون نسبة ما نقل ، مما هو موجود في كتاب الهجري .

ومهما يكن الأمر فإنَّ الهجريَّ برز في مؤلفات الاندلسيين في صورة متميزة السمات ، من حيث الاستفادة من علمه ، والنقل عن كتابه « النوادر والتعليقات » . بينما لا يجد الباحث في مؤلفات علماء المشرق عنه سوى نتفٍ يسيرة باستثناء ما نقله مؤرخ المدينة السمهودي في كتاب «وفاء الوفاء» في الكلام على الاحماء ، وفي تحديد بعض المواضع ، المضافة الى المدينة .

ونقَلْ السمهودي عن كتاب الهجري ، « النوادر والتعليقات » كان في القرن التاسع الهجري أي بعد أن عرف الاندلسيون الهجريَّ بخمسة قرون .

٣ ــ الحسن بن أحمد الهمداني العالم المعروف :

وهذا العالم لقي في بلده أقسى صنوف الأذى من جرَّاء بعض آرائه ، فلم يُكتَفَ بالتنفير من مؤلفاته التي تحوي تلك الآراء ، بل عُذِّب وسُجن مرارا ، وطيف به مصفَّداً بالأغلال ، وشُرِدَّ ما يقرب من سنتين ، ونسب إليه من التَّطَرُّف في أفكاره ما نَفَّر الأقربين منه ، ولكن هذا كُلَّهُ لم يَحُلْ دون اهتمام علماء الأندلس به ، اهتماماً حملهم على نقل مؤلفاتِهِ الى بلادهم والاستفادة منها في حياته .

لا محل للحديث عن مكانة الهمداني ، فقد عُرِف منذ زمن بمؤلفاته «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» وكتاب «الجوهرتين» وغيرها .

وأقيمت ندوة عامة بمناسبة ذكراه الألفية في صنعاء في الشهر الماضي ، شارك فيها علماء من العرب والمستشرقين ، وقد تناولوا في أبحاثهم جوانب حياة ذلك العالم ، سوى

جانب كان جديراً بأن يثير الانتباه ، وهو أنَّ علماء الأندلس كانوا أبرَّ بذلك العالم ، وأشَدَّ حفاوةً به من علماء المشرق . إذا كان البِرُّ والحَفَاوة يقاسان بمدى الاهتمام بآراء العلماء ، والاستفادة بالنافع منها .

إنَّ أقْدَم من كتب عن الهمداني — مما هو معروف — الحكم المستنصر بالله ، الذي تولى الحكم في الاندلس سنة ٣٥٠ — وتوفي سنة ٣٦٦ — والحكم — رحمه الله — كان محبا للعلماء ، مقرباً لهم جماعا للكتب .

وقد نقل صاعد الأندلسي (٤٦٢ هـ) في كتابه «طبقات الأمم» عن خط الحكم طرفا من الترجمة التي أوردها مفصلة للهمدانيِّ ، وأتى فيها بأشياء عن هذا العالم ، لا تزال بحاجة إلى الدراسة منها قوله عن العرب : وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله منه شيئاً ، ولا هيَّأ طباعهم للعناية به . ولا أعلمُ أحداً من صميم العرب شُهِر به إلاَّ أبا يوسف يعقوبَ بن إسحاق الكنديَّ ، وأبا محمد بن الحسن بن أحمد الهمداني . انتهى .

لقد عُرِفت كتب الهمداني وانتشرت في الأندلس في عهد الحكم المستنصر بالله ، وهو عصر الهمدانيِّ نفسه ، في القرن الرابع الهجريِّ ، واستفاد منها علماء تلك البلاد ، وأكثروا النقل عنها في مؤلفاتهم ككتاب «معجم ما استعجم» للبكري ، وكتاب «المطرب في أشعار أهل المغرب»(٧) لعمر بن الحسن بن دِحْيَة الكَلْبي (٥٤٤/ ٦٣٣) وغيرهما .

أما علماء المشرق — على ما علمتُ — فلم يعرفوا الهمداني معرفة استفادة إلاَّ بعد أن عرفه الاندلسيون بما يقرب من ثلاثة قرون ، فقد تولى يوسف بن ابراهيم والد القفطي المؤرخ على بن يوسف المتوفي سنة ٦٤٦ — القضاء في اليمن ، فاقتنى من مؤلفات الهمداني ما وصل الى ابنه ، مما ذكره في كتابيه «إنباه الرواة» و«أخبار الحكماء» .

وعن القفطي — ومن عاصره من العلماء — عرف الهمداني لدى علماء المشرق . أما معرفته في بلاده — اليمن في القديم — فكانت تحاط بما يُنَفِّرُ من مطالعة كتبه ، وماذا تجدي هذه المعرفة ؟!

مصادر مغربية عن الجزيرة لم تدرس بعد :

رحلات الحج :

المتحدث في هذه الندوة عما ألفه علماء المغرب من كتب الرحلات كمن يُهْدي التمر إلى هَجر ، فعلماء هذه البلاد أدرى من غيرهم بها ، ولعل الأستاذ الجليل الشيخ محمد الفاسي هو ابنُ بَجْدَةَ هذا الأمر ، فقد تصدَّى لدراسة تلك الرحلات ، دراسة تعمق واستيعاب ، حتى أصبح من ذوي الاختصاص في هذا الباب .

وحسبي أن أُشير إلى بعض الانطباعات الباقية في ذهني من أثر مطالعة كثير من رحلات علماء المغرب إلى مكة ، فقد جمعت طائفةً منها ، ولخصت ما يتعلق بالجزيرة فيها ، ونشرته في مجلة «العرب» .

ليست رحلتا ابن بطوطة وابن جبير — على جلالة قدرهما — يُمِدَّان الباحث بفكرة كاملة عما تحويه غيرهما من رحلات علماء المغرب ، مما يتطلع اليه الدارسون لمختلف أحوال غرب الجزيرة ، من معلومات وافية .

وليس من المبالغة القول بأنَّ في رحلات ابن رُشَيْد الفهري والتُّجيبي والعَبْدريِّ والعيَّاشي والدَّرعِيَّين أَحْمَد بن ناصر ، ومُحَمَّد بن عبد السلام ، ومن بعدهم الى نهاية القرن الثالث عشر الهجري في تلك الرحلات ما يعتبر من أوفى المصادر وأشملها وأوثقها في دراسة كثير من أحوال المدينتين الكريمتين مكة والمدينة ، من ثقافية واجتماعية واقتصادية . وهذا ما لم أر أحداً من الباحثين اتجه له باعتبار تلك الرحلات تُكَوِّنُ وِحْدَةً متكاملة في موضوعها .

أما عَنْ وصف طريق الحج البريِّ الساحلي من القاهرة حتى مكة المكرمة وتحديد منازل ذلك الطريق ، وذكر أهلها ، ففي تلك الرحلات من المعلومات ما لا يوجد في غيرها من حيث الاستيفاء ودقة الوصف .

وعلى ذكر رحلات الحج ، تحسن الإشارة الى أنَّ من أقدم من كتب في وصف منازل الحجاج من الأندلسيين — فيما أعلم صاحب كتاب «نظام المرجان» ، في مسالك

البلدان ، أحمد بن عمر بن أنس العذريُّ الأندلسيُّ (٣٩٣/ ٤٧٨ هـ)[٨] وكان قد جاور بمكة بضع سنين — من سنة ٤٠٨ الى سنة ٤١٦ .

ومع أن كتاب العذريِّ لم يصل إلينا كاملاً إلاَّ أنَّ كثيراً من نصوصه وردت في مؤلفات البكريّ والإدريسي والحِمَيريّ صاحب «الروض المعطار» .

وفي القرن التاسع الهجري اطلع عالم مشرقيٌّ هو محمد بن محمد بن العطار[٩] على ذلك الكتاب ، فنقل منه جملاً مفيدة في كتابه «منازل الحج» منها :

١ — وصف الطريق بحرا من جدة الى القلزم .

٢ — ذكر المنازل من بغداد الى مكة .

٣ — ذكر المنازل من مكة الى اليمن .

ومن تلك الجمل ما ورد ذكره في المؤلفات المشار إليها .

* * * * *

وبعد : فما أراني قلت جديداً ، أو تحدثت مفيداً ، في هذه الندوة الكريمة التي ضمت نخبة طيبة من العلماء ، وما طمحت إلى ذلك أو فكرت فيه .

ولكنها كلمةُ وفاءٍ واعتراف بفضل ، وتعبير عن صدق التقدير لهاؤلاء الأحباب ، من علماء هذه الرحاب الكريمة ، ممن أفضلوا بالدعوة للالتقاء بهم ، لِتَنَسُّم إثارة عِلم تلقوها عن سلفهم الصالح ، فحفظوها وصانوها ، بل نَمَّوها وزادوها ، ثم أكرموا إخوانهم — وفيهم من هو الى الاستفادة والاستزادة أحوج — فأوجدوا من جمعهم في هذه الندوة من الأسباب ما يقوي أواصر الأُخُوَّة ، ويُحْكم روابط المحبَّة . فلهم الفضلُ أولاً وآخراً :

على حد قول الإمام الشافعي :

قالوا : يزورك أحمد وتزوره ... قلت : الفَضَائل لا تفارق مَنْزله

إنْ زُرْته فلفضله ، أو زارني ... فبفضله ، فالفضل في الحالين له

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرياض ... حمد الجاسر

الحـواشي : ←

من وحي ندوة ابن حيّان

[وممن شارك في اللقاء العلمي الذي أقامته وزارة الثقافة عن مؤرخ الأندلس ابن حيّان ـــ الأستاذ الدكتور عبدالله الغُنيم ، عميد (كلية الآداب في جامعة الكويت) .
وقد ألقى هذه الكلمة القيّمة حول ما قُدِّم أو ألقي أو نوقش من آراء وأفكار ذات صلة بالموضوع] .

من وحي الندوة :

أَتَقَدَّمُ بالشكر الجزيل للمغرب الشقيق ، ولوزارة الثقافة على هذا اللقاء الطيب ، الذي جمعنا حول أبي مروان ابن حيَّان والذي كان كما تبيّن لنا من الجلسات السابقة ـــ مناظرة علمية ممتازة ، جلَت جوانب مختلفة من حياته ، ومنهجه وأسلوب كتابته والفوائد المتحصلة والمرتجاة من النصوص التي وصلت إلينا منه .

---

(١) أنظر عنه مجلة «العرب» السنة الثامنة من ص ٨٠١ إلى ص ٨٠٣ .

(٢) ٩/١ .

(٣) ج ١ ص ٤١٠

(٤) ٢٧٩

(٥) أنظر عنه كتاب «أبو علي الهجري» وأبحاثه في تحديد المواضع» تأليف حمد الجاسر ـــ منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

(٦) صرح البكري بالنقل عن الهجري في مواضع ولكنه نقل من كتابه فصلاً طويلاً عن (حمى ضرية) نسبهُ للسكوني ، ولا شك أن السكوني هذا نقل كلام الهجري بنصه ، كما نجده في كتاب «وفاء الوفاء» كاملاً منسوباً إلى الهجري .

(٧) من هذا الكتاب قطعتان إحداهما في (مكتبة الأزهر) في القاهرة والأخرى في (خزانة الكتب العامة) في تونس .

(٨) أنظر عن الهمداني ما كتبه حمد الجاسر عنه في مقدمة كتاب «وصفة جزيرة العرب» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

(٩) أنظر الورقة الـ٤٩ من مخطوطة المتحف البريطاني ، والكتاب مطبوع .

(١٠) أنظر مجلة «العرب» السنة الثانية عشرة صفحة ٣٢٣ وما بعدها .

(١١) عن الاختلاف في تاريخ وفاة ابن العطار أنظر «العرب» أيضاً س ١٢ ص ٣٣٦ .

من وحي ندوة ابن حَيّان

[وممن شارك في اللقاء العلمي الذي أقامته وزارة الثقافة عن مؤرخ الأندلس ابن حيّان ــ الأستاذ الدكتور عبدالله الغنيم ، عميد (كلية الآداب في جامعة الكويت) .
وقد ألقى هذه الكلمة القيّمة حول ما قُدّم أو ألقي أو نوقش من آراء وأفكار ذات صلة بالموضوع] .

من وحي الندوة :

أتَقَدَّمُ بالشكر الجزيل للمغرب الشقيق ، ولوزارة الثقافة على هذا اللقاء الطيب ، الذي جمعنا حول أبي مروان ابن حيّان والذي كان كما تبيّن لنا من الجلسات السابقة ــ مناظرة علمية ممتازة ، جلّت جوانب مختلفة من حياته ، ومنهجه وأسلوب كتابته والفوائد المتحصلة والمرتجاة من النصوص التي وصلت إلينا منه .

---

(١) أنظر عنه مجلة «العرب» السنة الثامنة من ص ٨٠١ إلى ص ٨٠٣ .

(٢) ٩/١ .

(٣) ج ١ ص ٤١٠

(٤) ٢٧٩

(٥) أنظر عنه كتاب «أبو علي الهجري» وأبحاثه في تحديد المواضع» تأليف حمد الجاسر ــ منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

(٦) صرح البكري بالنقل عن الهجري في مواضع ولكنه نقل من كتابه فصلاً طويلاً عن (حمى ضرية) نسبه للسكوني ، ولا شك أن السكوني هذا نقل كلام الهجري بنصه ، كما نجده في كتاب «وفاء الوفاء» كاملاً منسوباً إلى الهجري .

(٧) من هذا الكتاب قطعتان إحداهما في (مكتبة الأزهر) في القاهرة والأخرى في (خزانة الكتب العامة) في تونس .

(٨) أنظر عن الهمداني ما كتبه حمد الجاسر عنه في مقدمة كتاب «صفة جزيرة العرب» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

(٩) أنظر الورقة الـ٤٩ من مخطوطة المتحف البريطاني ، والكتاب مطبوع .

(١٠) أنظر مجلة «العرب» السنة الثانية عشرة صفحة ٣٢٣ وما بعدها .

(١١) عن الاختلاف في تاريخ وفاة ابن العطار أنظر «العرب» أيضاً س ١٢ ص ٣٣٦ .

وأرجو أن تسمحوا لي بثلاث ملاحظات في هذا الموضوع ، أفدتها من قراءة نصوص ابن حيّان ..

الملاحظة الأولى :

شاع بين الباحثين أن أبا عُبَيد البكريَّ قد ولد عام ٤٣٢ هجرية ، ذكر ذلك جاينجوس وبالنثيا ، ونقله عدد من الكتاب العرب . وينقضُ هذا القول وصفُ ابن حيان لأبي عُبَيد البكري عند قدومه مع والده الى قرطبة عام ٤٤٣ هجرية بأنه فتىً بذّ الأقران جمالاً وبهاءً وسروراً وأدباً .

ولا يعقل أن يشهد ابن حيّان مثل هذه الشهادة لغلام لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره .

والفتى في لغة العَرب هو الكامل الجزل من الرجال ، وعلى ذلك فإن سنّه حينذاك بين العشرين والثلاثين ، ومولده ما بين سنتي ٤١٣ هـ و٤٢٣ هـ .

وقد توقّف دوزي عند هذا الموضوع وآزره الدكتور حسين مؤنس في كتابه «تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس» وأضاف الى ذلك قوله : (ثم إنَّ الآراء متّفقة على أنَّ أبا عُبيد البكريَّ توفي سنة ٤٨٧ هـ عن سنٍّ عالية ، فإذا كان قد ولد سنة ٤٣٢ هـ فقد كانت سنُّهُ يوم توفي ٥٥ سنة على هذا الحساب ، وهي ليست بالسِّن العالية .

ثم أورد الدكتور مؤنس نصَّ ابن خاقان عن البكريِّ الذي يقول في ترجمته له : (رأيته وأنا غلام ما أقر هلالي ولا نبعَ في الذكاء كوثري ولا زُلالي في مجلس ابن منظور في هيئةٍ كأنما كُسِيَتْ بالبهاء والنور ، وله سبَلَةٌ كأنّها يُروق العَين إيماضُها ، ويفوق السَّواد بياضها ، وقد بلغ سنَّ ابن علّم أي أنَّ أبا عُبَيد كان في الثمانين حينما كان ابنُ خاقان غلاماً .

ولم يحاول الدكتور مؤنس أن يذهب الى أكثر من ذلك في تحديد زمن ولادة البكري ووفاته . وأنا اذ اتفق فيما يتعلق بزمن ولادته أختلف معه في قوله : (إنَّ الآراء مجمعة على أنَّ أبا عُبَيد البكريَّ توفي سنة ٤٨٧ هـ) فالضَّبيُّ صاحب بغية الملتمس يقول غير ذلك . ويؤكده نصُّ ابنُ خاقان الذي أشار إليه مؤنس دون أن يستخدمه استخداماً كاملاً ..

فالمعروف أن ابن خاقان من مواليد عام ٤٨٠ هـ ، فلو فرضنا أنه التقى بالبكريّ حين كان عمره عشر سنوات لكانت السنة التي رآه فيها هي سنة ٤٩٠ هـ وسنُّ البكري حينذاك ثمانون سنة . وهذا يخالف ما ذهب إليه أغلب الباحثين بأن البكريَّ قد توفي عام ٤٨٧ هـ ، ومعتمدهم في ذلك ابن بشكوال وابن الأبّار .

والذي أرجّحُهُ ما تفرّد بذكره الضّبيُّ في « بغية الملتمس » أنَّ البكري قد توفي عام ٤٩٦ هـ . وإذا سلمنا بذلك يمكن القول أنَّ ولادته كانت سنة ٤١٠ هـ على وجه التقريب .

الملاحظة الثانية :

يقول الدكتور محمود مكيّ في كلامه عن تلاميذ أبي حيّان في مقدمة كتاب « المقتبس » (يبدو أنَّ البكريَّ لازم ابن حيّان خلال إقامته في قرطبة ، بل لعلَّ شيخه أبا مروان هو الذي وجّهه إلى الاشتغال بعلم الجغرافيا الذي كان وثيق الارتباط بكتابة التاريخ .

وأرى أنَّ هذا القول لا مُبرِّر له .. فالمعروف أنَّ ابن حيان ليس جغرافياً ، كما سيأتي في الملاحظة الثالثة ـــ وأنَّ البكري قد استفاد في مجال الجغرافيا من أبي العباس أحمد بن عمر العذري ، الذي التقى به في (المرية) وأجاز له ، وفي (المرية) ربما استفاد من جغرافيٍّ معاصر آخر ، هو أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفيّاض (٣٧٩ ـــ ٤٥٩ هـ) الذي ذكر عبد الواحد المراكشيُّ أنَّ له كتاباً يدخل في باب المسالك والممالك .

والصلة بين العُذريِّ والبكريِّ واضحة ، في النصوص التي رواها البكريُّ عن العُذريِّ في كتاب « المسالك » ، وفي المنهج العام لكتابيهما ، كما يظهر في الأسلوب الذي لم يتأثر إطلاقاً بأسلوب ابن حيّان .

ومن هنا لا نريد أن يدفعنا الحماس لشخصية علمية ما ، بأن نَنسِبَ إليها ما ليس لها ، كما فعل الأستاذ الدكتور مكي ، في دراسته القيّمة عن ابن حيان .

الملاحظة الثالثة :

يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه « تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » :

«إنَّ من العسير أن نفصل بين المؤرخ والجغرافي والأديب في تاريخ الفكر الإسلامي . ولو تناولنا كتاباً أدبياً صِرفاً كـ «البيان والتبيين» للجاحظ ودرسناه دراسة تدقيق ، لاستخرجنا منه من المعلومات التاريخية الصِّرفة والملاحظات الجغرافية الخالصة ما يَضَعُ أبا عثمان بن بَحْرٍ في صفوف المؤرخين والجغرافيين» .

.. هذه قضيَّة روَّجها من قبل المستعرب الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي ، في كتابه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» ، وزادها الدكتور بسطة في الشكل والتأكيد ، حتى وضع ابن حيان في عِداد الجغرافيين ، لأنه تكلم في ثنايا تأريخه عن جَسْر قرطبة ومساجدها ودورها وحماماتها ، فحمل ذلك الدكتور مكي على الظَّنِّ بأنَّ ابن حيَّان هو الذي وَجَّهَ البكريَّ الى الاشتغال بعلم الجغرافيا .

وهذه القضية توجب علينا التَّوقُّف والتَّأنِّي قبل إصدار هذا الحكم ، فنحنُ لا نستطيع أن نُقِيْمَ أيَّة علاقةٍ بين الجغرافيا وأي علم آخر عند الاصطخري وابن حوقل ، والمقدسي والإدريسي وابن سعيد المغربي ، وأبي الفداء صاحب حماة وغيرهم ، فميدان علم البلدان واضح ومُمَيَّز منذ القرن الثالث الهجري .

وإذا ما وجدنا كتاباً يحتوي على معلومات جغرافية وتأريخية ، مثل كتاب «المالك والمسالك» للبكري ، فينبغي أن يكون حكمنا في هذا هو بناء الكتاب ، فالمعلومات التاريخية في كتاب البكري تأتي عَرَضاً ، واذا ما انتزعنا تلك المعلومات يظلُّ بناء الكتاب متكاملاً غير مُختلٍّ .. وينصرف هذا الحكم أيضاً على كتاب «نظام المرجان» للعذري .

هذه مجرد ملاحظات عابرة من وحي هذا اللقاء المثمر حول تاريخ الأندلس وحياة وآثار أبي مروان ابن حيان ، راجياً ان تنال هذه الملاحظات عناية المهتمين بتاريخ الأندلس وآثاره الأدبية والفكرية .

دكتور عبدالله الغنيم

حول نوادر الهجري :

(الدكاترة) : وَالعَبَثُ بِالتُّراث !!

— ٣ —

٢٤٤ — ص ٢٢٨ — :

تَغَبَّشَتهُ الدَّيَّانَ في عَامِ لَزْبَةٍ تَخَبْخَبُ فيها بُدْنُهُ وحَقَائِبُهْ

يعني السَّيف ، مثل خَتَلْتُهُ .

حَرَّف أخونا الكلمة الأولى فجعلها (تَعَيَّشْتُه) .

(وخَتَلْتُهُ) بالخاء المعجمة ، ولكنَّ أخانا كتبها بالحاء المهملة ، (حتلته) وشرح ما حَرَّفَ شرحاً مضحكاً : (الحتل الرديء من كل شيء) .

وتغبّش بمعنى ظَلَم . والخَتْلُ : من وسائل الظلم .

٢٤٥ — ص ٢٢٩ — :

لميمون بن عامر في نخلة بالعَذْبة من الريب — ثم أورد شعراً —

في المطبوعة (بِالْمَعْذَبَة) ولكنَّ تفسير صاحبنا للكلمة يدل على أن ما في المطبوعة تَطبيع — خطأ مطبعي — ولكن ما العمل في قول الدكتور المحقق : (العَذَبَة موضع على ليلتين من البصرة ، فيه مياه عذبة) وهذا ليس من عنده بل من «مراصد الإطلاع» .

وإِذَنْ لا لوم في زَحزَحة (العَذْبة) التي في وادي الرَّيب أحد أودية عالية نجد المشهورة — مئات الأميال حتى يكون بقرب البصرة ، وما المانع من هذا ما دام صاحب «مراصد الاطلاع» أورد وصف موضع بهذا الاسم (العذبة) على ليلتين من البصرة ، وأن المحقق يرى أنه الموضع المقصود ، ولا موضع غيره كما يعرف حق المعرفة — كما ذكر — ص ١٥٧ — أن الريب ناحية باليمامة ، على ما عرفه من مرجعه الوحيد العتيد .

٢٤٦ — ص ٢٣٠ — :

المِطْوُ والقِنْوُ والعِذْقُ ، واحدٌ بِجَرٍّ أولهن وجزم الثاني من كل حرف .

لم يحسن أخونا قراءة (المِطْو) فحرَّفها (المطي) وادَّعى أنها في الأصل (المطر) تصحيف .

٢٤٧ — ص ٢٣٠ —

وصاحبنا لا يعتمد على الأصل دائماً فجملة : (يرثي حُمَيْد بن أبي لطيفة) لا تعجبه حتى ينوِّن الدال (حُميداً) عن عَمْدٍ .

٢٤٨ — ص ٢٣٠ —

ورجل من نمير تقتله بنو قشير فيقول الشاعر في رثائه — ص ٢٣٠ — :

ألا في سبيل الله مَثْوَاك باللِّوى رهين عجاج الصيِّف يستَنُّ حاصِبُه

هذا اللِّوى الذي ثوي فيه القتيل هو في رأي صاحبنا : (موضع بعينه ، وادٍ من أودية سُلَيْم ، به وقعت (؟) للعرب) .

لماذا ينقل جثمان الرجل من بلاده أو بلاد أعدائه المجاورة لبلاده إلى بلاد بني سُليم التي تفصل بينها وبين بلاد نمير وقشير بلاد بطون بني كلاب بن عامر ، الواسعة ؟
ودَعْك من تصحيف (الصيف) بكلمة (الضيف) فقد يكون تطبيعاً .

٢٤٩ — ص ٢٣١ — :

تَنَزَّى بأكناف السَّواد ابنُ دَهلم بِقَتْل حُمَيْد حين أخْلَتْ جوانبُه

لا كما في المطبوعة : (تمزَّى) و(بأكتاف)

٢٥٠ — ص ٢٣١ — :

كما زعزع القَضْبُ اللَّيان جنائِبه

لا (اللبان)

٢٥١ — ص ٢٣١ :

أما والرَّاقصات ببَطن جَمع أطنَّ تناضُلاً بحَصَى المِتان

في المطبوعة : (المثان) وفسَّرها المحقق فقال : (المثاني : أرض بين الكوفة والشام ، وأحال إلى « المراصد » . ولم يُلاحِظ — رعاه الله — البُعْد بين (بطن جَمْع) الذي هو المُزدلفة بين عَرَفاتٍ ومِنَى ، بقرب مكة ، وبين الموضع الذي ذكر ، أمَّا أن يُدْرِك أن الشاعر قَصَد جمع مَتنٍ وهو المكان المرتفع من الأرض فهذا ليس مطلوباً من مثله .

٢٥٢ — ص ٢٣٢ — : ورد في هامش الأصل تفسير كلمة (افتلاني) هكذا : (أفردني ، افتصلني واستخرجني) فحرَّف المحقق هذا هكذا : (أفردني وأقبضني وأفضلني) لأنه لم يحسن القراءة .

٢٥٣ — ص ٢٣٢ — :

إذا ضَرَب الفَرائِصَ جَاشَ مِنْها صوافي الجَوْف إيزَاغَ الهِجَانِ

في المطبوعة (ايراع) وظَنَّ المحَقِّقُ أنَّ الجوف اسم موضع فأورد عنه حاشية ختمها بقوله : (وهناك الجوفاء ماء لمعاوية وعوف ابني عامر بن صعصعة ، ويمكن هو المقصود) ! ! لماذا لاتفاق كلمتي (الجوف) و(الجوفاء) ؟؟ لا أكثر ولا أقل . وما لنا ولكون الشاعر أرد جوف الجِسم ، وأنَّ الدَّم يجيش منه من قُوَّة ضرب فرائصه كإيزاغ الناقة ببَوْلِها ، كقول مالك بن زغبة الباهليّ :

بِضَرْب كأذان الفِرَاء فُضُولُهُ وطعنٍ كإيْزَاغ المُخَاض تَبُورُهَا

٢٥٤ — ص ٢٣٢ — :

ونَحْنُ بِمحبسٍ يُخْشَى رَدَاهُ نُـذَبِّبُ عَنْ حَـرِيم الـمَـألـمَان

قرأ المحقق (بمجلس) ولم يدرك أن الموقف موقف حَرْبٍ كما قرأ (المألمان) بحذف الهمز ،

٢٥٥ — ص ٢٣٣ — : في الكلام على الهمز وعدمه أورد الهجريُّ شاهداً :

بناتُ الصَّدَى يانَمْنَ من كُلِّ مَانَم

وقال : والأصل يَنْأَمْنَ من كلِّ مَنْئم — وبالفتح أيضاً مع الجَرَّةِ) ومفهوم كلام

الهجريُّ : يَتَأَمَّنَ ويَتَيَمَّن ، ومَتْأَم ، ومَتْيِم . ولم يدرك هذا المحقق فعلّق قائلاً وحَسَناً فعل : (ولست أدري لها وَجهاً) .

٢٥٦ — ص ٢٣٤ — لم يخرِّج المحقق القطعة البائية ، وهي للقطامي (ديوانه ٥٢ طبع أوربا) برواية أخرى .

٢٥٧ — ص ٢٣٥ — : وقال سعيد بن العاص في كلامه : لعمري لتَصطكَّنَّ ارفاغُ رجال من غَيْر حَبَط الشَّرَى .

في المطبوعة : (في كلام) و(لتصطلن) و(الشرى) والغريب — بل اللطيف حقاً — أن المحقق وهو يترجم سعيد بن العاص لم يَنْسَ أن يَزُجَّ بين مصادر ترجمته من كتب التاريخ والتراجم القديمة كتاباً أُلِّفَ في عصرنا لا صلة له بالتراجم .

٢٥٨ — ص ٢٣٧ — :

كمَا طَار يَعْسُوبُ الجَهَام عَشِيَّةً حَدتَّهُ بِصُرَّاد الشَّمالِ دَبُور

ورد في المطبوعة : (بِضُرٍّ والشمال) الخ مع أنَّ المحقق قرأ الكلمة قراءة ليست بعيدة عن الصحة ، كما يظهر من تفسيره ونَصُّه : (الصراد بالضم موضع ذكره الشماخ في شعره :

مِن الّلاء ما بَيْنَ الصُّرَادِ فَيَأْجج

— وأحال الى «المراصد»

أما مطابقة هذا التفسير لمقصود الشاعر الذي هو الغيم الرقيق البارد الذي لا ماء فيه ، فأَمْرٌ آخر ، وكذا صحة ضبط الكلمة وأن الرَّاء ينبغي أن تكون مشدَّدة .

٢٥٩ — ص ٢٣٧ — : أخونا المحقق لا يُتْعب ذِهْنَهُ فيراعي حين يُفَسِّر كلاماً مُلابساته ، وما يتَّصِلُ به من قرائن ، بل يكتفي بشرح كل كلمة على حِدَةٍ بدون مراعاة ارتباطها بغيرها من الكلام . فهذا شاعر يُدعى ابن الثَّغَاء من بني لُبَينى ثم من بني سلمة من بني قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — من هوازن من عدنان — نُسِبُوا

الى أُمِّهم لُبَينى بنت الوحيد بن كلاب — كما في ص ١١٦ وص ٢٤٤ — من مطبوعة المحقق من كتاب الهجريِّ .

ولكن هذا المحقق ينسبه في مواضع أخرى نسبةً أملاها عليه توافق الأسماء .

فنجده — ص ١٥٥ — نسبه إلى حبيب بن جذيمة ، حتى ألحقه بعامر بن لؤي — أي عَدَّه من قريش ، لماذا ؟ لأنه من بني حبيب ، ووجد أقرب اسم إليه هو حبيب بن جذيمة ، ولو نظر في مطبوعته — ص ١١٧ وص ٢٤٤ — لوجد أن قبيلة سلمة الشَّر — التي من قشير وهي قبيلة الشاعر تتفرع إلى أوسٍ وقيس وحُبيب — وهم بنو لُبَيْنى ثم نجد المحقق نسب ذلك الشاعر — ص ٢٣٦ — إلى (الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عَمْرو ، مُزيقيا) أي جعله من الأزد من قحطان ، لماذا لأنَّ الشاعر قال يبكي على قومه :

تَذَكَّرت أوساً حِيْنَ أَمْسَيْتُ خائفاً تَـذَكُّـرَ حَـرَّانٍ تَـذَكُّـرَ مَشْـرباً

ونَسي أن أوساً المذكورين في الشعر هم أوس قُشَيْرٍ قوم الشاعر المذكورين ص ٢٤٤/ ٢٥١ — وقشير من عدنان .

٢٦٠ — ص ٢٣٨ — :

وَتَستأنسي الرُّكْبَان أن يقطعوا يُسِيرُونَ صُهْباً مائِلاتِ العَرائِك

كذا ورد البيت في المخطوطة ، فجاء في المطبوعة .

وتَستَأْنسي الركبان (في) أن يَقْطَعوا يسيرون صهْباً ماتلات العرائك

وفي الحاشية : (في ساقطة — مائلات وهو تصحيف — متل الشيء متلاً — زَعزعة وحركة) .

البيت في الأصل غير مستقيم وَزناً وقد يكون صواب (يقطعوا) : (يتقطعوا) أي يتفرقوا بسبب الاجهاد في السَّير.

ولكن لماذا اعتبر المحقق كلمة (مائلات) مصحفة عن (ماتلات) ثم ما هي صلة معنى (متل مَتلاً) كل ذلك في جوف الشاعر — كما يقولون — وهو المحقق المدقق هنا —

٢٦١ ص ٢٣٩ — :

وأن تُؤنسي بَطنَ الدَّبِيْل وحَائِلٍ ويَبْدُو لنا من رُكْنِ صَاحَة حَارِك

ـ كذا في الأصل وفي البيت إقواء إذ ما قبله مجرور ـ وفي المطبوعة (جارك) تصحيف .

٢٦٢ ـ ص ٢٤٠ ـ :

ومُحْتَضِنٌ رُكْنَ اليَماني ومُشْتَكٍ إلى الجانب الغربيِّ ضُعْفَ حَويلي

في المطبوعة (ومشتد) ولا معنى لها هنا .

٢٦٣ ـ ص ٢٤١ ـ :

يقول العُقَيليُّون إذْ لَحِقُوا بنا سَتَرْجِعُ مَقْرُوناً بإحْدَى الرَّواحل

وفي المطبوعة (ويقول .. إذا) فاختل وزن البيت .

٢٦٤ ـ ص ٢٤٢ ـ :

إذا القَوْمُ سَدُّوا مَأزقاً فَرَجَتْ لنا بأيمانِنا بِيْضٌ جَلَتْها الصَّياقِلُ

في المطبوعة : (ماذقا) وفيها (بامانِنا) كما في الأصل ، وهو خطأ من الناسخ .

٢٦٥ ـ ص ٢٤٣ ـ :

وعادَتْ لما أبْقَى الضَّنَا من فُؤَادِهِ رُدَينيَّةُ الأعْلَى رَدَاحُ المُنطَّق

وفي المطبوعة : (أنقى) تصحيف . وفَسَّر المحقق (رُدينية) تَفْسِيراً لا يوضح المعنى الذي قصد الشاعر ، وهو وصف صاحبته برشاقة أعلى الجسم .

٢٦٦ ـ ص ٢٤٤ ـ :

وكُنَّا ظَنَنَّا أنّها ماءُ مُزْنَةٍ مِنَ الْمُزْنِ لَمْ تُطْنَفْ لشيءٍ يَشِيْنُها

سقطت كلمة (ماء) من المطبوعة ، فاختلَّ وزنُ البيت ومعناه .

٢٦٧ ـ ٢٤٤ : فولدت سلمة الشَّر ، وهو دون أخيْه سلمة الخير في المطبوعة وضعت كلمة (وهو) بين قوسين وقال المحقق : إنها ساقطة من المخطوطة . وهذا غير صحيح .

٢٦٨ ـ ٢٤٥ ـ : وكانت عِند قُشَير القَسْرِيَّة ، من بَجيلة . حَرَّف صاحبنا القَسرية إلى (القُشَيرية) إذ لَمْ يُدْرِك أنها منسوبة إلى بني قَسرٍ من بَجِيلة . وقال عنها في الحاشية : (هي الخنساء بنت علي بن ثعلبة بن بجيلة) وأحال إلى «جمهرة أنساب

العرب» وما في هذا الكتاب لا يفهم منه صلة هذه المرأة بِقَسر، حيث قد سقط من نسبها — على ما جاء في كتاب «جمهرة النسب لابن الكلبي أسماء، فثعلبة ليس ابن بجيلة بل هو ابن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر بن بجيلة. ولعلَّ ابن حَزْم صاحب «جمهرة أنساب العرب» اختصر النسب فقال: (من بجيلة) فصحفت كلمة (من) إلى (بن) وهذا يقع كثيراً في المؤلفات القديمة، ولكن ما دام الهجري نسب المرأة (القسريَّة) فينبغي ذكر قَسْر.

٢٦٨ — ص ٢٤٤ —:

فإن تُبْتُ عن إسراف نَفْسي لَمْ أَتُب عن اللَّهْوِ، ما ساق الثُّرَيَّا رقيبها

في المطبوعة: (نفس لم أبت) تحريف

٢٦٩ — ص ٢٤٤ —:

وَشُـرْب مُصفَّاةٍ مِلاءِ زُجاجُهـا بـأَيمانِ فِـتْـيـانٍ كَـريمٍ شَـرِيـبُـهـا

في المطبوعة: (وشَربُ مصغاة) بالغين بدل الفاء تصحيف.

٢٧٠ — ص ٢٤٥ —:

فَلاَ ابتغي وَصْلَ الفتاة بِخُلَّتي أخاها، ولا الأخرى بأنّي قَرِيبُها

في المطبوعة: (أذاها) بدل (أخاها) وأيُّ معنى لكلمة (أذاها) في البيت.

٢٧١ — ص ٢٤٦ —:

فأبْلِغَ عَنِّي أهْلَ كُرزٍ رسالةً طَوِيلاً بِحَجرِ حَبْسُها ونشُوبها

وفي الهامش: (كرزواد من أودية أكمة)

ولكن الراء من كرز أقرب إلى الواو في الصورة، فجاءت في المطبوعة بالواو (كوز) وكُرز — بالراء — وادٍ لا يزال معروفاً باسمه، وهو من أودية الأفلاج، وقد ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» كما ذكره غيره.

٢٧٢ — ص ٢٤٦:

لقد ضَمَّ سِجْنُ الهاشميِّ عِصَابَةً تَرَاها جَميعاً وهي شَتَّى شُعُوبها

علَّق المحقق فقال: (هناك الهاشمي عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي

طالب الذي حكم البصرة والكوفة وهمذان) إلى آخر الحاشية الطويلة المنقولة من «سرّح العيون» ولم يدرك أخونا أنَّ الشاعر كان محبوساً في مدينة حَجْر قاعدة اليمامة ، فالهاشمي المقصود من ولاة اليمامة لا من ولاة البلدان الواردة في الحاشية .

وقد تولّى اليمامة — في أول العهد العباسي — عدد من الهاشميين منهم : داود بن علي بن عبدالله بن عباس ، والسَّريُّ بن عبدالله بن الحارث وجعفر بن سليمان بن علي ومحمد بن سليمان بن علي — أنظر مجلة «العرب» س ١ ص ٢٧٨ — وأرى الشاعر أراد السريَّ بن عبدالله الهاشمي ، فقد كانت له شهرة أثناء ولايته اليمامة .

٢٧٣ — ص ٢٤٦ — :

ولكِنْ أريني ما اصطحَبْنَا كَرَامةً ولا تَعديني هَتفْةً لا أُجيْبُها

حَرَّفَ أخونا (كرامة) فجعلها في مطبوعته (كريهة) !!

٢٧٤ — ص ٢٤٧ — :

وقولي : هَيَا أضيافُ إنَّ فراقكم بِبَيْداء قد سُوِّي عَلَيها جُبُوبُهَا

كلمة (فراقكم) كذا وردت في المخطوطة وفي المطبوعة ، وأراها (قراكُم) ويلاحظ وقوع أخطاء كثيرة في المخطوطة .

٢٧٥ — ص ٢٤٧ — :

وإنْ مُتُّ فانْعَيني لُبَيْنَى ولاَ يُقَلْ كَذَبْتِ وشَرُّ النَّادِبَات كَذُوبها

في المطبوعة (لا يقل) بحذف الواو .

٢٧٦ — ص ٢٤٨ — :

حَمْرَاءُ من مُعَرَّضات الغِرْبان

في المطبوعة : (العربان) تصحيف . والقافية ساكنة لا مكسورة كما في المطبوعة .

٢٧٧ — ص ٢٤٨ — :

رَأَيْتُ رِبَاطاً حِيْنَ أدركَ عَقْلَهُ ووليَّ شَبَابي ، ليس في بِرِّهِ عَتْبُ

وفي المطبوعة : (عَيْب) تصحيف .

٢٧٨ — ص ٢٤٨ — : لأبي مدرك مُرَيزيق :

فما شَرْبَةٌ من ذي طُرَيْف شَرِبْتُها   قَضَى الله فيها أنَّها لم تَدَعْ لُبا
بِـأوَّل مَـا يُسْقِيني اللهُ مَشْرَبـاً   على سَخَط الاعْداء مُقْتَرِحاً عَذباً

جاء في المطبوعة : (يسقين)

وفي الحاشية : (طريف ماء بأسفل أرمان ، وقال الزُّبَيْريُّ : نُقَرٌ يُسْتَعذبُ لها الماء ليومين أو ثلاثة من أرمان — أنظر «المراصد» ٨٨٧/٢) .

ويلاحظ : ١ — الشاعر مريزيق الغواني من بني أوس ثم من بني لُبَيْنى من قُشَيْر — كما ذكر الهجري ص ١١٣ من المطبوعة — وبلاد بني قُشَيْر في جنوب نَجْد .

٢ — الموضع الذي ذكره هو طريف لا طريفة .

٣ — الحاشية التي نقلها عن «مراصد الاطلاع» مُحرَّفَة فأرمان صوابه (أرمام) و(الزبيري) صوابه (الزَّبيدي) وهو شارح «القاموس»

٤ — الطريفة التي بأسفل أرمام تقع في شمال نَجْد ، تبعد عن منازل بن قُشَيْر — قوم الشاعر مئات الأميال ، وهي في بلاد بني أسد في شمال بلاد القصيم . ونُكلِّفُ صاحبنا شططاً حين نروم منه إدراك ذلك ولكن التنبيه على هذه الأخطاء قد يعصم من الوقوع فيها .

٢٧٩ — ص ٢٥٠ — :

نُعاتِبُكُمْ يا جَعْد في ذات بَيْننا   ولَيْسَ عِتَاب فِيْك يا جَعْد يَنْفَع

وفي المطبوعة : حُرِّفَت كلمة (نعاتبكم) .

٢٨٠ — ص ٢٥١ — : موسى بن عيسى اللُّبَيني ثم أحد بني أوس ، غَيَّرها صاحبنا (ثم لأحد) وادَّعَى أنَّ ما في الأصل تحريف ، مع أنَّ عمله هو التحريف .

٢٨١ — ص ٢٥١ — : العِجْلَةُ : لا تَسْتقلُّ ، خِيْطَان تَنْبسطُ على الأرض ، وهي الوشيجة .

حَرَّف صاحبنا : (تستقل) فجعلها (تسقيك) وزعم أنها في الأصل : (تسيقاك) حيث لم يحسن قراءتها ، وذكَّر الصِّفَة فجعلها (وهو الوشيجة) ذلك أنه لا يعرف أنَّ

العِجلة نوع من النَّبات شبيه بالثَّيل ، لا ترتفع خيطانه ـ أغصانه ـ بل تنبسط على الأرض وتتشابك . ولهذا تدعى الوشيجة .

٢٨٢ ـ ص ٢٥١ ـ :

ومَنْزِلةٍ لا يَأْمَنُ القَوْمُ بالضُّحَى   ولاَ بالعَشَايا من جوانبها رَكباً
أبِيْتُ بِهَا مُسْتَشْعِراً دُونَ رَيطتي   وَدُونَ رِداءِ العَضْبِ ذا شُطبٍ عَضبَا

جعل صاحِبُنا القافية غير منصوبة (ركب) ثم حَذَف كلمة (عَضْبا) من البيت الثاني . ولم يكتف بهذا الصنيع الشنيع ، بل أضاف في الحاشية : (في (١) : ركبا) وهو تحريف) ! !

٢٨٣ ـ ص ٢٥٢ :

كأنَّها نُتِجَتْ غَرَّاء سابِقةٌ   لأعوجيٍّ تَرَى مِنهَا به حُجَلا

صَحَّفَ صاحبنا (حُجَلاً) فجعلها (خُجَلا) ووصف ما في الأصل بأنّه تصحيف . لأنه لا يفهم التحجيل في صفات الخيل .

٢٨٤ ـ ص ٢٥٢ ـ : ميمون بن عامر في رجل من بني عَبِيْدة ،

ميمون هذا شاعر من بني قشير ـ ص ١٢٧ المطبوعة ـ وهو يهجو رجُلاً من بني عَبيدة من قومه الذين أوضح الهجريُّ فروعهم فقال ـ ص ١١٧ ـ ومما قال : فصائل معاوية بن قُشَير : عَبيدةُ ، وخُزَيْمةُ ، ومُريح ، وسامة ، وحَيْدَة ، والحَجَّاج ، وعَمْرو ، هاؤلاء كلهم أهْلُ الريب .

ولكنَّ صاحبنا المحقق نَسي هذا فأتعبَ ذِهْنَهُ وتفكيره في البحث عن (عبيدة) حتى أنجده كتابا «سبائك الذهب» و«نهاية الأرب» بنسب : (عبيدة بن هيل بن عبدالله بن كنانة بن عذرة من القحطانية) ! !

بصرف النظر عن البعد بين القبيلتين ، ما دام الاسم واحداً .

٢٨٥ ـ ص ٢٥٣ ـ :

لَقَال ولَمْ يَكَلَّف رَواحاً وقَهْوةً   يَدُورُ بِهَا سَمْحَ اليَدَيْن نَجيْحُ

في المطبوعة : (يدوؤبها)

٢٨٦ — ٢٥٣ — :

يَمُرُّون باليِنكير لا يَعْرِضُونَهُ وفيه لهم لَوْ يَعْلمُونَ صَدِيقُ

الْيِنْكِيْرُ : جَبَلٌ أَسْفَلَ حَضْرَمَوتَ ، قُرْبَ يَذْبُل من مَحَجَّةِ أهل الفَلَج ، إذا أرادُوا ضَرِيَّة من الفلج .

كذا ورد في الأصل : (أسفل حضرموت) والينكير جبل مشهور من أشهر جبال جنوب نجد ، وهو على محجَّة أهل الفلج (الأفلاج) إذا أرادُوا ضَرِيَّة ، وليس بعيداً عن يَذْبل (صَبْحا الآن) ولكن لا صلة له بحضرموت ، ولهذا أرى صواب الجملة

الينكير جبل أسفل محجةً حضرموت . ويلاحظ أن المخطوطة لا تخلو من الأخطاء ، وليس في هوامشها ما يشير إلى مقابلتها بنسخة أخرى أو تصحيحها .

وجاء في المطبوعة : (أقرب يذبل) والألف زائدة .

٢٨٧ — ص ٢٥٣ — :

جَعْديَّةٌ بِمحاني الغَيْل مَحْضَرُها وبِالحِمَى من أعالي النِّير مَبْداها

وفي المطبوعة (بمغاني الغيل) خطأ ، إذ الشاعر يقصد محاني وادي الغَيْل المعروف في الأفلاج .

٢٨٨ — ص ٢٥٤ — :

ألا يا جَرَاد الْغَوْرِ هَلْ أَنْتَ مُبْلِغٌ سَلَامَاً ولا تَبْخَلْ — غِمَار شَعبَعَباً
دَفِيءُ الْمحانيْ بِالشِّتَاء وإنْ تَصِفْ تَرَى فِيْهِ رَوْضاً مُسْتَكفّاً قد اعْشَبَا

وفي المطبوعة (دفء) وفي الحاشية :(في (١): دفيء وهو تحريف) !! وصحَّف صاحبنا (جراد) فجعلها (جواد) .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

الدولة السعودية الأولى في جنوب الجزيرة

[قام الصديق الكريم مؤرخ الجنوب الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي باعادة نشر مؤلفه القيّم «تاريخ المخلاف السليماني» بعد أن أضاف إليه اضافات واسعة استقاها من مصادر اطلع عليها بعد صدور الطبعة الأولى — قبل ربع قرن من الزمان —

وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب في مجلد ضخم ، وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وها هو فَصْلٌ من فصول ذلك الكتاب].

السعوديون والدعوة الاصلاحية
في المخلاف السليماني وتهامة اليمن

أشرنا فيما سبق إلى إمارة الأمير يحيى بن محمد الخيراتي ، إلى عام ١٢٠٤ هـ ونقول هكذا ظلت إمارة المخلاف في تجاذب بين هذا الأمير وإخوانه ، فتارة يجتمع رأيهم على تولي أحدهم وأخرى يختلفون ، وهم بين اختلاف ونزاع وقتال ، قاسى أهل المخلاف من جرّائه أشد الأهوال حتى اجتمع رأي كبار تلك الأسرة على تولي الأمير علي بن حيدر بن محمد الخيراتي .

الحالة العامة في المخلاف السليماني :

نحن في عام ١٢١٣ وأمير المخلاف الأمير علي بن حيدر ، والحال في المخلاف بوجه عام في موجة من الفوضى والاضطراب والأمراء آل خيرات قد أنهكت قواهم الاختلافات والمنازعات العائلية على الإمارة والشعب يلتمس الخلاص ، وهو في ديجور من الحيرة ، وعامل صبيا ناصر بن محمد الخيراتي — على حصافة رأيه وبعد نظره مسلوب الحول ، لتعطل الجهاز الإداري العام — ولا يعدو دوره في صبيا مع وجود المنافسة القوية له من الخواجيين — دور المداراة ومقاربة الأمور ، وقد أدركته الشيخوخة فتنحّى عن مركزه لابنه الشاب الأمير منصور بن ناصر ، وراح من بعد يشرف على

توجيهه ويمحضه اختياراته وتجاربه ، وآل خيرات ينفسون على قريبهم هذا تفرده واستقراره في إمارة مهما بلغ ضيق نطاقها لأنها — في نظرهم — خير من لا شيء .

أما مخلاف صبيا فمنازعات أهل المحلة وأهل الدهنا ، قد أحالته إلى جحيم وقبائل بني شعبة الذين امتهنوا الغزو والغارات وقتاً ليس بالقصير ، فصبرت القبائل المجاورة مدة — وهي تحت وطأة آل خيرات الذين أماتوا فيهم روح المقاومة — ولما لم يُجدِ الصبر استفاقت من غشيتها ، وهبت للدفاع عن النفس حتى إذا تمكنت من الدفاع أخذت بدورها في التحفز للغزو مما جعل حركات بني شعبة — التي كانت سهلة في أول الأمر — محفوفة بالخطورة والغرم ، لذلك سأم الشعبيون مهنة الغارات والغزو ، وراحوا يتطلعون الى مستقبل يفضي بهم إلى الأمن والخير .

أضف إلى ذلك قبيلة يام التي اتخذت من اجتياح المخلاف وقتاً بعد آخر ، يساعدها أو يسهل مهمتها احتياج آل خيرات إلى مساعدتها الحربية في توطيد مركز إمارتهم وتدعيم نفوذهم ومكانتهم ، واليامیون يقومون بأدوار من البربرية والسلب والقتل وفرض غرامات يباشر استحصالها — في بعض الأدوار — أحد الأمراء الخيراتيين أنفسهم — كما وقع في الغرامات المفروضة على أهل صبيا وعلى أهل أبي عريش وغيرهم .

وفوق كل ذلك فقد شجع سطو يام القبائل الأخرى التي يحتاج الى عونهم الحربي آل خيرات ، كسنحان وقحطان ووداعة على التسلط وابتزاز خيرات المخلاف فأصبح والحالة هذه يتطلع الى بارقة أمل تنير سبيله المظلم .

أثناء ذلك كانت أشعة الدعوة الإصلاحية السلفية قد تسللت بوهج أضوائها على سماء عسير الحالكة في الجهالة ، بيد أن غلظة وصفاقة تلك الجهالة كانت بحيث تحتم الضرورة الإصلاحية إحداث صدوع في سجوف غياهبها المترادفة تتسرب أشعة النور متدفقة بقوة ، وعملية البتر في جسم الفرد أو المجموع قد تكون ضرورية تستدعيها سنن البقاء ودساتير الحياة .

كلمة عن الدعوة الإصلاحية :

قد يتهمنا البعض بالمبالغة عما أوردناه من أثر هذه الدعوة وما يترتب عليها من بعث

الروح الإسلامية اليقظة القومية ، فنكتفي بالرد على ذلك بابراز بعض ما كتبه أساطين العلم في العالم الغربي :

جاء في كتاب «حاضر العالم الإسلامي» تأليف «وثروب ستوداره الأمريكي» في الفصل الأول بعنوان (اليقظة الإسلامية في القرن الثامن عشر(ما نصه :

كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدلي والانحطاط أعمق دركه فاربدّ جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي ، واستغرق الإسلام في اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم والفضيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، إلى أن قال :

وأما «الدين» فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سُجُفاً من الخرافات وقشور الصوفية دخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويُرَغِّبون في حج القبور ، قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل (القرآن) فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت الحرمات على غير حشمة ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ما نال غيرهما في سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس ضرباً من المستهزئات ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان دهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان .

وفيما الإسلام مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته إذا بصوت قد بدأ يُدَوي في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ، ويدعوهم الى الإصلاح ، والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور

(محمد بن عبد الوهاب) الذي أشعل نار الدعوة فاشتعلت واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ، ثم أخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم ، والعز التليد فتبدّت تباشير الاصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في العالم الإسلامي .

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد حوالي سنة ١٧٠٠ ، وكانت نجد في ذلك العصر — على انحطاط الإسلام وتدليه — انقى البلدان إسلاماً ، وقد عرفنا فيما سلف من الكلام كيف كانت تنقل الخلافة من دور الشّورى إلى دور الاستبداد الشرقي ، وأخذ على أثر ذلك العرب الأحرار أباة الضيم يعودون أدراجهم الى الصحراء حيث يتمتعون بحريتهم في حريز بلادهم وموطنهم ، وصدوا عنها كل حامل عليهم فلا خليفة ولا سلطان غرر بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحارى الرملية المحرقة والتوغل في فيافيها المهلكة حيث الموت الكريه كامن على الدوام لكل طامع غريب دخيل ، فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكماً عليهم بل دأبهم دواماً الحل والترحال ، وارتباط المنتجعات في مختلف الواحات في قلب الصحراء ، وفي هذا الحصن المنيع استطاع العرب منذ القديم الاحتفاظ بنقاء نبلهم العربيّ لا يشوبه شائبة ، وروابطهم السياسية لا تنفخ في بنيانها ريح ، أما البدو الرحل فالزعامة فيهم لشيوخهم الذين يتولون القيام على أحكامهم وتدبير شؤونهم ، وأما الحضر في الواحات فالزعامة لشيوخ الأسر العليا منزلة ومكانة ، بيد أن مبلغ ما في يد هؤلاء الشيوخ في السلطة والطاعة إنما هي صورة واهنة لا تقوى على الدوام على الوقوف في وجه تيار العادات القومية المعروفة ، وجل ما استطاع (الترك) إخضاعه في بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئاً من سلطانهم على الأماكن المقدسة الحجازية وساحل البحر الأحمر ، أما نجد البلاد الداخلية ، فقد ظلت حرة مستقلة ، وما برح عرب الصحراء فيها يغالون في الاحتفاظ بما تحدّر إليهم من آبائهم وأجدادهم من فضائل الدين ووحدة السياسة وعروة الجامعة .

هكذا كانت حالة «نجد» لما ولد فيها ابن عبد الوهاب ، وإذ كان منذ نشأته شديد الميل الى الاطلاع والفقه في الدين ، سرعان ما اشتهر ذكره وذاع اسمه فعرف بعلم وافر قواماً على التقوى ، فحج في أول عمره وطلب العلم في المدينة المنورة ، وساح إلى كثير

من البلاد المجاورة حتى فارس[1] ، ثم عاد إلى نجد مشتعلاً غضباً دينياً لما يراه بأمّ عينِهِ من سوء الحالة الإسلامية فصحت عزيمته على القيام بدعوة الإصلاح ، فقضى سنين عديدة راحلاً من بلاد إلى بلاد في شبه الجزيرة فبشر بالدعوة ، موقظاً النفوس حتى استطاع بعد جهاد طويل أن يجعل محمد بن سعود وهو أكبر أمراء نجد وأعلى زعمائها كعبا[2] وشأناً يقبل الدعوة ، ويدخل فيها فاكتسب ابن عبد الوهاب بذلك مكانة أدبية عالية ومنزلة اجتماعية رفيعة وقوة حربية لا يستهان بها ، فاستفاد من ذلك استفادة جليلة قد مكنته بلوغ غايته فكونت على التوالي وحدة دينية سياسية في جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التي أنشأها صاحب الرسالة ، وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه ابن عبد الوهاب ليشبه شبهاً كبيراً ذلك النهج الذي نهجه الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر .

ولما مات سنة ١٧٨٧ م خلفه ابن سعود ، فكان خير خليفة للمصلح الإسلامي الكبير ، واقتفى الوهابيون آثار خلافة الراشدين ، وعلى ما كان في يد ابن سعود من القوى الحربية العظيمة ، فإن ذلك ما كان ليعرضه أن يكون على الدوام نازلا على رأى الجماعة ودستورها فلم يمتهن حرية أتباعه وبني قومه . وكانت حكومته على عنفها مكينة عادلة فانقطع التعدي ، وأمن الناس السرقات ، وانتشر الأمن وسادت الطمأنينة والراحة ، وعكف على العلم والتهذيب ، وكان في كل واحة مدرسة وفي كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين .

وجاء في كتاب «العقيدة والشريعة في الإسلام» للمستشرق «أجناس جولدتسيهر» ترجمة الدكتور حسين عبد القادر ورفيقه ص ٢٣٧ ما نصه :

من أهم الحركات الدينية الحربية التي قامت بها الأمة العربية تلك التي أثارها في الأزمنة الحديثة في أواسط بلاد العرب محمد بن عبد الوهاب المتوفي ١٧٨٧ ، فبعد أن درس مؤلفات ابن تيمية ، وقد أقبل عليها بشغف زائد أثار في مواطنيه حركة دينية وسرعان ما عظم أثرها وكثر أشياعها وأنصارها ودفعت بالأمة العربية المفطورة على الحرب إلى خوض غمار القتال ، فأحرزت عدة انتصارات حربية باهرة نشرت من نفوذها حتى تجاوزت شبه الجزيرة إلى بلاد العراق .

وقد أفضت هذه الحركة إلى تأسيس دولة لا تزال — مع ما مرَّ عليها من التقلبات الكثيرة والمنافسات والمنازعات الداخلية التي أضعفتها — قائمة في أوسط بلاد العرب وتعد عاملاً ذا أثر قوي في سياسة شبه الجزيرة — إلى أن قال :

والحركة الوهابية ، هي التحقيق العملي لانتقادات ابن تيمية واحتجاجاته الحنبلية على البدع المخالفة للسنة التي أقرها الاجماع ، وعلى الصيغ التي تقررت خذل التطور التاريخي الإسلامي ، وعلى البدع المستحدثة في الحياة اليومية .

إلى أن قال : وقد أتى الوهابيون هذه الأعمال كلها باسم السنة والعمل على إحيائها واعادتها وهم في جهادهم هذا متمثلون بالسلف الصالح ، على أنه فيما يتعلق بقبر النبيِّ نرى أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي قد سبقهم في هذا المضمار فقد عمل استمساكاً بالسنة على توجيه قبر النبي عندما أمر بعمارته وجهة غير الوجهة الأصلية للقبلة خوفاً من أن يجعل الناس في هذا الأثر موضعاً للعبادة ، وهذا ما أراد منعه عندما جعل اتجاه موضع الضريح مخالفاً الاتجاهات المتبعة في المساجد ، انتهى .

وجاء في كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية» تأليف (كارل بروكلمان) تحت عنوان «الحركة الوهابية» لم يحالف التوفيق محمد علي والي مصر — في شبه الجزيرة العربية بقدر ما حالفه في مصر وسوريا ، فهناك اصطدم سلطانه بحركة انبعاث وطنية كبرى . وتفصيل ذلك أنه ولد في نجد قلب الجزيرة العربية ، محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم فنشأ محباً للعلم واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة .

إلى أن قال : فلما آب إلى بلده سعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى العقيدة والحياة الإسلامية صفاءهما الأصلي في محيطه الضيق ، وفي سنة ١٨٤٠ التجأ إلى محمد بن سعود ، وهناك لقي حفاوة وترحيباً حتى إذا انقضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه أنصاراً ومريدين ، ولقد شجب تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره — وكان قد شاع بين المسلمين منذ قرون تقليداً للنصرانية وبعض الطقوس الدينية الأخرى — رامياً بالشرك أولئك المسلمين الذين يشاركون في التقديس أو الذين يقضي القرآن بحربهم حتى يرجعوا عن غيهم أو يبادروا وأخذ محمد واتباعه بأداء صلاة الجماعة في صرامة الخ .

وقال المستشرق السويسري (بركهات) : (ما الوهابية إذا جئنا نصفها غير الإسلام في طهارته الأولى) .

وهي شهادة قوم من علماء الغرب الأجانب اتصفوا بالنزاهة العلمية والأمانة التاريخية بعيدين عن الأغراض والتمييز المذهبي .

أما في الشرق العربي فبالرغم عن الدعايات المغرضة ، فقد انصفه غير واحد ومنهم العلامة الجليل محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني الذي كتب إليه قصيدة طويلة منها :

سلام، على نجدٍ ومن حلَّ في نجد	وإن كان تسليمي علي البعد لا يجدي
سرت من أسير بنشد الرِّيح في السرى	ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
فني واسئلي عن عالم حل سوحها	به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد	فيا حبذا الهادي وياحبذا المهدي

في بلاد عسير :

وقد تقدمت السرية الأولى من السعوديين إلى عسير ، فكانت النتيجة الحتمية دخولها في الطاعة وجعلها قاعدة النفوذ لنشر الدعوة (السلفية) الوهابية في جنوب الجزيرة العربية ، ومن عسير تسربت إلى قبائل بني شعبة ثم إلى المخلاف كما سيمر بك مفصلاً .

فقبلها أهل المخلاف ـــ كما سيأتي موضحاً ـــ ورأوا في الاستجابة لتقبلها إذكاءاً للروح الإسلامية وإحياءاً لمعالم الشريعة السمحة وتحقيقاً عملياً للعدل والمساواة ورفع الحواجز الاجتماعية والفروق الطبقية ـــ التي تسربت قبل هذا العهد بنحو قرن ـــ وهم عرب صميمون من أبرز صفاتهم الشمم والإباء والحرص على تمشّي روح المساواة بين أفراد المجتمع .

الداعية الأول أحمد بن حسين الفلقي :

هو من أهل صبيا بهره نجاح الدعوة الوهابية واستهوته أخبار توفيقها في قبائل عسير وبني شعبة ، وقارن بين ما سمع وما يراه من حالة أهل المخلاف ، وما يسود أرجاءه من

الاضطراب والفتن ، فخف مهاجراً إلى الدرعية ليتلقّى الدعوة من منبعها الصافي وموئلها العتيد .

وبعد وصوله الى الدرعية وتحصيله مبادئها اتصل بالإمام عبد العزيز ابن سعود ، ورجاه انتدابه لنشر الدعوة في المخلاف السليماني ، فاستجاب له وأرفقه بالكتاب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني خصوصاً الأمراء أبناء محمد بن أحمد وحمود وناصر ويحيي وسائر إخوانهم وآل النعمي وكافة أهل تهامة وفقنا الله واياهم إلى سبيل الحق والهداية وجنبنا واياهم طريق الشرك والغواية أما بعد فالموجب لهذه الرسالة أن أحمد بن حسين الفلقي قدم الينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك فالتمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه .

فاعلموا رحمكم الله أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً ﷺ على فترة من الرسل بالدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكده ، وزبدته إخلاص العبادة لله تعالى لا شريك له والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الخلق لأجله ، ودل الكتاب على فضله ، كما قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى : (وما أمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ، وإخلاص الدين هو إخلاص العبادة لله تعالى وصرف جميع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له وذلك بأن لا يُدْعى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يذبح إلا لله ، ولا يخشى إلا الله ولا يرجى سواه ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه ، ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه ، وأن كل ما كان لله تعالى لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبيٍّ مرسل ، وهذا بعينه توحيد الألوهيَّة الذي أسس الإسلام عليه وانفرد به المسلم دون الكافر وهو معنى شهادة أن لا الله الا الله .

فلما من الله علينا بمعرفة ذلك وعلمنا أنه دين الرسل اتبعناه ، ودعونا الناس إليه وإلا فنحن كنا قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور ، والاستعانة بهم والتقرب بالذبح لهم ، وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم إلى ذلك من

فعل الفواحش والمنكرات ، وارتكاب المحرمات ، وترك الصلوات وترك شعائر الإسلام ، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه وأحيا أثره بعد اندثاره على يد الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) أحسن الله له في آخرته المآب ، فأبرز لنا جهة الحق ووجهة الصواب ، من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فبين لنا أن الذي نحن عليه وهو دين غالب الناس من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ، ودعوتهم والتقرب إليهم والنذر لهم والاستعانة بهم في الشدائد وطلب الحاجات منهم أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه قال تعالى : (إنَّ الله لا يغفر أنْ يُشرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ، وقال تعالى : (والذين تدعون من دون دُوْنِهِ يملكون من قطمير ، ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) .

فحين كشف الله لنا الإسلام وعرفنا ما نحن عليه من الشرك والكفر بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله وكلام أئمته الاعلام ، الذين أجمعت الأمة على روايتهم عرفنا ما نحن عليه وما كنا ندين به أولاً أنه الشرك الأكبر ، الذي نهى الله عنه وحذر ، وان الله أول ما أمرنا به أن ندعوه وحده وذلك كما قال تعالى : (وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ، وقال تعالى : (ومن أظلم ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) .

إذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله أن الدين الذي ندين لله تعالى به هو إخلاص العبادة لله وحده ، ونفي الشرك واقامة الصلاة جماعة وغير ذلك من أركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولا يخفى على ذوي البصائر والأفهام والمتدبرين من الأنام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به رسول الله ﷺ قال تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . فمن قبل هذا ولزم العمل فهو حظه في الدنيا والآخرة ونعم الحظ الإسلام ومن

أبى غير ذلك واستكبر فلن يقبل منه قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

وقصدنا بهذه النصيحة إليكم والقيام بالواجب ، قال الله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وصلى الله على محمد ، والسلام .

وصل الفلقي بالكتاب ، وكان يحمل معه مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وبعد ذلك استوطن أسفل وادي بَيْش عند قبائل الجعافرة ، وقام بالوعظ والإرشاد فالتفَّ الناس حوله واجتمعت القلوب عليه وفشت الدعوة بين المجاورين لتلك القبيلة .

كان الفلقي يقوم بدور المعلم والمرشد والزعيم الديني ، فيرسل الدعاة ويفصل في القضايا ، وسرعان ما سرت دعوته إلى كثير من قرى المخلاف ، واجتمعت القلوب بعد الفرقة فأنس القوم من نفوسهم قوة ، ومن الدعوة سنداً ومن الوازع الديني سلطاناً فأجمع رأيهم على التخلص من سلطة أمير صبيا الذي سلطته اسمية بالنسبة إلى قرى الجهة الشمالية من المخلاف ـــ وقد مر بك في حادث قريتي المحلة والدهنا الدليل الكافي على عدم وجود القوى الفعلية أو السلطان النافذ لتلك الإمارة ، وأصبح القوم يرون أن لا سلطان عليهم لمن لم يعتنق الدعوة بل يرون واجب الخروج عن طاعة من خالفها وأخذ أهل صبيا أنفسهم يتصلون بالفلقي ويعربون له عن رغبتهم في الاستجابة للدخول في الدعوة لولا خوفهم من أميرهم ناصر بن منصور الذي يرتبط إدارياً بسلطة ابن عمه علي بن حيدر أمير المخلاف العام .

شعر أمير صبيا بالخطر يزحف نحو منطقته في تؤدة وثبات ، فسارع الى الاتصال والاستنجاد بمرجعه فورده الرد بالتَّرَيُّثِ ، وفي تلك الأثناء حان وقت خروج خراص المزارع فبعث أمير المخلاف العام الخرَّاص إلى الجعافرة فمنعوهم عن مباشرة الخرص ، فعادوا أدراجهم ، عند ذلك تأكد للأمير مخالفتهم فتحفز لغزوهم .

التجهيـز :

جمع الأمير ابن حيدر جموعه من يام وغيرهم وكتب إلى عمه حمود بن محمد الذي

كان مُتغيِّباً في مزارعه بوادي تعشر يحثه على الإسراع للاشتراك في الحملة وكان لديه عدد من الخيل ، فوصل على أهبة الاستعداد على رأس مِقْنَبِه ، ومن أبي عريش سارت الحملة الى غربي وادي صبيا ، وعسكرات بموضع يسمى الحجرين وهناك قابلهم أمير صبيا على رأس من استعدَّ بهم للاشتراك في الحملة .

شعر الجعافرة بهذا الغزو الذي يهدد كيانهم ، ويقضي على الدعوة التي تشربوا مبائدها ، فصمموا على الدفاع ، وأقبل أهل الجهة الشمالية من المخلاف لمساعدتهم ، وبعد أن تم تجمعهم في قرية الجارة نهضوا الى قرية البطيح ، ومنها تقدموا لمهاجمة الحملة العسكرية في الحجرين .

المعركـــة :

بالطبع أنه لم يكن لدى الجعافرة وحلفائهم الاستعداد الكافي لصد القوة المهاجمة التي يقودها أمير المخلاف السليماني العام نفسه ، والتي هي على كامل الأهبة والاستعداد لمعركة يترتب على نتيجتها بقاء سلطته ونفوذه ، وقد اشترك في تلك الحملة كافة آل خيرات بخيلهم وأتباعهم لعلمهم أنها معركة الحياة أو الموت بالنسبة إلى نفوذهم العائلي وسلطتهم المحلية ، لذلك فالنتيجة معروفة من المقدمة ، فقد انتهت المعركة بهزيمة الجعافرة وحلفائهم .

وبعد انتهاء المعركة عاد الأمير الى معسكره بالحجرين ظافراً وأقام به زهاء شهر حتى اطمأن إلى استقرار الأحوال ثم انصرف عائداً إلى أبي عريش :

الخلاف بين الأمير علي بن حيدر وعمه حمود بن محمد :

لم تمض إلا أيام قلائل على عودة الأمير حتى نشب الخلاف بينه وبين عمه حمود بن محمد على الإمارة ، وتطور الخلاف إلى قتال استمر نحو ثمانية أشهر .

عرار بن شار الشعبي :

قد مر بالقارىء الكريم في ثنايا الصفحات الماضية الكثير من حوادث قبيلة بني شعبة

واتخاذها الغارات والسطو مرتزقاً فشبَّت أجيال منهم على الغزو وروح الفروسية والكفاح وقد أصابت وأصيبت من جراء ذلك بما يصاب ويتعرض له أمثالها من الغرم والغنم ، وكانت روح الفروسية والنزعة الحربية المشبوبة في أفرادها بالطبع لا تهدف إلى سلطان أو غاية سامية من مذهب ديني أو مبدأ سياسية ، مما يرتقي بتلك الروح الى ما يصبو إليه أصحاب المبادىء القويمة أو الغايات السامية ، ومن البديهي أن مثل تلك الروح مهما تأججت جذوتها واشتدت قوى نزعتها تحور الى الخمود والتلاشي ، لهذا قابلت القبائل الأخرى تلك النزعة العدائية بمثلها حتى أصبحت مهمة الأولى تحفها الصعوبة والمخاطر ، فجنحت إلى تلمس سبل الخلاص ، وأخذ نفر من أفرادها يفكر في منهج وغاية تصرف إليها قوة طاقتها الكفاحية ونزعتها الحربية .

وفي تلك الأثناء كان تباشير الدعوة الوهابية قد سرت تياراتها إلى قبائل شهران ، وامتد نفوذها إلى عسير ، فدفعت بعرار بن شار بصيرته النفاذة وروحه المتعطشة إلى اليقين أو السيادة إلى اعتناق الدعوة — وبالطبع أنه علم بهجرة الكثير ممن نالوا التوفيق والحظوة كآل المتحمي وغيرهم — لذلك اتصل بأمير بيشة وعاهده على اعتناق الدعوة ، والقيام على بثها في قبائل بني شعبة وانتهى ذلك الاتصال بعودته إلى قومه داعية من دعاة الدعوة الوهابية ، فأطاعه ذووه الأدنون والبعض من قبائله ، ووقف الآخرون ضدَّ ما يدعو إليه فتوقف ورفع بالواقع فوصله الأمر بالانتظار ، وصدرت أوامر الدرعية إلى حزام بن عامر العجماني بالتحرك إلى الجنوب على رأس مائة فارس وخمسمائة ذلول » .

وصلت سرية حزام إلى درب بني شعبة فالتقاها عرار ، وسار بهم إلى المتخلفين فصحبهم واستولى على دورهم وأرغمهم على الدخول في الطاعة وبذلك استوثق له الأمر وأصبح الزعيم وشملت منطقة نفوذه بلاد آل موسى وأهل قناوبنى زيد وغيرهم من أهل سافلة الحجاز إلى الشقيق وعتود .

تقدم حزام إلى المخلاف :

وفي الدرب وافاه الداعية الثاني (أحمد بن حسين الفلقي) وصحبه إلى المخلاف وفي خبت السيد ، اشتبكت السرية في قتال مع أهل الخبت فهزمتهم ووالت تقدمها .

السرية السعودية في المخلاف :

هرع سكان المخلاف إلى أمير صبيا منصور بن ناصر يطلبون منه مصالحة حزام بن عامر تجنباً لإراقة الدماء وصَوناً للحرمات فجمح الأمير كافة أعيان المنطقة وأخذ معهم في استعراض الموقف والتشاور في الأمر ، وفي أثناء إجتماعهم وصل الفلقي يحمل إنذاراً من حزام فأجمع رأي المؤتمرين إلى إرسال وفد إلى الأمير العام للمخلاف السليماني لعرض الإنذار وتلقي أمره النهائي حيال الموقف ، وفي أبى عريش تقرر أن يرسل من يمثل جهات المخلاف ليقابل حزاما وفعلا تألف الوفد من :

١ ــ الأمير يحيي بن محمد الخيراتي عن منطقة أبي عريش
٢ ــ شيخ الإسلام أحمد بن عبدالله الضمدي عن منطقة ضمد
٣ ــ الأمير منصور بن ناصر بن محمد عن منطقة صبيا .

وصل الوفد إلى معسكر حزام في الحجرين ، وبعد المقابلة تم الاتفاق بينه وبينهم على الدخول في الطاعة وأعطوه العهد والبيعة للإمام عبد العزيز بن سعود فأنابهم على جهاتهم كالآتي :

١ ــ يقوم الأمير يحيي بالإمارة والدعوة في منطقة أبي عريش .
٢ ــ يقوم الأمير منصور بالإمارة والدعوة في منطقة صبيا ، عدا منطقة بيش والجعافرة التي داعيتها الفلقي .
٣ ــ يكون شيخ الإسلام أحمد بن عبدالله مرجعاً لكليهما في الأمور الدينية .

وبذلك اعتبر حزام أن مهمته انتهت فقوض خيامه عائداً الى نجد :

الاتفاق بين الأميرين علي بن حيدر وحمود بن محمد :

بعد رحيل حزام لم تستقر الأمور لأن المنازعة بين الأميرين استؤنفت على أشد مما كانت وأخيراً تنازل علي بن حيدر لعمه عن الإمارة ، ورفع بتنازل الأول وتولية حمود إلى إمام صنعاء فوردت الموافقة .

إمارة الشريف حمود بن محمد : تولى الإمارة كما مر آنفا ــ على أثر الصلح الذي تم بتنازل ابن أخيه علي بن حيدر ــ وكان الوضع السياسي في المخلاف السليماني كالآتي :

١ ــ من وادي ضمد وجنوباً تحت سلطة حمود .

٢ ــ وادي صبيا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر.

٣ ــ من صبيا شمالاً وغرباً الى بيش تحت سلطة أحمد بن حسين الفلقي ما عدا قرية الملحا فإنها عائدة لصبيا .

٤ ــ من بيش شمالاً إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار

أول سرية يبعثها الأمير حمود :

استصرخ أهل (الملْحا) حموداً على الفلقي الذي اتفق مع عرار على غزو قريتهم فبعث سرية بقيادة ابن أخيه يحيي بن علي ووزيره حسن بن خالد الحازمي فتقدمت السرية إلى أن شارفت مدينة صبيا وطلبت من أميرها (منصور) الاشتراك في القتال فاعتذر ، فوالت سيرها حتى عسكرت في قرية السلامة السفلى فتحرك الفلقي ــ الذي كان يقوم بنشاط تجمعه في قرية (أم الخشب) لمقابلتهم وعسكر في موضع يسمى (مشرف) غربي (قرية السلامة العليا) ونشب القتال فانهزم الفلقي متقهقراً إلى (أم الخشب) .

حركة عرار بن شار :

علم «عرار» بهزيمة الفلقي فسارع على رأس جموعه نحوه ، وهنا سنحت الفرصة لأمير صبيا ــ الذي كان على غير وفاق مع عمه حمود ــ فتظاهر بالرغبة في انقاذ الموقف فكتب إلى كل من عرار وقائدي حمود يرجوهما التوقف عن القتال حتى يصل إليهما لتسوية الموقف ، فاستجابوا لرجائه .

وفي يوم ١٥ ذي القعدة عام ١٢١٦ خرج منصور من صبيا في زهاء ألف مقاتل وضرب خيامه بين المعسكرين وقام بالاتصالات والتوسط بين الفريقين حتى تمكن من عقد هدنة بينهما تقضي برجوع كل فريق إلى جهته ، وعملا بمقتضاها عادت سرية حمود إلى أبي عريش .

أما عرار فبدلاً من أن يعود إلى الدرب تقدم على رأس كوكبة من فرسانه ، واحتل حصن السلامة السفلى ، وهناك اجتمع به منصور بن ناصر وتم بينهما في هذا الاجتماع

العهود والمواثيق ، وتقبل الأخير الدعوة الوهابية والبيعة السعودية وتعهد بأن يقوم بالدعوة لها في المجاورين لمنطقته وعلى أثر ذلك عاد كل منهما إلى جهته .

الأمير منصور بن ناصر :

عاد إلى صبيا بعد اجتماعه بعرار معلناً انضمامه إلى الإمام عبد العزيز بن سعود ونادى بمنع تعاطي التبغ وكان قبل ذلك من أكبر متعاطيه فصمم على تركه وقال : قَبِيْحٌ بنا أن نؤدب الناس على تعاطي التبغ ونحن نتعاطاه .

الخلاف بين الأمير منصور وعمه الأمير حمود :

علم حمود ابو مسمار بموقف ابن أخيه فثارت ثائرته وعزم على مبادأته القتال فأشار عليه إخوانه بالتريث ، قائلين له : إنه ابن أخيك ، فعليك أولاً بقتال الفلقي وعرار فإن تم لك التغلب عليهما فنحن نضمن لك طاعته .



استعداد منصور :

اتصلت الأنباء بمنصور فأخذ في الاستعداد والأهبة وأجرى القلْمة على أهل منطقته أي عملية احصاء حملة السلاح ، فبلغ عددهم ثلاثة آلاف محارب واستدعى أهل الخيل فاجتمع له ما يريد ، فأمر بالتعبئة وانتظر على قدم الاستعداد وكتب لخليفة عرار مستنجداً فتحرك نحوه على رأس جموعه ورابط في بيش .

تقدم حمـود :

تقدم من أبي عريش على رأس خمسمائة محارب وسبعين من الفرسان في آخر شهر ذي الحجة عام ١٢١٦ هـ وفي أثناء الطريق بعث بعض إخوانه إلى (منصور) يطلب منه أن يلزم الحياد ولا يتدخل فيما بينه وبين عرار والفلقي ووالى تقدمه حتى عسكر (بالدحل) بضم الدال المشددة وسكون الحاء المهملة بعدها لام ساكنة) موضع بين قريتي السلامتين العليا والسلفى .

المعركـة :

وبمجرد أن علم عرار بوصوله الدحل تقدم لمهاجمته ونشب القتال وانتهت المعركة بهزيمة عرار إلى حصن السلامة السفلى ، وعاد حمود الى معكسره أما عرار فقد رحل من حصن السلامة عائداً الى الدرب .

أقام حمود عشرين يوماً في معسكره السابق ، ثم رحل عائداً وعسكر في قرية الباحر ، ومنها قام بمناورة حربية لقصد التأثير على منصور ، وإرهابه بَيد أنَّ هذا قد استعد لما هو أكبر من مناورة ، فلم تسفر عن التأثير المطلوب ، وبعد واسطة ومساعٍ من قرابة الطرفين اتفق منصور بعمه في قرية الباحر وهو في أهبة وحذر ولم تسفر المقابلة عن نتيجة وارتحل حمود إلى أبي عريش في محرم ١٢١٧ .

السرايا السعودية في المخلاف :

على أثر تلك الحركة التي قام بها حمود في شهر ربيع الأول من تلك السنة تحركت عدة سرايا إلى المِخْلاف بقيادة حزام بن عامر العجماني وزبران القحطاني وكان وجهتها قبائل الحسيني وضمد ، الموالية لحمود وعسكرت أولاً في قرية الحجرين واستدعى قائداها كل من عرار والفلتي ومنصور بن ناصر فأقبل كل منهم على رأس أهل طاعته على غاية الاستعداد وهناك عقد مؤتمر لتوحيد وتنسيق خطة الهجوم ، وتحديد الهدف فاتفق الرأيُ على مهاجمة ضَمَدَ بصفته في نظرهم مركز النشاط الروحي والعلمي للزيدية في ذلك التاريخ .

زحفت القوات على ضمد ، وبرغم المقاومة الشديدة من أهله والجنود الذين بعثهم حمود ، فقد لحقت بهم الهزيمة الماحقة والقتل المروع وأحرقت المدينة وانتهبت الأموال .

عادت القوات السعودية الى صبيا وهناك تجدد العهد بين كل من عرار ومنصور والفلتي واتّحدا على تأليف جهة مشتركة ضد حمود والموالين له وانصرفت السرايا عائدة إلى نجد .

كتب حمود إلى إمام صنعاء مستنجداً بعد أن وضح له كل ما وقع وما يتخوف منه

مستقبلاً فلم يظفر بسوى المواعيد ورفعت الجهة المشتركة إلى الدرعية عما علموه عن اتصالاته بصنعاء وما يخشونه من وصول الإمدادات إليه فصدرت أوامرها إلى عبد الوهاب بن عامر بالتحرك لإخضاع حمود فاستنفر جميع قبائل عسير وشهران وقحطان كما صدرت الأوامر إلى منصور والفلقي وعرار بالتأهب والاستعداد ، والتقدم الى أبي عريش تحت قيادة عبد الوهاب الذي وصل صبيا في ١٢ رمضان في عشرين ألف مقاتل غير من انضم إليه من أصحاب الزعماء الثلاثة .

ومن صبيا تقدم إلى أبي عريش حتى عسكر قبيّلها بنحو ميلين وامتد عسكره من غرب المدينة إلى الجبل المعروف (بالجرد) .

استعدادات الدفـاع :

استعد الأمير حمود للدفاع فرتب الحصون وأقام الاستحكامات وحشد المقاتلة في الخطوط الأمامية خارج المدينة وفي أطرافها الشمالية ، وعبّأ فرقة من الفرسان رابطت في غرب المدينة لصد غارة الخيل المهاجمة عن اقتحام (محلة الديرة) حيّ الأمير وأسرته من آل خيرات وأناط قيادتها بابن أخيه (علي بن حيدر) .

خطـة الهجـوم :

أراد عبد الوهاب أن يوجه الهجوم الرئيسي على محلة (الديرة) فإن سقطت فإن الاستيلاء على المدينة مضمون واتفق معه على هذا الرأي عرار ابن شار الذي قد اتصل به رؤساء تلك المدينة موضحين له أنهم مرغمون على القتال وكان قد بلغ حمود خبر هذا الاتصال فقبض على أولئك الرؤساء وزجّ بهم في السجون ، بلغ منصور بن ناصر خطة الهجوم فأدركته عاطفة القرابة ودفعه الاشفاق على عمه وذويه ، فسارع إلى (عبد الوهاب) وما زال به حتى تمكن من حمله على تعديل خطته وتوجيه الهجوم على المدينة وتعهد له في حال تسليمها أنه يضمن خضوع عمه وبقية أسرته ، وهكذا اصطلى أهل المدينة بسعير نار المعركة الساحقة وكانوا دريئة للسيف ووقاية للعنصر الاستقراطي المتحكم .

الهجـوم :

عبأ عبد الوهاب جيشه وقسمه الى ميمنة وميسرة وقلب ، وجعل الخيل في الطليعة في مقابلة خيل حمود ، وجعل من وراء الخطوط رجالا تسوق الفرق المهاجمة وتحثهم على التقدم بل تدفعهم إلى الهجوم الخاطف .

وقبل فجر يوم الجمعة الموافق ١٥ رمضان عام ١٢١٧ لعلعت أصوات المؤذنين في ذلك المعسكر المترامي الأطراف فدوَّت أصواتهم تردد صداها الروابي والآكام ثم صلوا الفجر جماعات وتقدموا صوب المدينة تدزي أصواتهم بالتكبير وتردد شعار الهوم : (يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد واياك نستعين) فاكتسحت الخطوط الأمامية واندفعوا نحو (الحصون) واحتدمت المعركة وسالت الدماء جداول ، واستبسل المدافعون استبسالاً يفوق الوصف بيد أن إقدام المهاجمين وارتقاءهم الى الحصول على جثث القتلى سهل كل صعب فسقطت في ايديهم حصناً حصناً ، ونجا من نجا من المدافعين إلى (الديرة) ففتَّ ذلك في عضد المتحصنين داخلها ، وقاموا على حمود يرجونه طلب الأمان والتسليم فامتنع وعدَّه منهم ضعفاً ، عند ذلك أرسل علي بن حيدر وأبو طالب بن أحمد وغيرهم مندوباً يطلب لهم الأمان فأرسل لهم عبد الوهاب رجلاً من أصحابه ليتولى حمايتهم ويؤمنهم وبوصوله صاح بأعلى صوته : (أخبركم وأنا فلان أن علي بن حيدر قد دخل مع المسلمين) فكفوا الحرب عن داره .

اسقط في يد حمود وساوره الوهم بأنه ربما يكون تسليم علي بن حيدر ما يهيىء له تولية الإمارة فسارع بإرسال مندوب يطلب الأمان فأعطي له ، وبذلك انتهت المعركة بالتسليم والخضوع .

في يوم الأحد الموافق ١٧ من ذلك الشهر سار حمود من بيته إلى المعسكر السعودي ودخل على عبد الوهاب فلم يحفل به في بادىء الأمر ، فكاد أن يعود من حيث أتى بيد أنه تمالك نفسه ومدَّ يده للمعاهدة على دين الإسلام والتبرِّي من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز بن سعود ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه والقيام بالدعوة ، فبعد ذلك أقبل عليه عبد الوهاب وتلطف معه في الحديث ، وانصرف حمود عائداً إلى بيته .

الرحيل وإنابة من يقوم بالإمارة :

أخذ كل من القادة المرافقين لعبد الوهاب يتقدم باقتراحه حول من ينوب على إمارة المخلاف فكان رأي منصور أن يتولاها (علي بن حيدر) وعرار والفلقي يقترحان إعادتها إلى (حمود) وبعضهم أشار بتولية (يحيى بن محمد) الذي سبق أن أعطى العهد لحزام بن عامر العجماني ، وأخيراً ترجح لعبد الوهاب أن يعيدها (لحمود) صاحبها الأول فاستدعاه إلى المعسكر وبحضور القادة وكبار أسرة (آل خيرات) استدناه وطلب منه العهد على القيام بأمور الإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والسير على كتاب الله وسنة رسوله ، وقتال من وراءه من أهل اليمن ومبايعة إمام (صنعاء) وقال له : إن شرط تثبيت إمارته يتوقف نهائياً على موافقة الإمام (عبد العزيز ابن سعود) وطلب من الحضور السمع والطاعة له واعتباره أميراً عليهم ، وفي يوم الخميس ٢٩ شوال ١٢١٧ ، ارتحل من أبي عريش عائداً فمر الدرب ومنه تقدم إلى الحجاز .

الأمير حمود بن محمد :

بعد رحيل القائد السعودي خرج في حركة تأديبية لجهة بني الحُرَّثِ فأخذ منهم الرهائن وبعد تجوله في تلك الأنحاء سير (سرية) من الخيل بقيادة ابن أخيه علي بن حيدر إلى اليمن ، وكان حمود وهو المحارب المعروف المجرب والشجاع المشهور ، قد استفاد من أساليب وتكتيك وخطط الدعوة الوهابية وحركاتها الهجومية ما سهل له سبيل الاستيلاء على الكثير من أنحاء اليمن باسم الإمام عبد العزيز بن سعود .

بعد رحيل عبد الوهاب الذي علق أمر تثبت إمارة حمود بموافقة ابن سعود ظل حمود متخوفاً وأخيراً بعث وفداً إلى الدرعية برئاسة الحسن بن بشير وأصحبه بكتاب يتضمن قبوله للدعوة واخلاصه في الطاعة وان الله قد شرح صدره لتقبل الدعوة الخ ، وأوعز الى رسوله بأنه إذا رأى الفرصة سانحة أن يرجو الإمام فصل إمارته عن عبد الوهاب وربطه بالدرعية مباشرة ، وقد عاد رسوله يحمل رسالة شفهية من الإمام تتضمن الثقة به والتعويل عليه وعلى أثرها شمر واجتهد في غزو اليمن لينال الحظوة لدى الإمام .

كانت هيبة السعودية قد سرت في أرجاء اليمن بل الجزيرة العربية وهيَّأت النفوس لتقبل الدخول في طاعتها وفي شهر ذي القعدة من تلك السنة تقدمت تلك السرية إلى الجهات الجنوبية تعرض على الناس الدخول في الطاعة ، فمن قبل أخذ منه العهد ومن أبى وامتنع أعلنته الحرب ، وما وراءه من غارات السرايا السعودية ، وبتلك السرية التي قوامها ثلاثون فارساً دخل بنو مروان على قوة شوكتهم في الطاعة فأخذ منها العهد ومقاتلة من وراءهم ثم أمَّرت عليهم شخصاً منهم يسمى علي بن أحمد معوز ، واستصحبت مجاهديهم وتقدمت تلك السرية صوب الجنوب فأقبلت إليها قبائل بني حسن وعبس تعلن الطاعة فولت عليهم شخصاً من آل ثواب ووالت تقدمها .

وهنا ملاحظة يجب الإشارة إليها ، وهي أن قبول تلك الدعوة تجعل القبيلة تشعر بأهمية مكانتها ومشاركتها الفعلية في الحكم فأميرها منها وعليها أن تقوم بإحياء رسوم الدين عملياً من أداء الفروض جماعة وتأديب المتواني والمتخلف فتهذب بذلك طباعها وتلين بالتقوى قلوبها وتتوحد عقيدتها وتتقارب ميولها وتتجه الى خالقها في الشدة والرخا غير متوسلة بواسطة فالنافع والضار هو المولى تعالى ، فتزول الفوارق الطبقية ويصبح لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى ويصبح الفرد لبنةً في البناء القومي والصرح الاجتماعي ، وتقرأ عليهم مبادىء التوحيد في المساجد بصورة سهلة مبسطة وبمشاركته في الجهاد تتنبه فيه العزة ومعاني الكرامة — وقد اعتادت الإمارات السابقة أن تستعين بمرتزقين لتوطيد سلطانها كما مر بك — لأنها لا تعول أو لا تثق بأبناء إمارتها .

وهكذا تم لتلك السرية ضم تلك البلاد وإدخالها في الطاعة إلى أن بلغت الواعظات ، وبعدها أخذ قائدها في العمل على دعوة قبائل وادي مَوْر ، حتى إذا اطمأن إلى صدق استجابتهم ، كتب إلى عاملهم يطلب منه التسليم — وشعر العامل بحراجة موقفه ، فليس لديه القوة الكافية للمقاومة ، وقد لمس جنوح القبائل إلى الدعوة ومرجعه في صنعاء في شغل شاغل عنه ، فاضطر إلى مغادرة مركزه إلى عامل اللُّحية الأمير صالح بن عبد الملك ، وبذلك انضم وادي مور إلى حمود ، كما أن اللحية نفسه غادرها عاملها ناجياً إلى الحديده فكتب الأهالي إلى قائد السرية بالواقع ويطلبونه إرسال من ينوب عليها من طرفه .

وصلت البشائر إلى الأمير حمود بدخول وادي مَوْرٍ في الطاعة وقبول الدعوة فسارع بالتحرك وفي اليوم الذي وصل فيه مور وصل كتاب أهل اللحية بفرار عاملها وطلب إرسال نائب لاستلامها فتقدم بنفسه ودخلها وطالب تجارها أموالاً جزيلة بحجة إرسالها للإمام عبد العزيز بن سعود فاضطروا إلى دفعها له مرغمين ، وبعد أن أقام بها اسبوعاً أسند إمارتها الى محمد بن قيراط ورحل عائداً إلى مور ومنها بعث ابن أخيه يحيي بن حيدر غازياً إلى جهة الحديدة في آخر الحجة ١٢١٧ ، أقبلت إليه رؤساء عشائر تهامة من (صليل) إلى القحرية معاهدين على دين الإسلام والتبري من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز وهكذا أصبح أمر تلك الجهات عائداً إليه إلى بيت الفقيه وبعد أن انتهى من ضمها وذلك في أول المحرم ١٢١٨ عاد إلى أبي عريش ومنها خرج الى قرية الجنة من قرى وادي خلب كان اختطها عمه الحسن ابن أحمد وبنى بها معقلاً منيعاً ، وفي أثناء إقامته بها تواردت عليه السرايا السعودية من قحطان والدواسر والعجمان وشهران يطلبون منه مصاحبته لغزو اليمن .

الغـزو :

سار حمود على رأس السرايا السعودية لليمن وكانت الأمنية التي تداعب فؤاده هي الاستيلاء على مدينة الحديدة فوالى تقدمه حتى خيم على أطرافها وكتب إلى عاملها صالح بن يحيي العلقي ، وقاضيها محمد بن أحمد مشحم ، يدعوهما الى الدخول في الدعوة والخضوع للطاعة فعاد الرسول إليه بدون جواب .

وعلى الأثر خرج العامل لقتاله فقابله على رأس السعوديين فولى العامل مهزوماً والتجأ الى قلعة (الصديقية) أعظم معاقل المدينة المجهز بالمدافع ، وحالا صبت نيران مدافعها على المهاجمين فأرغمتهم على التراجع وأصيب حمود بمسمار قذيفة في صفحة عنقه فطلبت منه السرايا العودة والاتجاه الى جهة أخرى ، فتقدم بهم عن طريق الساحل إلى (غلافقة) ثم إلى (المجيليس) إلى أن بلغوا قرية (التحيتا) من قرى زَبيد فانتهبوا مواشيها وعاد بهم إلى المخلاف السليماني بالطريق العليا .

المطالبة بالانفصال عن إدارة عسير :

كان كما مر بك غير راض عن ارتباطه بعبد الوهاب بن عامر ، وكانت ترد إليه رسل ابن عامر وتقابله بشيء من الاعتداد ، وعدم الخضوع الذي قد أَلِفَه منذ إمارته الأولى من أهل جهته وكان عدا ذلك واسع المطامع ، يرى في هذا الارتباط ما يحد من آماله ويقف في سبل أغراضه فاستدعى ابن أخيه منصور ابن ناصر أمير صبيا ، فوصل إليه وهنالك تبادل معه الرأي حول رغبته في مراجعة الإمام عبد العزيز بن سعود ، في فصل المخلاف عن عسير ، وحبّذا له أن يسعى في المراجعة لنفسه هو أيضاً في الفصل من عسير ، وأن يرتبطا معاً بالدرعية مباشرة ، وبعد المشاورة تمَّ الاتفاق على بعث وفد مؤلف من الوزير الحسن بن خالد ، وأحمد بن حيدر ، يرافقهما منصور عن نفسه للسعي في المطالبة في الانفصال عن عسير أو بالأحرى عن عبد الوهاب وفي تلك الأثناء وردت الأنباء بوفاة الإمام وتولى ابنه سعود فتقرر أن يكون مهمة الوفد التعزية في الإمام الراحل وتهنئة الإمام الجديد في الظاهر ، ثم السعي بعد ذلك في المهمة الحقيقية وأرفقهم بجليل الهدايا ونفيس التحف ، ومما أوصى به وفده .

١ — درس الحالة ومعرفة حقيقة الوضع في العهد الجديد وما يجب عمله للتقرب من سياسة الدرعية .

٢ — السعي في فصله عن إدارة عبد الوهاب وارتباطه مباشرة بالإمام وأن يتعهد باسمه مقابل ذلك .

(أ) بدفع الخراج المعتاد السنوي .

(ب) بجهاد اليمن ونشر الدعوة بربوعه .

واحتياطاً لئلا يتسرب الشك إلى قلب عبد الوهاب ، في الحقيقة السرية لمهمة الوفد فيعمل على تأخيره أو احباط خطته كتب إليه مقدماً يحيطه بأنه عازم على إرسال وفد إلى الدرعية للتعزية وتجديد البيعة وبالطبع لم يسع عبد الوهاب إلا السماح له .

وصل الوفد إلى الدرعية فاستقبله الإمام استقبالاً حسناً وبعد تقديم التعزية وتجديد البيعة أخذ في العمل حول مهمته الرئيسية واتصل بأبناء الشيخ محمد ابن عبد الوهاب

وهم حسين وعبدالله وعلى وتقدم إليهم بما يحمله من الهدايا باسمهم وشرح لهم موقف حمود من مناصرة الدعوة والعمل على تفانيه في نشرها مستدراً بذلك عطفهم وراجياً مساعدتهم في فصله عن عبد الوهاب وارتباطه بالدرعية وسعى الوفد السعي الحثيث إلى أن تمكن من موافقة الإمام على الفصل كالآتي :

١ ـــ فصل إمارة المخلاف عن عبد الوهاب وربطها بالدرعية مباشرة .

٢ ـــ فصل إمارة صبيا عن عبد الوهاب وربطها إدارياً بالدرعية ما عدا أمر الجهاد فهو مرتبط بعبد الوهاب .

عاد الوفد إلى حمود يحمل الموافقة بالانفصال عن عبد الوهاب والارتباط بالدرعية فكان ذلك صدمة لعبد الوهاب ومن تلك الساعة أخذت المنافسة تحتدم وتتحول إلى مؤامرة ودسائس وتشكل من الحرب الباردة اجتذاب الأنصار وحشد القوى استعداداً للساعة الحاسمة .

وفي شهر رمضان ١٢١٧ حشد الجيوش لغزو قبيلة (بني حريص) وهي قبيلة في شرق العارضة معروفة إلى الآن بهذا الاسم لا قبيلة حريص المحشر التي في جهة هروب . وجعل مركز التجمع بأعلا وادى جازان وأسند القيادة إلى ابن أخيه علي ابن ناصر وبعد أن استكمل الحشد تقدمت الجنود إلى جهة تلك القبيلة ووقع مناوشات وصل على أثرها عرفاء تلك القبيلة مستسلمين وانتهى الأمر بدخولهم في الطاعة .

وصلت الأخبار إلى حمود باستيلاء عامل الحديدة صالح بن يحيي العاف على قلعة الزيدية فأرسل في الحال قوة لاستخلاصها بقيادة ابن أخيه على ابن حيدر ثم سار بنفسه في عام ١٢١٩ وتمكن من هزيمة واستخلاص قلعة (الزيدية) منه وعقد بينهم صلح تقرر بموجبه أن يكون من (سهام) وشمالاً تحت سلطة حمود منه وجنوباً تحت سلطة (إمام صنعاء) وبذلك عاد صالح ابن يحيي إلى مركزه في (الحديدة) وعاد الآخر إلى أبي عريش .

في عام ١٢٢٠ صدرت الأوامر من الإمام سعود على أمير صبيا منصور ابن ناصر ، وعرار بن شار أمير بني شعبة بالنفير إلى الحجاز ، مع عبد الوهاب ابن عامر فسار منصور

على رأس مجاهديه وبعث عرار أخاه عيسى بن شار على مجاهدي بني شعبة ولم يلحق الأخير بعبد الوهاب إلا بعد وصوله الى الليث وكأنَّ عبد الوهاب قد شعر بميل عرار إلى صفِّ خصمه أو منافسه حمود فاتخذ من تأخرهم هذا حجة للنكاية بعرار فوبخ عيس بن شار ورؤساء أصحابه وقد توفق في هذه الغزوة ضد أمير مكة وعندما بلغ حَلي في عودته أخذ خيل بني شعبة عقاباً لهم على ذلك التأخر ، وكان عمله هذا من أقوى الأسباب لما وقع بينه وبين عرار كما سنوضحه .

عاد مجاهدو بني شعبة أن أخذت خيلهم فأنف عرار مما صار على عشائره ويظهر أن حموداً قد شجعه على الانفصال عن عبد الوهاب وتعهد له بالمساعدة وأوضح له أنه لا يقل أهمية في نظر الإمام عن عبد الوهاب وحثه على العمل لذلك ، وقد دفع حمود إلى هذا أنه لا يأمن من تغلب عبد الوهاب عليه لمكانته وسابق مواقفه وإخلاصه ، وما ناله مؤخراً من النصر في غزوة الحجاز مما قد يجعل الإمام سعودا يرى في إعادة ربط المخلاف به مكافأة لإخلاصه وتمكيناً لضمان طاعة حمود الذي فيما سبق كان من حزب إمام صنعاء لهذا نرى عراراً يجاهر بأنفته من الارتباط بعبد الوهاب وعلى أثر ذلك توترت العلاقات بينهما ويظهر أن أخذ عبد الوهاب لخيل مجاهدي بني شعبة عدا ما فيه من النيل والاهانة المواجهة لعرار كان أيضاً يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو الاستيلاء على معدات عرار الحربية مقدماً .

وعلى كل فقد اتصل عرار برؤساء قبائل رجال ألمع واتفق معهم على الثورة ضد عبد الوهاب خاصة وكان المقصد من وراء تلك الحركة أن يناوىء سلطته حتى تصل الأخبار بسعود فيرسل من ينظر في الأمر وهناك تسنح الفرصة في رفع استصراخهم وتظلمهم من عبد الوهاب وطلب رفعه عنهم أو على الأقل فصلهم عنه وجعل عرار أميراً منفصلاً على رجاله وبني شعبه مرتبطاً بالدرعية أسوة بحمود .

وكان واسطة الاتصال بين عرار وحمود أمير صبيا منصور بن ناصر وقد سرا بهذه الخطوة من عرار بيد أنه عراراً ظل متخوفاً من الخطوة الثانية ، فتوجه إلى أبي عريش لمعرفة مدى المعاونة والمساعدة من حمود ، فطمنه هذا وعاهده على المعاونة والمقاومة

وتأليف جبهة موحدة تقف في وجه عبد الوهاب ان حزب الأمر ، فعاد عرار إلى جهته ولديه بعض الاطمئنان .

لم تخف هذه المخالفات والمؤامرات على عبد الوهاب فرفع بالواقع للدرعية وسار بعد ذلك لمهاجمة رجال ألمع التي سارعت في الكتابة لعرار تستعجله الوصول لنجدتها .

سارع عرار إلى رجال ألمع على رأس من أطاعه من بني شعبة بعد أن كتب إلى حليفه حمود يستمده حسب الاتفاق ورفع إلى الدرعية راجياً إرسال وفد للنظر والتحقيق في ما يدعيه من تعديات عبد الوهاب وكان يؤمل أن في استطاعته المقاومة إلى أن يصل الوفد بوصوله إلى رجال تقدم منها إلى الشعبين فلم يصل إلى أطرافها إلا وقد قبض رجال عبد الوهاب على زمام الأمر فيها وقام المطاوعة والفقهاء في الأسواق منددين بعرار معلنين أنه ممن يسعى في الأرض فساداً ، فعاد إلى رجال ألمع فوجد أن الدعاية قد سبقته والرعب قد عم أهلها فانسحب عائداً إلى الدرب بصحبته بعض رؤساء رجال ألمع ممن يخاف على نفسه من المؤاخذة والعقاب .

علم عبد الوهاب بفشل عرار وانسحابه فتقدم إليه على رأس عشرة آلاف مقاتل سالكاً طريق عقبة مناظر ، ووالى تقدمه حتى انتهى إلى مسيل وادي عِنْود فسار في مجراه إلى أن وصل إلى موضع يسمى الجنين — تثنية جنب — وجعل جبل عكاد على يساره وطرح في الجنبين المار ذكرها .

عرار ينسحب من الدرب :

أدرك عرار أن لا طاقة له بالمقاومة فارتحل بأهله وحاشيته وخيله ، وما استطاع حمله وبرفقته خمسمئة من أهل رجال ألمع قاصداً حليفه حموداً ، وتقدمت طلائع عبد الوهاب على قرية الدرب فألفتها خالية وعلى أثر ذلك دخلها الجيش فهدم الحصون وأحرق الدور وأستولى على كل ما وجده وأقبل إليه قبائل بني شعبة والشقيق وعتود فأخذ منهم السلاح وأمنهم وجعل عليهم أميراً من قبله .

عزم عبد الوهاب على غزو المخلاف السليماني ثانية :

عزم على غزو إمارة حمود فبدأ بتجهيز السفن من الشقيق لغزو اللُّحيَّة وفي أثناء ذلك أقبل وفد من الدرعية للنظر في الخلاف فتوقف :

الوفـد :

وصل الوفد واتفق أولاً بعبد الوهاب وسلمه أمر الإمام سعود وأمره حالا بالرحيل إلى عسير وتسريح الجند والتوجه إلى الدرعية فصدع بالأمر وعاد إلى عسير ومنه تأهب للرحيل إلى الدرعية .

ووالى الوفد سيره إلى أن وصل صبيا فقابل أميرها منصور بن ناصر — الذي تلقاه بغاية الحفاوة والتكريم ، فسلموه أمر سعود بمثل ما صدر إلى عبد الوهاب فتلقى الأمر بالامتثال والقبول وسار الوفد إلى أبي عريش .

الوفـد في أبي عريش :

وصل الوفد فقابله حمود بالحفاوة والإكرام — وكان سَخياً بالمال في تلك المواقف فغمر الوفد بالإكرام وحسن المقابلة وجميل الانعام ، ثم تخابر مع الوفد بشأن مهمته فسلموه الأمر الذي يقضي بتوجهه إلى الدرعية ومعه عرار بن شار ، فلم يسعه إلا التظاهر بالامتثال والقبول — وقد عظم عليه الأمر وتحرج الموقف — وراح يعمل جاهداً على استمالة الوفد بشتَّى الطرق ، محاولاً إقناعه بضرورة بقائه متعللاً باضطراب الأمور والتخوف من استرجاع إمام صنعاء للبلاد الجنوبية التي استولى عليها منه باسم الإمام سعود ، ومظهراً له استعداده ببعث ابنه أحمد مع عرار ، بدلاً عنه إلى الدرعية فوافقه الوفد فتنفس نسبياً .

سفـر الوفـد :

استصحب الوفد أحمد بن حمود والوزير حسن بن خالد وعرار بن شار وسار إلى صبيا واستصحب أميرها وتوجه إلى الدرعية .

المحاكمـة :

وصل الوفد ومن برفقته إلى الدرعية ، فأمر الإمام سعود بانزال أحمد بن حمود وحسن بن خالد ومنصور بن ناصر في دار الضيافة وأمر باكرامهم ـــ وكان هناك ينتظرهم عبد الوهاب للمحاكمة .

بدأت المحاكمة بين عبد الوهاب من جهة وعرار وأحمد بن حمود ومنصور ابن ناصر من جهة أخرى ، فاتهم الأول عراراً بإثارة الفتنة واتهم الآخرين بمؤازرته وتحريضه ، وأيد دعواه بإبراز وثائق خطية صادرة من حمود ومنصور بن ناصر إلى عرار ، وانتهت القضية بإدانة عرار في الدرجة الأولى فاكتفى الإمام بابقاء عرار لديه والعفو عن الآخرين والسماح لهم بإبقائهم على إمارتيهما على أن يرسل معهم عمال من قبله يشرفون على الإدارة في منطقة حمود ، وأن يتولى أولئك العمال استحصال الخراج ، وأن يسلموا منه مبلغاً معيناً لحمود ويرسل الباقي إلى الدرعية واشترط على وفد حمود .

١ ـــ عدن استخدام رجال همدان إلا إذا دخلوا في الدعوة واستعدوا بإجابة داعي الجهاد .

٢ ـــ أن لا يصالح عمال إمام صنعاء ولا يعقد لهم هدنة .

٣ ـــ أن يصرف لأمير صبيا مبلغاً من خراج اللحيَّة :

أما منصور فقد أعاده لإمارة صبيا كعادته على أن يرتبط في شئون الجهاد بعبد الوهاب كما كان سابقاً بيد أن عمه حمود لم يف له بالشرط الأخير مما أوجب الخصومة بينهما كما ستقرأها مفصلاً .

حمـود بعـد رحيـل الوفـد :

بعد رحيل الوفد ـــ كما مر بك قبله ـــ توجه حمود إلى اليمن وكان عامله على حِجة قد ألحَّ عليه في إرسال النجدة ، موضحاً أن الإمام قد جرد جيشاً قويًّا لاستعادتها فسار إلى مَوْر ومنه سيَّرَ قوة إلى الصلبة موضع قريب من حَجَّة ـــ فتمكنت من شق الطريق لعامله المحصور فانسحب من حجة على رأس الحامية بسلام .

وفي عام ١٢٢٠ ابتدأ في إقامة الحدود الشرعية — ونرى أن في إقامتها من قطع يد السارق وقتل القاتل وجلد الزاني المحصن ، ما يشعرنا برغبة في التقرب من السعوديين الحريصين على إقامتها ، كما يوضح لنا أن تسجيل مؤرخي ذلك العهد لها دليل على عدم إقامتها قبل ذلك التاريخ ، وكان لإقامتها هيبة قطعت دابر الإفساد ووطدت دعائم الأمن في انحاء إمارته ، وبعد أن استنقذ عامله عاد إلى قلعة مُوْر ينتظر ما تسفر عنه نتيجة مهمة وفده الى الدرعية .

في أثناء تلك المدة انتهى أمد الهدنة المعقودة بينه وبين عامل الحديدة صالح بن يحيي العلفي الذي استدعى جماعة من يام كجنود مرتزقة فوصلته الكتب من الشيخ علي بن حميدة رئيس قبائل القحرية بأن صالحاً عازم على مهاجمة معقل القحرية فبعث إليه بقوة من رجاله ووعده بالوصول بنفسه بعد ذلك .

الحرب بينه وبين صالح العلفي :

ولّى صالح بن أخيه قيادة الجنود المرتزقة من يام وسيرهم لمهاجمة معقل الرئيس علي حميدة وفي أثناء تسيير تلك الحملة توفي علي حميدة فسار الأمير حمود بنفسه من مور إلى القحرية في أوائل شهر رمضان من تلك السنة .

المعركــة :

وبالقرب من مدينة باجل التحمت المعركة بينه وبين جند عامل الحديدة صالح وقبائل من يام — فانهزمت يام بيد أنَّ فريقاً منهم لم يشترك في المعركة أغار على ساقة حمود واستولى على خزانته وجميع الذخيرة والمؤن والرقيق .

الخـداع :

كان الأمير حمود يراسل اليامبين المتجندين مع صالح — عاملاً على استمالتهم لجانبه ، وكان صالح بدوره يعمل جاهداً على استمالة جند حمود — الذين هم من قبائل بُكيل — وأخيراً تمكن صالح من استمالة بُكيل ، وفعلاً انضموا إلى معسكره .

وقامت يام كنتيجة لمساعي الأمير حمود بالشغب على صالح ، والإلحاح في مطالبته بأعطيتهم ، وأخيراً اتفق معهم على أن يسلمهم أعطيتهم على أن يتوسطوا بينه وبين الأمير حمود على هدنة لعام واحد ، فقاموا بذلك وأعادوا إليه ابن أخيه واستلموا أعطيتهم وتوجهوا إلى نجران .

تعمير حصن باجل :

أقام الأمير حمود في باجل إلى أن تم تعمير حصن باجل ورتب أمورها ، وفي أثناء ذلك وصله الوفد الذي بعثه إلى الدرعية لقضية المحاكمة يرافقه نواب الإمام سعود الذين بعثهم للإشراف على الإدارة واستحصال الخراج .

عمال الإمام سعود في تهامة اليمن :

استقبلهم الأمير حمود أحسن استقبال وأظهر استعداده لانفاذ كافة أوامر سعود ووزع العمال ومأموري الخراج في اللحية وغيرها ، وبعث جماعة لاستحصال زكوات المواشي ، وعدا ذلك فقد أجزل لهم الصلات مما دفعهم إلى الرفع لسعود بصدق ولائه وقيامه بانفاذ الأوامر ، ووفائه بكافة الشروط التي اشترطها وتعهد بتنفيذها نيابة عنه وفده مقابل اقراره على الإمارة ، وعند اطلاعه على مرفوعات الوفد اطمأن وأخذ في العمل على توسيع رقعة إمارته ضارباً بالصلح المبرم بينه وبين صالح العلفي عرض الحائط ، وبعد أن وصل إلى تحقيق بعض رغباته في التوسع جدد الصلح مع صالح وعاد راجعاً إلى أبي عريش بعد أن أناط أمر القبائل برؤسائهم المحليين كالآتي :

١ ــ على إمارة القحرية ابن علي بن حميدة .
٢ ــ على إمارة العبوس محمد جماعي .
٣ ــ على إمارة الرماة علي بن محمد الرامي .

وبعد وصوله مور رغب في الإقامة واستصلح مساحة واسعة من الأرض وساق إليها المياه ، وفي نفس تلك السنة أي ١٢٢٠ اختط مدينة الزهرة وأمر الناس بسكناها وشيد بها معقلاً حصيناً .

صالح العلفي عامل الحديدة :

في المحرم عام ١٢٢١ وصله كتاب من غالب أمير مكة — ويظهر أنه على صلة صداقة به قبل ذلك — يذكر له دخوله في طاعة السعوديين ويلمح له أنه يرى من مصلحته أن ينضم إلى السعوديين ، ويشير عليه أن يتصل بعبد الوهاب ابن عامر — وكان صالح في تلك الأثناء قد شعر بسخط إمام صنعاء عليه وعزمه على مصادرة أمواله — فكتب صالح لمرجعه بأن مهام مركزه تحتم عليه الخروج من الحديدة إلى بيت الفقيه لتفقد أحوالها وإصلاح أمور قبائلها — وكأن غالباً كان على اتفاق مع عبد الوهاب فيما كتبه صالح ، فما وصل هذا إلى بيت الفقيه حتى وردته كتب عبد الوهاب يطالبه بالدخول في الطاعة كما دخل أمير مكة ويحذره وينذره من التواني والتخلف ، وأنه قد أمر عمال الإمام سعود في اللحية بالوصول اليه كما أمر السرايا السعودية أن تتصل به وتتبع أوامره ، عند ذلك سارع الى الدخول في الطاعة وكتب بذلك لعبد الوهاب وألحقه بآخر يستمده لغزو الحديدة — لأن رجال إمام صنعاء عندما علموا باتفاقه مع عبد الوهاب حجزوا أمواله وأولاده بها — وكان قد وصله مشايخ بادية زَبيد ، يطلبون منه إرسال عمال إلى جهتهم باسم الإمام سعود ، وتعهدوا بقبض عامل إمام صنعاء وتسليمه للسعوديين فأرسل معهم من لديه من الجنود السعوديين .

علم أهل مدينة زَبيد بالواقع ، وتقدم السرية السعودية إليهم ، فانحازوا إلى القلعة وتركوا المدينة فاستولى عليها السعوديون ، ونهبوا ما وجدوه وعادوا إلى صالح — بعد أن أبقوا حامية في قرية التحيتا .

رفع صالح بالواقع لعبد الوهاب واستَمَدَّه بإرسال الجنود فصادف اشتغاله بغزو نجران الذي عاد منه بالهزيمة فوعده بإرسال الجنود ، وذلك في شهر رجب عام ١٢٢١ .

الأمير حمود بن محمد الخبراتي :

أما حمود فكان مشتغلاً في حرب شيخ قبيلة صليل الكلفود ، وكان الوضع السياسي في تهامة :

١ ـــ من أبي عريش إلى بلاد صليل تحت إمارة حمود بن محمد .
٢ ـــ بيت الفقيه إلى التحتيا تحت إدارة صالح بن يحيي العلفي .
٣ ـــ الحديدة إلى باجل تحت طاعة إمام صنعاء ؟

اغتنم الأمير حمود الفرصة ـــ وكانت المنافسة بينه وبين صالح بن يحيي العلفي على أشدها ـــ فأرسل سرية للاستيلاء على الحديدة ـــ وكانت ضمن المنطقة التي صدرت الأوامر السعودية بإناطة أمر الدعوة في أرجائها إلى صالح بن يحيي العلفي ـــ فاستنكر ذلك عامل سعود ، فأجابهم حمود أنَّ المسلمين يد على من سواهم وأنه هو وصالح في طاعة الإمام سعود .

نظر صالح إلى هذا التصرف من حمود بعين الريبة ـــ لأن الحديدة ضمن المنطقة التي خصصت لعمله حسب الاتفاق المبرم بينه وبين عبد الوهاب الذي بموجبه تخلى عن طاعة إمام صنعاء ، وانضوى على أساسها تحت الراية السعودية .

في ذلك التاريخ وصل وفد من عبد الوهاب إلى صالح ، يحمل كتاباً وهدية ، ومهمته الحقيقية التعرف على أحواله ومعرفة مدى إخلاصه وصدق ولائه ، مر الوفد بحكم اتجاه سيره على حمود ، فتلقاه بالحفاوة والتكريم والصلاة الجزيلة واستعرض لهم ما قام به من الأعمال في نشر الدعوة وما ضمه من البلاد الى طاعة الإمام سعود وما يزمع على عمله في مستقبله ، ومن ضمن ذلك أنه بعث سرية إلى الحديدة لإنقاذ أموال وأبناء صالح بن يحيي العلفي والاستيلاء عليها ، وأنه عند الاستيلاء عليها سوف يرفع للإمام فإن أناط أمرها به أو بصالح فالأمر له ، وبالطبع انه منطق عليه مسحة من الاقناع فلم ير الوفد في عمله ما يوجب الانتقاد ، وكإظهار لما هو عليه من القوة والاخلاص بعث في الوقت نفسه وتحت أنظار الوفد سرية بطريق البحر لمساعدة صالح وحماية حصن الدريهمي من أي قوة لإمام صنعاء تحاول مهاجمة صالح في بيت الفقيه ـــ قبل وصول الإمدادات إليه من عبد الوهاب ـــ إلا أنه بعد ذلك وصلت الإمدادات من عبد الوهاب لصالح فاستتب له الأمر نسبياً .

الاستيلاء على مدينة الحديدة :

انتهى حمود من إخضاع قبيلة صليل ، وقام ببناء حصن في القناوص ، وترك به حامية وسار إلى أن عسكر في ظاهر قرية القطيع من الشرق — ليقطع امدادات إمام صنعاء عن حاميته في مدينة الحديدة المحاصرة من قبل سريته الأولى — وكتب من معسكره إلى عمال الإمام سعود يستحثهم في الوصول بجميع من في تهامة من غزاة الدواسر وقحطان ، ورجا منهم أن يطلبوا من الجنود العسيريين المرابطين في الدريهمي الانضمام الى قواته ، فاستجاب الجميع لندائه ، وبذلك اشتد زنده وقويت شوكته ، وكان جواسيسه يوافونه أولاً بأول عن تحركات قوات إمام صنعاء القادمة لنجدة حامية الحديدة ، فلم تدن إلى تهامة إلا وهو على غاية الأهبة لملاقاتها ، والدراية التامة والمعلومات الوافية بكل ما يهمه عنها من الوجهة الحربية ، فهزمها شر هزيمة وأعادها مدحورة على الأعقاب ، وهناك تفرغ لأمر الاستيلاء على الحديدة ، فبعث أغلب الجنود لشد أزر القوات المحاصرة لها وتضييق الخناق على حاميتها المحصورة حتى أرغمت على التسليم فاستلم المدينة قائده يحيي بن حيدر ، وبعدها دخلها الأمير حمود في موكب حافل واظهر شعار الدعوة السعودية واستدعى عمال الإمام سعود لحصر الأموال وأعلن أنه استولى عليها باسم الإمام سعود .

ومن ثم أخذ في العمل الجاد في ضم ما هو داخل بعهد صالح بن يحيي العلفي وإنقاذاً لخطته تلك بعث أحد أقربائه محمد بن علي فارس على قوة من أهل نجد والدواسر — وأمره بأن يتظاهر بأنه مدد ونجدة بمساعدة صالح العلفي على أهل زبيد — وزوده بكتب إلى مشائخ الزرانيق والقرشيين وأهل التربية يطلب منهم أن يعاهدوا قائده على السمع والطاعة والدخول في الدعوة السعودية وتعهد لهم بأن يولي كل شيخ منهم على إمارة جهته — في حال أن القوم قد عاهدوا صالحاً على السمع والطاعة والدخول في الدعوة السعودية — فنهم من استجاب لقائد حمود ، ومنهم من تردد ، علم صالح فتقدم على رأس من لديه من عسير وقحطان مسرعاً للاستيلاء على زَبيد ، قبل أن تسبقه عليها قوات حمود ، فلم يصل إلى ضواحيها إلا وقائد منافسه يباريه من الجهة الأخرى فسارع بالهجوم على قلعة زَبيد الذي تحصن بها عامل إمام صنعاء ، فاتصل هذا العامل بقائد حمود ،

وفاوضه في أمر تسليمه القلعة على شرط أن يحتفظ بأمواله والأموال الحكومية فرفع القائد إلى حمود فوردته الموافقة مع مدد من الجنود لطرد صالح وإرغامه على الانسحاب من الميدان ، فصدع القائد بالأمر ، واستعد بالهجوم على قوات صالح ومباشرة طردها فحجز عمال الإمام سعود بين الطرفين وأشاروا على صالح بالرجوع والرفع إلى عبد الوهاب فرجع إلى بيت الفقيه .

وصلت كتب صالح إلى عبد الوهاب بن عامر ، وصادفت عزمه للحج وبعد أن أتم نسكه عرضها على الإمام سعود وأدلى برأيه للإمام نحو ما يراه من ضرورة تأييد صالح ليكون في ذلك حفظ لكفة التوازن في تهامة بخلق منافس لحمود حتى لا يخلو له الميدان ، موضحاً ما يخشاه من مطامع حمود وما يلمسه من عدم إخلاصه ، فأمر الإمام بإرسال طامي بن شعيب على رأس وفد إلى اليمن لدراسة الموقف وتسوية الخلاف .

اتصل ذلك بعلم الأمير حمود فسارع بالتقدم إلى زبيد لإدخال القبائل التي لم تدخل في طاعته إذا وصل طامي لم يبق لصالح إلا بيت الفقيه .

وصـول طامـي بن شعيب :

وصل طامي إلى الدريهمي ، وهي تحت سلطة صالح ، وكتب له في الوصول لمقابلته فوصله صالح وتفاوض معه حول ما انتدب له ، وكان صالح في ضيق من الحال لم تمكنه من إضفاء كرم الضيافة ، ويظهر أنه رجل يعتمد على إخلاصه وصدق ولائه ، وليس هذا كل شيء في عرف طامي ، ويقال : إن طامياً صرح بعد تلك المقابلة قائلاً : كنا نظن صالحاً أحد رجلين ، إما صاحب دين فيصبر على البلوى والغرابيل ، حتى يصل إلى ما يطلبه ، وإما طالب ملك فيسمح للجنود بما عنده من مال حتى يتوفر له إخلاصهم ونصرتهم . ولم يكن أحد الرجلين . فالدين هو عنه بمعزل — وأما الملك فمَا قام بحقه ، وهذا حمود يستميل الناس إلى طاعته بإظهار العدل وبذل المال ونشر الدين فما يتخلف أحد عن إجابته .

ويقال أن أحد خواص صالح أشار عليه إذا كان لديه شيء من المال يتألف به طامياً ورؤساء عسير الذين برفقته وأن يقوم بكفايتهم وواجب ضيافتهم ليكونوا في جانب حقه الواضح فلم يُصغِ إلى مشورته .

اتصل طامي بالأمير حمود فوجد لديه كل ما تصبو إليه نفسه . وقال له : كلنا تابعون لسعود ، وما تقدمنا إلى الحديدة وزَبيد إلا لما نعرفه من ضعف همة صالح ، وخشية من تمادي يد قوات الإمام الزيدي ، وهي الآن بتدبير الله ، ثم تدبير الإمام سعود ، وشفع ذلك بكرم الضيافة وضافي البر ، وعرض استعداده بكل ما يلزم لطامي ورفقته من مال وزهاب وركائب وغير ذلك ، فلم يكن همه بعد ذلك إلا الطلب من حمود في عدم التعرض لما بقي تحت يد صالح في الوقت الحاضر — حتى يعرض لسعود ما لديه — ثم رتب منطقة صالح ورحل مثقلاً بوافر العطاه وجزيل الصلات .

وكانت النتيجة لمهمته وصول الأوامر بتأييد الأمير حمود على الحديدة وزبيد وكل ما استولى عليه فلم يسع صالح ازاء ذلك إلا الانضمام إليه والرضوخ لمصالحته على أن يقره على إمارة بيت الفقيه فقط .

بذلك استتبت الأمور لحمود فأناب ابنه أحمد بن حمود على زبيد بعد أن عمر سورها وعاد إلى أبي عريش وقد امتدت امارته من زبيد جنوباً إلى الدرب شمالاً ، وذلك في عام ١٢٢٢ هـ .

في أواخر تلك السنة توجه الأميران منصور بن ناصر وعلى بن حيدر للحج والشكوى على سعود من قريبهما الأمير حمود فأرسل معهما محمد ابن دهمان على رأس ثلاثة آلاف رجل فخيم بظاهر مدينة الزهرة ، واصلح بينهما وبين الأمير حمود وأخذ على كل منهما العهد ، ثم سار بهم إلى غزو قبيلة قيس ، وعاد الأمير منصور إلى إمارته في صبيا في صفر عام ١٢٢٣ .

بوادر الخلاف :

في عام ١٢٢٣ بدأ حمود يسفر عن صفحته ويفصح عن مقاصده في أمر استقلاله بتهامة عن السعوديين وصرح لرسلهم بما يفهم منه الخلاف ، واتصل الخبر بعبد الوهاب بن عامر ، فسر بذلك آملاً أن تسنح له الفرصة في حمود الذي لا يزال في ريب من اخلاصه منذ أخذ في محاولة التخلص من ربطة بادارته .

وصلت الأخبار إلى الدرعية بخلافه ، فصدرت الأوامر إلى عبد الوهاب بغزوة ومضى عام ٢٣ في الاستعداد والتأهب من الجانبين ، وفي عام ١٢٢٤ تقدم عبد الوهاب بن عامر على رأس حشوده المتكاثرة صوب المخلاف وخرج حمود من الزهرة لملاقاته على غاية الأهبة والاستعداد ، فوصل أبا عريش ، ومنها نهض لصده وملاقاته .

المعركـة :

التقى الجمعان في وادي بيش وكانت معركة من أشد المعارك هولا — ولا يقل المشتركون فيها عن أربعين ألفاً — وبين الخصمين من العداوة والبغضاء ما جعل كل منهما يفرغ جهده ويستعد لهذه المعركة بكل ما أوتيه من قوة واقتدار — ودارت رحا القتال كأشد ما يكون هولا وانتهت بعدما حفلت الدماء غدرانا وملأت الأشلاء رحاب ذلك الوادي الخصيب انتهت المعركة المهولة بهزيمة حمود وانسحابه إلى صبيا بعد أن تمزق شمل جيشه ، وفي مساء ذلك اليوم جيء إلى الأمير منصور بن ناصر — الذي كان مشتركاً مع عمه — ونفيس وفرس كريم ادعا حامله أنه قتل صاحبه فعرف في الحال أن الفرس فرس عبد الوهاب والسلاح سلاحه فأخبر منصور عمه حمود ، فخفف ذلك لديه مرارة الهزيمة ، وكان له بذلك أكبر العزاء فيما أصاب جيشه ، وسارع حمود إلى أبى عريش ليحصنها ويستعد فيها للمقاومة ، وبقي منصور في صبيا .

اجتمع رأي قادة الجيش السعودي بعد قتل قائده على إقامة من ينوب عنه ورفع الخبر إلى الدرعية ، ووالوا الزحف لتعقب فلول الجيش المنهزم واستولوا على صبيا فوالاهم منصور بن ناصر ، بيد أن انفاقه معهم لم يطل ، فقد التجأ بعده إلى حمود في أبى عريش فترك الجيش السعودي حامية في صبيا وعاد إلى السراة .

الحالة بعد معركة :

بعدها ظل المخلاف مسرحاً ومراحاً للغارات السعودية إلى عام ١٢٢٥ الذي تقدمت فيه القوات السعودية بقيادة عثمان المضايفي إلى تهامة إلى أن بلغت العسية مجتاحة كل ما أمامها وعادت مثقلة بالأسلاب والغنائم ، كما غزى طامى بن شعيب اللحية ونهب أموال أهلها نهباً فادحاً وارتكب من القسوة واهدار الأرواح البريئة ما أورث الرعب في تهامة

بأسرها ، وقد اعترض الأمير حمود له في أثناء قفوله والتقى به في موضع يسمى بربر ، بباء موحدة بعدها راء مهملة فباء موحدة وراء مهملة على وزن جعفر غرب جنوب أبي عريش ، فلم يظفر وعاد مهزوماً ، وواصل طامي سيره ، وفي طريق عودته لاقاه مجاهدو رجال ألمع — الذين تأخر خروجهم معه — فخيرهم بين غزو قلعة ضمد أو قلعة بندر جازان ، فاختاروا الأخيرة وتقدموا فاستأصلوا حاميتها ؟

وفي تلك السنة أيضاً عاود طامي بن شعيب غزو اللحية ، ثم تقدم فغزا الحديدة ، كما وصلت قوة أخرى بقيادة محمد بن أحمد الرفيدي واستباحت قرية الشقيري .

الوضـع السياسي في تهامـة :

في عام ١٢٢٥ كان الوضع السياسي كالآتي :

١ — من صبيا وشمالاً تحت السلطة السعودية .

٢ — من أبي عريش وجنوباً إلى زبيد تحت سلطة حمود — تراوحه وتغاديه الغارات السعودية .

٣ — القسم الأعلى تحت سلطة الأئمة الزيديين .

وكان الأمر غير مستقر في القسم الثاني نظراً للغارات السعودية المتكررة وقد شعر الأمير حمود بخطر الموقف فتدخل بالوساطة أمير صعدة — الذي كان موالياً للسعوديين — بين الإمام سعود والأمير حمود بأن يتنازل الأخير عن صبيا وبيش ويدفع خراجاً سنوياً للإمام سعود عن ما يملكه من أبى عريش إلى زبيدة .

وكنتيجة لتلك الاتفاقية استقرت الأمور في وضعها الطبيعي ، فالتفت حمود إلى اصلاح ما أفسدته الحرب ، وتفقد مزارعه الواسعة واملاكه الشاسعة وتعمير المعاقل والحصرن — أما الشعب في تلك العهود فليس له حظ في الاصلاح ولا نصيب في دخل الدولة ، أو بالأحرى في إيرادات الإمارات — وحسبه الأمن والاستقرار .

اشتغل السعوديون من ابتداء عام ١٢٢٦ بحروب محمد علي — الذي انتدبته تركيا للقضاء على تلك النهضة العربية ، فبعث ابنه طوسن ، استغلت الدولة السعودية بذلك طبعاً عن حمود وما هو أهم من ذلك .

وفي عام ١٢٢٨ اختط حمود قرية مختارة في بلاد الشرف ، وبنى قلعته بها واختارها لسكناه ، وفي عام ١٢٢٨ توفى الإمام سعود ، فخلفه ابنه عبدالله بن سعود .

غزو جيوش إمام صنعاء :

لم ينس إمام صنعاء ما أسلفه حمود ، فاغتنم فرصة انفراده بالحكم ومباينته للسعوديين ، وبعث جيشاً قوياً لمهاجمته في مقره بقرية مختارة ، فواصل الجيش تقدمه حتى أشرف على القرية فبرز إليه حمود ، والتحم القتال فني جيشه بخسائر جسيمة ، وجرح الأمير نفسه وحجز بينهم الليل ، فعاد كل فريق إلى معسكره ، وشعر حمود بأن الجيش اليمني سوى يباكره القتال فاستعمل دهاءه المعروف ــ الذي طالما أسعفه في أحرج المواقف ــ فدس إليهم تحت جنح الظلام من تمكن من إيصال الرشاوى الجزيلة فلم تشرق الشمس إلا وقد سوى الأمر وتمت الصفقة ، وبعد أيام معدودة قوض الجيش المهاجم خيامه وعاد من حيث أقبل .

التنافر والشحناء بين الأمير وقرابته :

بالرغم عن الصلح المبرم بين الأمير وابني أخيه علي بن حيدر ومنصور ابن ناصر على يد القائد السعودي محمد بن دهمان ، فإن الصفاء لم يسد علاقاتهم ، ففي عام ١٢٣٠ لمس الأمير من ابن أخيه الآخر يحيى بن حيدر ما أوجب الزج به في السجن فغضب الأميران علي ومنصور ، ورحلا إلى مكة المكرمة ، وهناك اتصلا برجل محمد علي ونائبه على الحجاز حسن باشا ، وبناه شكواهما من الأمير حمود وشرحا له أن الظلم لا يزول عن اليمن إلا بالقضاء صليه ، ضم البلاد إلى دولته إذا ساعدهما ضده وطلبا منه امدادهما بجيش ليستوليا على اليمن باسم دولته ، فوعدهما بإجابة طلبهما متى انتهت حربهم مع السعوديين وخيَّرهما في الإقامة تحت رعايته في أي محل يختارانه من الحجاز ، فاختارا الإقامة في حلي ، فأجرى عليهما المقررات من حاصلات القُنْفُذة ، فمكثا هناك إلى أن سار سنان باشا ، إلى عسير على رأس حملته المعروفة ، فرافقاه ، وبعد دنو الحملة من عسير رجع علي بن حيدر إلى حلي وبقى منصور مع الحملة فقتل مع سنان ــ كما سيمر مفصلاً في أخبار عسير ــ وقد ظل علي بن حيدر في حلي إلى أن سار بعد ذلك مع خليل باشا إلى اليمن ، كما سيأتي مفصلاً .

وفي عام ١٢٣٠ توجه الأمير حمود من مختارة إلى القسم الشمالي ، ولم يدخل مدينة أبي عريش بل عسكر في قرية الجربة في طريقه لغزو جبل سلا .

فرار طامي بن شعيب إلى المخلاف السليماني :

وصل طامي فاراً من قوات محمد علي — راجع أخبار عسير — وصل إلى قرية «مسلية» ومنها فر إلى قرية الحقو ، ثم نزل إلى قرية الدهنا ، عند العلامة يحيي بن حسن النعمي — وكان من ذوي المكانة العلمية والجاه المكين في المخلاف فبثه ما قاساه من الشدائد وطلب رأيه في القدوم والالتجاء إلى حمود فأشار عليه بعدم الركون إليه ونصحه بأن يختني في الجبال الشرقية ، فلم يصغ لنصيحته ويمم قاصداً حمود في مختاره ، وكان النائب على المخلاف وزيره العلامة حسن بن خالد مقيماً في حصن ضمد ، فاتصل به خبر وصول طامي إلى المخلاف فسارع على رأس قوته واحتل صبيا ، وبعث من مكانه سرية إلى الدهناء للقبض عليه فالتقت به السرية صحبه صديقه النعمي فاقتادوه أمامهم إلى صبيا ، وبمجرد وصولهم به إلى الوزير أمر بتكبيله بالحديد ، وبعد ساعات قلائل وصلت سرية من فرسان محمد علي انتدبت لمطاردته — ساعة فراره من السرة — فدخلت صبيا فسلمه لها حسن بن خالد ، فعادوا به الى عسير .

حمود بن محمد :

بعد هذا التاريخ عظم أمر حمود وأصبح ملكاً مطلق التصرف مرهوب المكانة ، وقد اتسعت رقعة مملكته حتى امتدت حدودها من زبيد جنوباً إلى أقصى جبال السراة شمالاً .

اتصالاته بمحمد علي :

إن انتصارات محمد علي قضت على الملك حمود بالاتصال به وانشاء العلاقات الودية — وكان بالطبع بداءة تلك العلاقات تسليمه طامي بن شعيب لرجال محمد علي — بدون مساومة ولا تردد — وبعدها بأيام قلائل كتب لمحمد علي ، ثم شفع ذلك باهدائه أربعة رؤس من كرائم الخيل مع كتاب لم تظفر بنصه وإنما نستشف مضمونه من نص جواب علي باشا الذي ننقل لك نصه :

وبعد فقد وصلت إلينا كتبك الثلاثة مشعرة باستقامتك مسفرة عن سلامتك وشهامتك منبئة عن طلب جزيرة فرسان ، وعن حال رجال ألمع ، وأهل الدرب ، ومن قدمناه على بني شعبة وبالأخص (هكذا) عن مسلية وأم الخشب والسلامة ، وأن المذكورات كانوا بأجمعهم لأمرك منقادين واحلت معرفة ذلك جميعه على الحاضرين والبادين ، فليكن في علمك أنه قد بلغنا ظلمك في الرعية مركباً من الراحة عرية والظلم مرتعه وخيم وهو أن دام دمركما أخبر به النبي الكريم ، ونحن ما بلغنا من تلك الأراضي المبالغ وطوعنا منهم العاصي فلا فرق بين الشيخ والبالغ إلا طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى باستباحة أهلها من النصب والوصب وتسبباً لابتهاج ولي نعمتنا الذي أفاض الله علينا بملاحظته بفيوض الفتوح وصب ، وقد استشعرنا من الواردين علينا أنك ما حملك على ما حمل وأركبك الوعر بظلم من قل وجل إلا توارد الوهابية إلى جهاتك وطلبهم من الدنيا الدنية ما لم يكن مقدوراً لك ولا لمن بمواجهتك فعذرناك فيما سلف من الأمور وأدرجناه في خبر زيد لعمرو ، وبعد اليوم أن استرعيت رعيتك بالرفق والشفقة وهم أهل بلدك الذين قلوبهم على محبتك متفقة غير مفترقة وسمعنا من الصادر والوارد استعذبوا منك ما أجن من الموارد ، نترجى لك عند حضرة ولي نعمتنا في استرعائك على من اخترت أنهم من سابق رعاياك وانه لم يخرجهم من طاعتك إلا من مانعك من الوهابية وعابك فلعله لا يرد طائر رجائنا مهيض الجناح ، وعساه أن يداوي مريض آلامك بمرهم النجاح ، فإن مولانا السلطان نصره الله هو مالك زمام حلنا وعقدنا ومرجعنا في كل الأمور إليه ولا نستطيع نحدث أمراً من عندنا ، فكن رعاك الله من الرعية الذين راعوا من استرعاهم وما راعوا بالمخالفة من رعوه ورعاهم ، ونطلب سلامة العقبى بدعاء الفقير لك ، إياك وإياك أن تهلك بإقحام الأخطار فيمن هلك ، فإن شمس العدالة بها تتزاح ظلم الظلم وتنجاب واحذر دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب ، فلا يبلغنا عنك صدور ما يوغر لمصدور ظاهراً وباطناً ويستثير ما كان في الأفئدة كامناً فالحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من أولاد الحسنين أسوأ وأخشن ، والمأمول هو الله سبحانه أن نجد هذه النصيحة لك كافية «فإن العصا تقرع للحليم والحكيم من شاهد الأمور قبل وقوعها كما هي .

هذا وقد وصلنا كتابك الرابع متضمناً لإرسال هديتك ذات الحسن الرائع وهي الأربع الخيول التي لها من الحسن غرر وحجول ، فقد حلت عندنا محلاً بالقبول محلى ما أظرفها من هدية جميلة مقدمة عندنا على كافة الهدايا الجزيلة .

وما أحسن الشيء النفيس إذا أتى إلى أهله من أهله في محله

وفيما حدث من تلك الحوادث التي يجب رفعها إلينا فليكن بالمبادرة منك عرضها علينا كما هو المعهود من شيمتك البهية ، وفقك الله لكل محمده سنيه بمنه وكرمه ، وذكرت لنا حفظك الله تعالى أنا لا نسمع فيك كلام الحساد الذين يسعون في الأرض فساد ، فنحن ما أصغينا سمعاً قبل ذلك ونكره ذلك طبعاً غير أن أخبار ما أنتم به من الجهات مفصلاً عندنا من قبل ست سنوات ولو كشف الغطاء ما زدت على علمي يقيناً والسلام ، انتهى .

غزو محمد بن أحمد المتحمى :

في عام ١٢٣١ تحرك محمد بن أحمد المتحمى لغزو المخلاف ليثأر من الملك حمود بقريبه طامى بن شعيب الذي سلمه الأخير لرجال محمد علي باشا .

اتصل خبر هذا الغزو بعلم الملك حمود فأخذ في الاستعداد وتقدم إلى جهة الدرب لملاقاته ، وهناك في يوم الجمعة الموافق ١٨ رجب ١٢٣١ دارت رحا المعركة وانتهت بهزيمة المتحمى وعودته إلى عسير .

عاد حمود تخفق على رأسه ألوية النصر فتفرغ لشئون مملكته ، وأطلق يد وزيره الحسن بن خالد في تدبير أمورها وإدارة شئونها فشمر هذا عن ساعد الجد وألف رسالة في التوحيد ونشرها في البلاد ، وألف هيئات تتجول للإرشاد والحث على إقامة الشعائر الدينية .

وفيها غزى الجبال اليمنية واستولى على جبل كحلان ، وعاد إلى المختارة ظافراً واستمر على إدارة البلاد إلى عام ١٢٣٢ ، وفي تلك السنة بلغه أن محمد أحمد المتحمى يقوم بحركة تجمع لغزوه فتقدم حمود إلى وادي بيش وأقام بها زهاء شهرين وعندما اطمأن من عدم نزوله عن قبيلة بيش المعروفة في شرق المخلاف السليماني .

وفي عام ١٢٣٢ كان غزو حسني باشا لبلاد عسير — راجع أخبار عسير — وبعد استيلائه عليها عاد إلى الحجاز فوقع الخلاف بين العسيريين وتحزب أكثرهم مع الحامية التركية ضد رئيسيهم محمد بن أحمد المتحمى وعلى بن مجثل فاتفق الرئيسان على الاستعانة بحمود واستدعائه لتولي أمر عسير ، وصادف هذا رغبة جارفة في نفسه وأمنية طالما خفق لها قلبه الطموح فسارع إلى بعث جيش لنجدتها بقيادة الوزير الحسن بن خالد الحازمي .

تقدم الحسن بن خالد إلى عسير:

سار ذلك الجيش بقيادة الوزير تتقدمه طليعة من الفرسان برئاسة القاضي حسن بن عطيف الحكمي حتى استقرت الطليعة في رجال ألمع والحسن بن خالد في الحمة ، وهناك علم أن قوة من الجيش التركي بقيادة جمعة باشا يرافقها الأميران منصور بن ناصر وعلى بن حيدر تزحف إلى عسير فلاقاهم واشتبك معهم في معركة أودت بهزيمتهم ، وتقدم إلى عسير تتقدمه طليعته بقيادة حسن ابن عطيف الحكمي حتى إذا توسط في جبال السراة شعر بما يتهدد جيشه من العسيريين ، وتحرج موقفه فلم يستطع التقدم ولم يقدر على الانسحاب ، فاستنجد حمود فسار بنفسه على رأس جيش قوي لنجدته وتمكن من اخضاع عسير لأمره .

وفي عام ١٢٣٣ انهالت عليه قبائل جبال السراة وتظاهروا بالانتظام في سلك طاعته ، ويقول صاحب «الديباج الخسرواني» الحسن بن أحمد العاكشي ، أن قبائل السراة أظهروا الإنضمام في سلك طاعته مع أن قلوبهم مريضة ويعتقدون أن قتاله مع القدرة فريضة .

وبينما هو يؤلف القلوب ويوطد الأمور ، وافته الأخبار بتحرك سنان باشا على رأس حملة قوية وبرفقة خصماه الأميران على بن حيدر ومنصور ابن ناصر — وقد شاءت الأقدار أن يتأخر على بن حيدر ، ويعود من أثناء الطريق ويبقى منصور في صحبة الحملة .

زحف الجيش الجرار صاعداً قمم السراة فاستعد حمود لمواجهته ، وكان قد ألم به المرض ، ومع ذلك فلم يهن ولم يتضعضع وجابه الواقع بما ينبغي من البسالة والحزم .

المعركـة :

التقى الجمعان ودارت رحا المعركة واستعمل السلاح الأبيض فولى الجيش التركي الأدبار ، وكان أهل السراة متربصين بالفريقين في رؤوس الجبال وفي مضايق الأودية وأطراف الشعاب — ينتظرون بفارغ الصبر لمن تكون الغلبة — لينقضوا على المنهزم قتلاً وسلباً ، فلما اتضح لهم انهزام الأتراك انقضوا عليهم وتعقبوا فلولهم المذعورة ، ومن جملتهم فريق من الحملة على رأس سنان باشا ومنصور بن ناصر لحقهم العسيريون في العقبة المسماة (تيَّه) فقضوا عليهم قضاء مبرما بما فيهم سنان ومنصور .

بعد المعركة :

عاد الملك حمود إلى معسكره ظافراً وقد تزايدت عليه علة المرض فلزم الفراش حتى أدركته الوفاة في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول عام ١٢٣٣ فدفن في موضع يسمى الملاحة من بلاد بني مالك في السراة — تغمده الله برحمته .



جازان : محمد بن أحمد العقيلي

« **العرب** » :

ألقى الأستاذ المؤرخ العقيلي بحثاً وافياً عن موضوع انتشار الدعوة الاصلاحية في الجنوب في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي أقامته (جامعة الإمام محمد بن سعود) في ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ وقد نشر ذلك البحث مع أبحاث أخرى للأستاذ العقيلي في كتاب .

الحـواشي :

---

(١) القول بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله دخل بلاد فارس غير صحيح ، إذ لم يذكره أخصُّ الناس به وأقربهم إليه ممن دوَّن أخباره من تلاميذه وحفدته (العرب) .

(٢) أصبح الإمام محمد بن سعود بهذه الصفة بعد مؤازرته للشيخ ، ونشر الدعوة الإصلاحية (العرب) .

بين العامي والفصيح

[التقاء اللهجتين العاميّة والفصيحة في بلادنا من السّعة بحيث لا تفي لحصر ذلك الالتقاء الأبحاث العميقة ، إذ بلادنا مَهْد اللغة العربية ، ومن فضل الله علينا أنها كانت إلى عهد قريب في معزل عن تأثير العجمة الناشئة عن الاختلاط ، باستثناء ما هو قريب منها للبلاد التي تضمُّ خليطا من السكان .

والأخ عبد الرحمن السُّويداء — كاتب هذا البحث — طالع بعض المؤلفات العربية القديمة — كالسيرة النبوية لابن هشام وديوان امرىء القيس — فبهره ما وجد من الصلة القوية بين اللهجتين ، فكتب ما كتب ، ولو طالع معجما لغوياً عربياً قديماً لرأى الأمر أوسع مما تَصَوَّر .

وحبَّذا أن يعالج كل كاتب اللهجة العامية المستعملة في الجهة التي يحلُّها من بلادنا العزيزة معالجة مقارنة بينها وبين الفصيحة لمحاولة إزالة الفوارق بين اللهجتين ، وفي هذا إثراء للفصحى ، وتقريب لفهم العاميّة] .

أود أن أورد بعض الكلمات التي وقع عليها نظري أثناء قراءتي في بعض الكتب ايراداً قد لا يخلو من الفائدة ، لأنني كنت أحسب أن بعض هذه الكلمات عاميّة قبل أن أجدها في بطون الكتب ، وقد يشاركني غيري هذا الاعتقاد ، ورغبة مني ألا يسخرَّ هذا الشك فيلجأ من يحتاج في كتابته إلى عدم استعمال بعض هذه الكلمات أو الى اللجوء لوضعها بين أقواس باعتبارها كلمات عامية أو يشك في فصاحتها ، أوضح أنها عربية لا غبار عليها حسب ورودها في المؤلفات اللغوية المعتمدة وبعضها ضارب في القدم ولا تزال تحتفظ بقوتها وأصالتها حتى وقتنا الحاضر ، في هذا الجزء من المملكة العربية والواقع أن جلَّ المقتنيات فيا قبل خمسين سنة تكاد أن تكون مسمياتها عربية ، وذلك فيا يتعلق بأدوات الفلاحة والمهن والرعي وغيرها ، قبل أن تدخل الأدوات الى حياة الناس ، وبالإضافة الى المقتنيات هناك بعض التعابير الأخرى ، ومن تلك الكلمات :

أَوْقَرَ : أي حمل حملاً قَدْرَ طاقته .

قال الشاعر :

حَمَتْهُ بَنُو الرَّبْداءِ من آل يَامِنٍ   بِأَسْيافِهِم حتَّى أَقَرَّ وأَوْقَرَا

وهي كلمة كثيرة الاستعمال فتسمع محدثك يقول : أوقرت دابّتي .
وتستعمل مجازاً للإنسان إذا حمل من الأمور طاقته .

أوَىَ لَهُ : رَحِمَهُ ورقّ له .
قال الشاعر :

لَـو أنني استأوَيْتُهُ ما أوَى ليا

وجاء في الخبر : فوالله إني لفي أيديهم ليسحبونني اذ أوى لي رجلٌ ممن كان معهم »
وتسمع محدثك يقول : إنني أويت له ولكنه لم يأوِ لأحَدٍ .
ويقول الشاعر العامي :

يا عزوتي خـلّكْ رحـوم وتاوى   ولـيّـا طـلبتِكْ حاجْةٍ لا تقاصَيْنَ

ويوصف الملحاح على طلب حاجته بأنه (واوي لا يَعذر ولا ياوي)

إشْمَعَلَّ : رفع عنقه وتحفز للجِدِّ .
قال الشاعر :

فـاشـمـعـلوا يـلجلجون دؤوباً   مضـغـاً لـلـكلال فيـهـا أنـيضُ

وهي كلمة كثيرة الاستعمال فتسمع محدثك يقول اشمعل القوم عند سماعهم الخبر .

أبْرَضَ : يُبْرِضُ ، إبراضاً ، أول نبات الورق والأغصان التي تخرج من النّبات والشجر .
قال الشاعر :

رعت طرفها في هامة قد تنكرت   وصُـوِّحَ منها نـبـتها وهْـوَ بارضُ

ويقال : نزل المطر فأبرض الشجر
ويقول الشاعر العامي :

لا والله الا انـحَـدَر عـمّـاش   زلَّ الشـتـاء وابـرضَ الْـعُـودِ

اعْتَبَطَ : اعتباطا قتله ، أو انتهك حقه .

وقد ورد هذا النص : «إنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولِيُّ المقتول» .

وقد جرى التوسع في استعمال هذه الكلمة فشملت انتهاك الحقوق والعناد . فيقال : أخذ فلان مال صاحبه اعتباطاً .

أحْمَاء : جمع حَمْوٌ وهم إخوان الزوج وأقاربه .

وقد ورد هذا النص على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم لامرأة من بني جُمَحٍ بعد عودته من الطائف وما لقي هناك من أذى «ماذا لقينا من أحْمائِك» وتسمع محدثك موجهاً كلامه لابنته عليك الالتزام بالحجاب حتى عن أحمائك .

انْتَفخ سَحَرَهُ : أي رئتيه ، وهو كناية عن الجبن أو التكبر .

فقد ورد في الخبر : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه» .

ويقال : لقد انتفخ سحر فلان عندما رأى القوم ، أو انتفخ سحره متغطرساً .

أمْغَط ، أو أمْعَطْ : طويل القامة .

جاء في وصف قامة الرسول صلى الله عليه وسلم : لم يكنْ بالطويل الممغّط » وتَصِف رجلاً بأنه أمغط أو أمعط القامة .

أبْرَق : الوان مختلفة .

ورد في الخبر «عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء»

وتصف طيراً بأنه أبرق الريش ، وقد يكون الموصوف رجلاً فوصفه بأبرق الريش ويَعْني نوعا من الصقور الحرار ، واذا كان الموصوف دون ذلك وصفه بالدَّجاجة البرقاء .

إرْبَع : من رَبَع يَرْبَع وهو الانتظار والتأني والإقامة .

وقد ورد الخبر على لسان صويحبات حليمة السعدية مرضعة رسول الله (ص) يا ابنة أبي ذُوَيب وَيْحك !! إرْبعي علينا» وقال الشاعر :

وعثمان لم يربع علينا ومنقذ ولكن أطاعا أمر تلك القبائل

واتسع استعمال هذه الكلمة فتصف رجلاً بأنه لا يربع لأصحابه ، أي لا ينتظرهم ولا يرعى أحوالهم .

قال الشاعر العامي يوصي رفيقه بزوجته :

جَنِّب حَثاثَ القاع واختر لها اللِّين   واربع لها يا حُسَين وامش امشيانه

إنْثَبَر : الموقع ، ومسقط المولود .

فقد جاء بالنص «وطرح مثبرها وثيابها التي كانت عليها» .

ثم جرى التوسع في استعمالها لتدل على الموقع وعلى البقاء فيه ، وقد تعني التأنيب فتسمع محدثك يقول لم يقم من مثبره ، أو يزجر شخصاً آخر قائلاً له انْثِبْر أي لا تبرح مكانك .

إحْزِرْ : التقدير بالحدس والظن :

فقد جاء في الخبر «بعثوا عُمير بن وهب الجُمَحي ، فقالوا : احزروا لنا أصحاب محمد» وهذه الكلمة شائعة الاستعمال على ألسنة الناس .

أَفْتَخَ ، أي طويل اليدين ، وهي صفة مستعارة من الطير الطويل الجناحين . قال الشاعر :

كـأن بـفـتْـخَـاء الجناحين لَقْوةٍ   صيود من العِقْبان طأطأت شِملالي

يقول الشاعر العامي :

قـالـوا لي سِّر قلتْ مانيْ مْسيِّرْ   يسـدّ بالمسْيـار فـتـخَـان الأيْـدي

بَطِرَ : طَغَى

قال الشاعر :

سَمَّاهُمُ البُطَرُ الأُسْدَ الغَضِاب فلمْ   تَهْجَعْ سُيُوفكَ حَتَّى صُيِّروا نَعَماً

وهي كلمة شائعة الاستعمال ، تصِف شخصاً متكبراً طاغياً بأنه بَطْران .

بُسْرٌ : هو البلح قبل أن يتلوّن :

قال الشاعر :

حتى إذا صار طلعها بَلَحاً   قـالوا : تَوَقَّـعْ بُـلُوْغ بُسْـرتِـهـا
حـتَّى إذا بُسْـرُها غدَا رُطـباً   فـازُوا بـأَغْـذَاقِـهـا بِـرُمَّتِهـا

وهي كلمة شائعة الاستعمال في بيئة الفلاحين فكثيراً ما تسمع : ما زال النخل بسراً .

تَعْتَعَ : التَّعْتُع : التردد في النطق عن حَصَر أوعيّ .

قال الشاعر :

أَتَعْتِعُ في الحوائج إن خِفَافاً غَدَوْتُ بها عليكَ وإنْ ثِقَالا

وتقول : يتعتع في قراءته . وقد تستعمل في التردد أثناء السير أيضاً .

تَقَرَّشَ : التَّقَرُّش : الاكتساب والتجارة .

وسميت قريش قريشاً من التقرش والتقريش ، التجارة والاكتساب .

ويسمى من تقَرَّش قَرَّاشاً ويجمع على قواريش .

قال الشاعر العامي :

ألا وا وُجُودي وَجْد قَرَّاش عَجْز لا ينام من الْهُمُوم

كَمَى : كَمَن وأَخْفَى : وقد ورد في الخبر .

فلما فرغ قصيّ من حربه انصرف اخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رزاح في إجابته قَصيًّا :

نسير بها الليل حتى الصباح ونكمي النهار لئلا نزولا

والعامة تقول عن الشيء الثمين : (تكماه على عَدُوَّك)

تَلَحْلَحَ : جلس وارتخى مع شيء من الحركة .

قال الشاعر :

أُنَاسٌ إذَا قِيل انْفُروا قَدْ أتيتُم أَقَامُوا على أثقالهم وتَلَحْلَحُوا

وتقول : إنه لا يزال يتلحلح في مكانه .

تَشَرَّقَ : تبرز للشمس ، المشراق المكان الذي تشرق فيه الشمس .

ورد في الخبر : تخرج تلك الحية تتشرق على جدار الكعبة » .

في فصل الشتاء كثيراً ما تسمع محدثك يقول : نحن جلوس في المشراق لطلب الدِّفء بأشعة الشمس .

قال الشاعر العامي :

من قَابَل المِشْراق والكِنّ والذَّرا   يموتْ مَا حَاشَتْ يَدَيْه الفُوايد

تَحَلْحَلَ : تحرَّك واستوى في موضعه .

وقد جاء في صفة ناقة رسول الله (ص) «فبركت فيه ثم تحلحلت وأرزمت ووضعت جرانها»

تُرْزِمُ : ترغي بحنان وشوق .

قال الشاعر :

وأَغْـبِـطُ القِرْنَ بِعَضْبٍ مشرفي   أُرزم لـلـموت كـإرزام المرِي

وهي كلمة شائعة الاستعمال في بيئة البادية ، وقال الشاعر العامي :

واقَلْبِـي اللِّيْ عليها يِرْزِم ارْزَام   إرزام جَيْشٍ علاَ له جَال مَطْوِيَّة

ثُـلْـمَةٌ : ما انثلم من البناء .

قال الشاعر :

لولاك كـانَتْ ثُلْـمَةٌ لم تَنْسَدِدِ   أبداً وكـانَتْ عُـدَّةٌ لم تكـتملْ

وقد تطلق على أشياء غير البناء كأسنان الفم أو أمور أخرى يفترض أن تكون متكاملة فأصبح فيها فراغ ، وقد تسمع محدثك يقول ودخلت البستان مع تلك الثلمة لكني عثرت بها فانثلمت أسناني .

ثَعَبَ : ينثعب ، السيل الكثير .

يقال انثعب الماء إذا سال من موضع حصر فيه .

قال الشاعر :

قـد ظَمِيَّ الحجيجُ بَعْدَ المُطَّلِبْ   بَعْدَ الجِفَان والشَّراب المُنْثَعِبْ

ويسمى المِيْزَابُ مثعباً ، والإناء الذي يسكب منه الماء بواسطة لسان بارز يسمى مثعابة .

جَابِيَةٌ : حوض كبير يجبى فيه الماء أي : يجمع — وفي القرآن الكريم : (وجفَان كالْجَوَاب)

قال الشاعر :

فوق شِيْزى مِثْل الجوابي عليها قِطَعٌ كالوَذِيْل من نَيّ كُوم

وهي كلمة كثيرة الاستعمال لدى الفلاحين ، فقد تصف انساناً في رغد من العيش بأنه نَخْلَة جابية ، لأنها دائماً في وسط الماء .

جُمَّارَةٌ : جذع العذق أو الجريد ، الأبيض الطري .

وقد جاء في الخبر : والله لكأنّي أنظر إلى ساقه في غَرْزِهِ كأنّها جُمَّارةٌ .

وهي كلمة كثيرة الاستعمال لدى الفلاحين إذا أراد محدثك أن يصف نقاء بياض الشيء وطراوته مثل بالجمارة .

قال الشاعر العامي :

العينْ عينَ الوحش يا ظَبي رمَّان والساق جمّارٍ غرس لاح بِقِنِيّه

جَاضَ : مال وانحرف .

قال الشاعر :

فأنتَ الذي يستنطقُ الحربَ بأسُهُ إذا جاض عن حَدِّ الأسِنة جَايِضُ

وهي كلمة شائعة الاستعمال وتعني عدم الصبر والتململ لأمر من الأمور .

قال الشاعر العامي :

الله من قلْب بِجَوْفَ الحشا جَاضْ كما يجوض إذا أوجس الكيّ مَمْرُوض

جِذْلُ : السيف القديم ، أو جذعُ الشجرة .

وقد جاء في الحديث : فأتى رسول الله (ص) فأَعْطَاهُ جِذْلاً من حطب يقاتل به وهي كلمة شائعة الاستعمال ، وقد يتعدّى إطلاقها على السيف إلى أسلحة وأدوات أخرى قد استعملت حتى كلّتْ شذرتها وأصبحت الاستفادة منها أقل من ذي قبل .

جِلاَلُ : هو ما تُجَلَّلُ به الدابة كالفرس وغيرها لوقايتها من البرد والمطر .

قال الشاعر :

فيوما تراها في الجِلال مَصُونَة ويوماً تراها غيْر ذات جِلاَل

ويقول الشاعر الشعبي :

أبو ثِلِيْل بالْبلايِلْ غَذَاها اذْيال شِقْرٍ نَسَّفَن الإجِلَّهْ

حَرَنَ : الحِرْان عدم الانقياد .

قال الشاعر :

فانْهَضْ وإنْ خلت الشتاء مُصَمِّماً حرن الخليقة جانحاً في المسحل

وهي كلمة شائعة الاستعمال في وصف الدواب وحتى للانسان اذا كان صعب الانقياد لأمر من الأمور .

حَلِيْلَة : هي الزوجة .

قال الشاعر :

ونُسْلِمَهُ حتَّى نُصرَّعَ حَوْلَه ونَذْهَلُ عَنْ أبنائنا والْحَلائِل

وهي كلمة شائعة الاستعمال فقد تسمع محدثك يقول لصاحبه : تناديك حليلتك .

حَايِدٌ : هو المنصرف أو المتنحي :

وينسب لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في أثناء بناء مسجد رسول الله (ص) :

لا يستوى من يَعْمر المساجِدَا يدأبُ فيه قائماً وقاعدا

ومن يُرَى عن الغُبَار حائدا

وهي كلمة تكثر العامة استعملها مع تخفيف الهمزة بحذفها وإبدالها ياءاً قال الشاعر العاميُّ :

الرجل مثِلكْ ما يْحايِد مِنْ بِعِيْد يَقْلُطْ على الدِّيْرة يهِدّ جْدَارها

حَضَأَ النَّارَ : أوقدها ولاحظها .

وقد جاء في الخبر : «فاَطْفيُ ولا تُوقِدْ ولاتَكُ مُحضئًا النَّار» وقال الشاعر :

حَضَأْتُ له ناري فأبْصَرَ ضَوءهَا وما كان لولا حَضْأَةُ النّار يَهْتَدي

وهي كلمة شائعة الاستعمال بتخفيف الهمزة يقول المثل الشعبي : كلٌّ يَحضا النار على قرصه .

حَرَّشَ : أفسد بالوشاية بين الناس .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجمحيُّ الى رسول الله (ص) : والله ما جاء إلاَّ لِشَرٍّ وهو الذي حَرَّشَ بيننا وحَزرنا للقوم يوم بَدْر» .

وهي من الكلمات الشائعة .

خَسِيْف : من صفات البئر .

قال الشاعر :

أوردَتني الْعِدَّ الخَسِيْف وقد أُرَى أتبرضُ الثَّمَدَ البَكيَّ مُبَرِّضاً

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الفلاحين ، ويطلقون الكلمة على البئر القليل الماء أو الذي لا ماء فيه . مع أنَّ المفهوم من قول الشاعر أنها البئر العد الكثيرة الماء .

خُلْبٌ : لِيْفُ النخل .

قال الشاعر :

ومُطَّرِداً كَرِشَاء الْجرور مِنْ خُلُب النَّخْلة الأَجْرَد

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الفلاحين حينما كانوا يفتلون من اللّيف الحبال والأرشية .

خَبَطْ : ورق شجر الطلح .

في خبر احدى سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم فقدوا الطعام حتى كانوا يأكلون الخبط » .

وطريقة الخبط ، ان تخضد أغصان الطلح الشوكية خضراء ثم تُجفف في مكان صلب ، ثم تخبط الأغصان بعصا طويلة فيسقط الورق من أغصانه ويسمى جامع الخبط ، خابط أو خبَّاط .

دَلْوٌ : يخرج بها الماء من البئر .

قال الشاعر :

كالدلو بُتَّتْ عراها وهي مثقلة إذْ خانَها وَذَمٌ فِيها وتَكْرِيبُ

والوذم حبل أوسير رفيع يثبت العرقاة في الدلو .

وهاتان الكلمتان شائعتا الاستعمال في بيئة الفلاَّحين والبادية .

دَحْلٌ : نقب فمه ضيق وأسفله متسع ويوجد به ماء وورد ذكر الكلمة في كتب اللغة كثيراً .

دَلَعَ لِسَانَهُ : أخرجه من فمه مرتخياً .

وقد جاء في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «دَعني أنزع ثَنِيَّة سُهَيْل بْن عَمْرٍو ، ويدلع لسانه» وهي كلمة شائعة الاستعمال ، فقد تسمع محدثك يقول :

تعب من الركض حتى دلع لسانه ، وتستعمل في وصف من أُفْرِطَ في تدليله من الأطفال بأنه «مُدَلَّع» .

وقد تكون هذه محرَّفة عن مُدَلَّل من الدلال) .

ذُبَابُ السَّيف : طرفه .

قال الشاعر :

أَكرمْتَ سيفَكَ غَرْبَهُ وذُبَابَهُ عَنهُم وحُقَّ لِسَيْفكَ الإكرامُ

وقد تستعمل للسيف والخنجر والسكين فقد يقال : ناشه بذباب السيف ، ووخزه بذباب الخنجر .

ذَائِرٌ : الهارب من فَزَع أو خوف ، وورد بهذا المعنى في كتب اللغة والعامة تستعمل الكلمة بتخفيف الهمزة أ وإبدالها بالياء فقد تسمع محدثك يَعد لصاحبه قائلاً : ما يذيره ذاير ما دام تحت عهدتي . وفلان ذَيِّر الصيد .

ركِيَّة : هي البئر

قال الشاعر :

ومن سيوف من الهنديّ مخلصَةٌ ومن رماح كأشْطَان الركيَّات

وهي من الكلمات المشهورة بكثرة استعمالها .

ويقول الشاعر العامي :

أَلّي وسَمْ حالي خَفيٌ على الناس   وَسْمَ الْـمحُوص بجَال خَطْوَ الركية

رَغُوث : الشاة الحلوب

قال الشاعر :

فليتَ لنا مكان الْمَلك عمرو   رَغُوثاً حَوْلَ قَبْنتنا تَخُور

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الربعي

رَبَض : ربضت الشاة بمعنى بركت .

وهي كلمة شائعة الاستعمال لغير الابل التي تستعمل لها كلمة بَرَك

رَضَم : الحجر يُرَصُّ بعضه على بعض .

وقد جاء في وصف الكعبة المشرفة قبل الإسلام : «وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كانت رَضَماً» .

رَضٌ مَرْضُوضٌ : مدقوق بدون كسر

قال الشاعر :

لا تكنْ لي ولنْ تكونَ لِقَوْمٍ   عُوْدُهُمْ حِيْنَ يُعْجَمُون رَضِيْضُ

وهي كلمة شائعة الاستعمال فقد تسمع محدثك يصف انساناً صار له حادث سيارة بأنه قد سلم من الكسور لكنه لا يخلو من الرضوض .

رَحْلُ : الشِّداد ــ الاداة التي توضع على ظهر المطية للركوب فوقها .

قال الشاعر :

ويوم عقرت للعذارى مطيّتي   فيا عَجَبا من رحلها المُتَحمَّل

وتوصف المطية التي يوضع عليها الرحل ، بأنها رَحُول

زَحْلَفَ : أي تزحلق .

قال الشاعر :

لِـــمَنْ زُحْـــلُوفَـــةٌ زُلٌّ   بِـهـا الْـعَـيْـنانِ تَـنْـهَـلٌّ

وتستعمل لوصف الثقلاء فيقال : لا يزال يتزحلف في مكانه إذا طال مكثه .

سِنْخُ : أصل الشيء وقد يطلق على النخلة .

قال الشاعر :

والسيف ما لم يلف فيه صيقل   من سِنْخِه لم ينتفع بصقال

والعامة تقلب السين صاداً فتقول (صنخ).

سَنَّ : أي شحذ السيف أو السكين ونحوهما حتى يصبح قاطعاً .

قال الشاعر :

فـإمَّـا تـقـتـلون فـإنَّ عـمـراً   أعَضَّ بِـرَأْسِـهِ عَضْبٌ سـنـينُ

سِيْفُ : شاطىء البحر .

وقد جاء في الحديث : وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم الى سيف البحر ، والكلمة كثيرة الاستعمال .

قال الشاعر العامي :

لا واهَنِيّك بالنّجُوْمَ المَدَابِيْح   اللّي على سِيْف الْبَحر شرَّعَنّ

سَعَفْ : جريد النخل .

قال الشاعر :

سبوحاً جموحاً وإحضارها   كمعمعة السَّعف الْمُوقِد

سَوَانيْ : الدواب التي تخرج الماء من البئر .

قال الشاعر :

قبِلْنَ غُرُوباً من سُمَيْحَة أنْزَعَتْ   بِهِنّ السواني واستدار مَحَالُها

وهي كلمة شائعة الاستعمال قبل وجود مضخات الماء الآلية .

شَرِيْعَة/ مشرع : الماءُ المُشرَّع لشرب الدواب .

قال الشاعر :

فلما رأتْ أن الشَّريعة هَمُّها وأنَّ البَيَاض من فرائِصِها دامي

وكلمة مشرع أكثر استعمالاً فقد تسمع محدثك يقول : إنه ارتوى وأروى مواشيه من المشرع الفلاني .

شَاني : الذي لا يعترف بالمعروف .

يقول الشاعر :

أيها الشانىء المبلغ عنا عند عَمْرٍو، وهَل لِذَاك انْتِهاءُ؟

وهي كلمة شائعة الاستعمال مع تخفيف الهمزة واستبدالها ياء .

شُنُوفُ : جمع شِنْف وهي الأقراط .

قال الشاعر :

وننسى اللات والعزى وودًّا ونَسْلِبُها القلائد والشُّنُوفَا

وقال الشاعر العامي :

لو عرضوا لي لابِسْ الخِضْر وشنوف ما أبغَاه لو انَّه على الرُّوح عزَّام

شَدَخ : ضربه ضربة قوية شدخت رأسه .

قال الشاعر :

مذخورة أحرزتها بحكومة لله تَشْدَخُ أرؤُس الحُكَّام

وتسمى مصيدة الفئران الشِّدَّاخة .

شَنَّة : هي القربة البالية :

وقد جاء في الخبر : ثم أخذ شنًّا لها يسقيان به » .

قال الشاعر العامي :

أضْحَكْ مع اللّي ضحَكْ والْهَمّ طاوِيني طَويْةِ شنُونَ العَرَبْ لياقَطَّروا ماها

صُوْرُ النَّخْل : صغاره الملتفة حول أصوله .

فقد جاء في الخبر : فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صور من النخل .

صَبُوحُ : ما يشرب في الصباح والغبوق ما يشرب في المساء .

قال الشاعر :

خليليَّ ما أحْلى صبُوحي بِدِجْلَةٍ وأطـيَبُ مـنـه بالصراط غَبُوقي

ضَوَى : أتى ليلاً وفي الخبر : عن وصول المهاجرين الى الحبشة :

أنه قد ضوى الى بلد الملك غلمان سفهاء .

وهي كلمة شائعة الاستعمال ، فقد تسمع محدثك يصف غلاماً نحيلاً ويظنُّ أن سبب ذلك سوء تغذيته : كأنه لا يضوي على أجواد .

طِمْل : الرجل الوسخ

قال الشاعر :

وسَـهْـمٌ ومخزوم تمالَوْا وألَّـبُوا علينا الْعِدا من كُلِّ طِمْل وخَامِلِ

وهي كلمة شائعة الاستعمال لغير النظيف في عرضه أو مظهره في لسانه أو معاملته مع الآخرين ، غير أنهم ينصبون الطاء .

طُلَّهُ : أي اتركه وأهمله :

ورد في الخبر : دمي في خُزَاعَةَ فلا تَطُلُّنهُ»

وهي كلمة شائعة الاستعمال ، فقد تسمع محدثك يقول : طُلَّ كلامه .

طَرْخَمَ : الممتلى كِبْراً وغيضاً .

قال الشاعر :

جنود تسوقُ الفِيْلَ حتى أعادهم هَبَاءاً وكانوا مُطْرِخِمي الطراخم

ويقول العامي في وصف خصمه إنه مُطَرخِم لا يرى من الأرض شبراً .

طَيٌّ : الحجارة يطوى بها البئر .

وقد جاء في الخبر : عن حفر بئر زَمزم ـــ : فلما بدا لعبد المطلب الطَّيُّ كبَّر» .

عَافِيْه : أسيره أو من التجأ إليه .

وقد جاء في الخبر : وهم يفدون عافيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
ومن أمثال العامة كل إنسان دون عانِيه أي ضيفه أو من التجأ إليه .

غَبِيْط : هو الهودج

يقول الشاعر :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عَقَرْتَ بعيري يا امرأ القيس فانزل

الْفَلَج : الانتصار على الخصم .

قال الشاعر :

فيَلْقى من يخاصمه خَسَاراً ويلقى من يُسالمه فُلُوجاً

وتقول العامّة : إن فلانا فلج خصمه .

فَلْكَةُ مِغْزل : رأسه الذي تثبت به السنارة :

قال الشاعر :

كأن ذُرَى رأس المجيمر غدوة من السيل والاغثاء فلكة مغزل

وهي كلمة كثيرة الاستعمال في بيئة الرعى .

قَدَعَهُ : كَفّهُ وكَبَحَهُ

قال الشاعر :

قُدِعْتُم فشيتم مشْيةً أَمَمًا كذاك يَحْسُنُ مَشْيُ الخَيْل في اللُّجُم

وقال الشاعر العامي :

أَشْهَبٍ مثل الجبل تسمع رَطِيْنَهْ أرملي يقدعه قَدْع الحصان

وتستعمل لكبح الرجل عن هواه ، وكذلك مقادير الأشياء فقد تسمع محدثك وهو يعمل القهوة يقول إقْدع النار ، واقدع ماء الطبخة .

قَرْطَسَهُ : أصابه .

قال الشاعر :

غرض المديح تقاربتْ آفاقه ورَمَى فَقَرْطَسَ فيك غَيْرُ الرَّامي

وهي كلمة كثيرة الاستعمال لدى الصيادين ، فقد تسمع محدثك يقول : قرطست الغزال في موضعه ، والحُبارى في مكانها .

قُصْبُ : واحد الأمعاء ،

وقد جاء في الخبر «حُدِّثْتُ أن رسول الله (ص) قال : رأيت عَمْرو بن لُحَيٍّ يَجُرُّ قصْبَه في النار» وهي كلمة شائعة الاستعمال فقد تسمع محدثك يصف مشادَّةً بين رجلين : انتهت بأن قدَّ أحدُهُما بطن خصمه فاندلع قصبه .

قَارِح : التام السِّن من ذكور الغنم والحمير.

قال الشاعر :

كأني ورحلي فوق أحقَب قارح بِشُرمَة أوْ طَاوٍ بِعِرنَانَ مُوْجسِ

ومن أقوالهم هذا ثني وذاك رباع وهذا سدس ، وتلك قارح في ذكر الغنم والخيل أيضاً .

قَضِيْف : نحيف .

قال الشاعر :

مثقفان سَلَبْنَ الرُّومَ زُرقَتَها والعُرْب سُمْرَتَها والعاشِقَ القَضَفَا

وقد يوصف الشخص الحَيَتيُّ بأنه قَضِيف الوجه .

قَرْمٌ : هو الشجاع الذكي .

قال الشاعر :

أقرْم بَكْر تباهى أيُّها الحضض ونَجْمها أيُّهذا الهالك الْحَرِضُ؟

وهي كلمة شائعة الاستعمال يوصف بها كل من قام بِعَمل يُحْمَدُ عليه .

قال الشاعر العامي :

ما بين شِمْطَان اللِّحَى والأواليد زَمَّةٍ قْرُوم فَوْق مِثْلَ السبال

لَثَقَ : ابْتلَّتْ ثيابه .

قال الشاعر :

وبات إلى أرْطاةِ حُقفٍ كأنَّها إذَا لَثَّقَتها غبيةٌ بَيْتُ مُعْرس

يقال : جاء وثيابه تَلْثِقُ .

لُصْبُ : شقٌّ في الجبل أو الجدار ، أو ناحية ضيقة .

قال الشاعر :

إليك سَرَى بِالْمَدح قومٌ كأنَّهُم   عَلَى الميْس حيَّاتُ اللِّصاب النضائِضُ

وهي كلمة يوصف بها المنزل الضيق ، فيقال : لقد عاش فلان كلَّ عمره في هذا اللصب .

كَدَمَهُ : ضربه ببطن كَفِّه ، ولَطَمَهُ ضربه بظهر الكف .

قال الشاعر :

ولـلـفـؤاد وَجِيْبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ   لَدْم الوَلِيْد وَرَاءَ الغَيْب بالحجر

وهما كلمتان شائعتا الاستعمال ، تقول العامّة : لدمت فمه بالتراب ثم لطمته بكفي .

مَحَالة : البكرة الكبيرة .

قال الشاعر :

يدير قطاةً كالْمحالةِ أشْرَفَت   إلى سَنَدٍ مِثْل الغَبِيْط المُذَأَّبِ

والاسم شائع الاستعمال في بيئة الفلاحين قبل أن تصبح وسائل اخراج الماء آلية قال الشاعر العامي :

أنـا ليـاركْبَ الرّشا للمحَالَة   واستقلتْ ماني من الحرب فَلاَّل

مَحْل : الجدب والجفاف .

قال الشاعر :

وَصُولاً لـلـقـرابـة هِـبْـرزيًّـا   وَغَيْثاً في السِّنينَ المُمحِلاَت

وقد تسمع من يعدد سني عمره أنه ولد سنة الربيع الطيِّب الذي أعقبه المحل .

مَرَطَهُ : نزعه وألقى به .

وقد جاء في الخبر : هُوَ يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وهي كلمة كثيرة الاستعمال ، وتعني قوة نزع الشيء كأن تسمع محدثك يقول : لقد مرط القماش من يدي ، فرطَّت عصاه من قبضته .

نَزْغَةُ الشَّيْطَان : الإفساد بين الناس .

وقد جاء في الخبر : «فعرف القوم أنها نزغة شيطان» .

وهي جملة شائعة الاستعمال فقد تصف شخصاً شرّيراً بأنه نزغة شيطان أي كثير الإفساد بين الناس .

نَبـثُ ، نَبِيثَة : وهي تراب البئر أو الحفرة .

قال الشاعر :

كَـأُدْمِ ظِـبَـاء حول مَكَّة عُكَّفٍ يَرِدْنَ حِيَاض البِئر ذَاتِ النَّبائِثِ

وهي كلمة مستعملة في بيئة الفلاحين ، يقول : لقد نمت البارحة فوق النبث الذي أمضينا عليه سهرتنا .

نَضَحَ : النضح الرذاذ المنتشر من أي سائل كالماء والدّم وغيرهما .

وقد جاء في الخبر «فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضَحٌ من دمه» وهي كلمة شائعة الاستعمال ، وتجاوز استعمالها نَضَح السوائل من الأوعية إلى معرفة كُنْه الرجل ، فقد تسمع محدثك يقول : أنضتُّ الى الرجل لأعرف منضوحه ، أي لاسبُر غوره .

وَيْح : أي ويل .

وقد جاء في الخبر : وَيحَ ابن سُمَيَّة ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الْفئة الباغية ، وهي كلمة كثيرة الاستعمال في ساعات الشدة والحزن ، فكثيراً ما تسمع امرأة تصيح قائلة : يا ويحي وَيحاه ! !

وَكْر : هو عُشُّ الطائر .

قال الشاعر :

ولـه الـطير تستريـد وتـأوي في وُكُور من آمنـاتِ الجِبَالِ

وتسمع صائد الصقور يقول لقد أخذت هذا الحرُّ النَّادِرَ من وكره .

وَدِيَّة : النخلة القصيرة الشابة .

قال الشاعر :

ثَوَى عِنْدَ الوَدِيَّة جَوْف بُصَرى   أَبُو الأيتام والكلٌّ العِجَافِ

وقال الشاعر العامي :

خَطْوَ الوديَّة شَلَّتَه من هَباله   بَوع لِيَا اصْفَرَّت مَثاني غَذُوقه

وَشِيْقٌ : اللحم المقدَّد المضاف إليه الماء والملح ، ويسمى القديد أيضاً .

قال الشاعر :

وظلَّ صِحَابي يَشتوون بِنِعمةٍ   يَصُفون غاراً بالقديد الموشَّقِ

وهي كلمة كثيراً ما تطرق مسامعك في أيام عيد الأضحى ولحوم الأضاحي .

هَبَّرُوهُم : قطعوا لحمهم .

جاء في الخبر : فهبروهما بأسيافهم .

والتهبير قطع لحم الهبر .

هِجَارٌ : الحبل تُربط به يد الدابة أو رجلها لكبحها عن الانطلاق في السير .

قال الشاعر :

رأتْ ملكا بنجَاف الغَبِيط   فكادَت تَجُذُّ لذاك الهِجْار

وقد سمِّيت وجبة خفيفة تؤكل بين وجبتي الغداء والعشاء وغالباً ما تكون من التمر «بالهَجُور» لتكبح جماح المعدة حتى موعد العشاء [وقد تكون مأخوذة من الوقت الذي تحدث فيه وهو الهاجرة] .

الرياض   عبد الرحمن بن زيد السُّويْدَاء

آل سعود وآل مقرن

[نشرت «العرب» في الجزء الماضي طرفاً من أنساب الأسر، على ما جاء في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وها هو ما ورد في ذلك الكتاب].

آلُ سُعُـود :

ما ذكر هذا الاسم الكريم (سعود) إلا خطر في ذِهْني قول ابن الرومي

كَـمْ من أبٍ قَدْ عَـلاَ بِابْـنٍ لَـهُ شرفاً

إنها أُسرةٌ قد أغناها الله عن الإطراء والثناء، بما وهبها من الحول والطَّول — وما منحها من العزِّ الذي بِهِ أعلى شأنَ الأمة العربية وأشادَ صَرْحَ العَدْل راسخاً في هذه المملكة، وأيَّدَ الدِّيْنَ الإسلامي الحَنيف في جميع أنحاء المعمورة.

ثم هي بمالها — بين العرب — من أصالة في الحسب والنسب، تُعتبر أرفع أُسرة سامقة الفروع، راسخة الأصول، في الجذم الربعي العدناني، الذي سَمَا بانتساب تلك الأسرة إليه.

فسعود — الجد التي تُنمى اليه هذه الأسرة — هو ابن محمد بن مُقرن.
وسيأتي الكلام مُفَصَّلاً عن آل مُقرن المُريدي الوائلي الربعي، وعن المُردة، ووايل في محلها من هذا الكتاب.

ولا يتَّسع المجال للحديث عن هذه الأسرة الكريمة التي أُلِّفت عنها المؤلفات الكثيرة، وما زالت تُؤلَّف منذ منتصف القرن الثاني عشر إلى هذا العهد، فالكتاب مُخصَّص لذكر الأنساب، لا للتاريخ، الذي يحسن الاكتفاء بعرض جُمَل موجزة عنه.

قال ابن بِشرٍ ما مُلخَّصه(١) :

فأما محمد بن مقرن فخلف من الولد مقرن وسعود .

ومقرن هذا ليس له ذرية إلا عبدالله الذي جعله عبد العزيز أميراً في الرياض يوم فتحها .

وأما سعود فخلف أولاداً منهم محمد ومشاري وثُنيان وفرحان .

فأما محمد فهو كما ذكرنا صفت له ولاية الدِّرعية بعد قتل ابن مُعمَّر لزيد وأصحابه .

فلما تبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه بهذه الدعوة في بلد العُيينة عند عثمان بن مُعمَّر ، ورأى منه الجفاء ، قصد محمد بن سعود فآواه ونصره ، وجهز الجيوش لنصر دعوته كما سبق ذلك مفصلاً .

ومن أولاده الإمام المجاهد ، والبطل المجالد ، مجهز الغزوات والجنود ، ورافع الرايات والبنود ، عبد العزيز بن محمد بن سعود ، قاد الجيوش العرمرمية لنصر الدعوة المحمدية .

ثم ولده الإمام سعود بن عبد العزيز الذي قاد الجيوش المنصورة ، والخيل العتاق المشهورة ، حتى أذعنت صناديد العربان ، وذلّت رؤساؤهم لأحكام القرآن .

وكذا صار في زمن أبيه بل هو فيه أعظم أمناً وايمان .

ثم ابنه الإمام عبدالله بن سعود ، الذي قاد الجيوش شرقاً وغرباً ، وكابد العساكر المصرية حرباً وضربا . فتتابعت عليه الحروب والكروب ، وصبر حتى تفرّق الناس عليه شعوب ، وحارب الترك في الحجاز وفي الدرعية ، حتى مضى عليه حُكمُ رب البرية ، وانتقض نظام الجماعة والائتلاف ، بعدما قاتل قتالاً ما قاتله أحَدٌ من الأسلاف .

ومن أبناء سعود فيصل وقتل في حرب الدرعية وكان له شجاعة وشهرة .

وناصر وتركي ماتا قبله .

وابراهيم قتل في ذلك الحرب .

وسعد وفهد ومشاري وعبد الرحمن وعمر وحسن نقلهم ابراهيم باشا الى مصر ، بأولادهم ونسائهم كما سبق بيانه وماتوا هناك .

ومن أولاد عبدالله بن سعود سَعدٌ الذي اشتهر في حرب الدرعية .

ومن أبناء محمد بن سعود أيضاً عبدالله بن محمد بن سعود الذي آزر آخاه عبد العزيز ، وقاتل معه أشد القتال .

ثم إبنه الإمام ، والشجاع الهمام ، تركي بن عبدالله ، الذي أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها .

ثم ابنه الإمام الشجاع الثابت الضرغام ، فيصل ابن تركي ، الذي استنقذ الملك ، وظهر من حبس الترك مرتين ، وأخذ الملك قسراً وقهراً كرتين .

وأما أولاد فيصل فالأكابر منهم عبدالله ومحمد وسعود .

وأما جلوي بن تركي فاستعمله الإمام فيصل على ناحية عظيمة وسيأتي ذكره والتعريف بفخره وأمره .

وأما عبدالله بن تركي فشجاعته وفضائله معروفة منشورة ، وقد استعمله الإمام فيصل في سراياه ، فظهر منه شجاعة وإقدام ، ورأى ونقض وإبرام .

وكان لعبدالله بن محمد[٢] أولاد كبار مات أكثرهم في مصر ، ومنهم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله المؤازر لابن عمه الإمام فيصل في بلدة الرياض .

وأما مشاري بن سعود بن محمد بن مُقرن فإنه الذي آزر أخاه محمد بن سعود ، في نصر هذا الدين ، وابنه حسن بن مشاري الذي قاد السرايا وقاتل مع عبد العزيز بن سعود وله أولاد فرسان شجعان ، قتلوا في حرب إبراهيم باشا في الدرعية ، وابنه أيضاً عبد الرحمن ، وابنه مشاري بن عبد الرحمن هو الذي قتل ابن عمه الإمام تركي رحمه الله .

وأما ثُنَيَّان بن سعود بن محمد بن مقرن فإنه ضرير البصر ، ولكن الله فتح بصيرته لهذا الدين ، وكان عَضُداً لأخيه محمد بن سعود والمشير عليه بالقبول والمؤازرة للشيخ على هذه الدعوة .

ومن ذريته عبدالله بن ثُنَيَّان بن إبراهيم بن ثنيان المذكور.

ومنهم فيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثُنَيَّان الذي قتل مع الإمام فيصل في حرب الدَّلَم .

ومنهم محمد بن يوسف بن ثنيان جاء من مصر وسكن عند الإمام فيصل .
وأما فرحان بن سعود فمن ذريته سعود بن إبراهيم بن عبدالله ابن فرحان .
وأجمل ما فَصَّله ابن بشر صاحب كتاب «تحفة المشتاق»[3] فقال :

وأما مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع ابن ربيعة المُرَيدي فله من الولد : محمد ، وعيّاف ، وعبدالله ـــ جد آل ناصر ـــ ومات محمد بن مقرن سنة ١١٠٦ هـ .

فأما محمد بن مقرن ، فله من الولد مقرن وسعود ، ومقرن هذا ليس له ذرية إلا عبدالله ، الذي جعله عبد العزيز بن محمد بن سعود أميراً في الرياض حين استولى عليها .

وأما سعود بن محمد بن مقرن ، فله أربعة أولاد ، وهم : محمد ومشاري ، وثنيان ، ومرخان . ومات سعود المذكور سنة ١١٣٧ هـ .

فأما محمد بن سعود بن محمد بن مقرن فهو الذي قام في نصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكانت له الولاية بعد أبيه . وتوفي محمد ابن سعود المذكور شهيداً سنة تسع وسبعين وألف ومئة .

وتولى بعده ابنه عبد العزيز وتوفي يوم الاثنين ٢٢ رجب سنة ١٢١٨ هـ ،
وتولى بعده عبد العزيز ابن سعود وتوفي ليلة الاثنين ٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٢٩ هـ .

وتولّى بعده ابنه عبدالله بن سعود بن عبد العزيز وأمسكه إبراهيم باشا في الدرعية وأرسله إلى مصر سنة ١٢٣٣ هـ .

وكان لسعود بن عبد العزيز عدة أولاد غير عبدالله المذكور ، وهم : ناصر ، وتركي ، ماتا في حياة أبيهما .
وفيصل ، وإبراهيم ، قتلا في حرب الدرعية .

وسعد ، وفهد ، ومشاري ، وعبد الرحمن ، وعمر ، وحسن ، نقلهم ابراهيم باشا الى مصر بأولادهم ونسائهم .

ومن أولاد محمد بن سعود أيضاً عبدالله بن محمد بن سعود .

ولعبدالله المذكور عدة أولاد .

منهم : الإمام تركي بن عبدالله .

وإبراهيم — وولده عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد ، ابن سعود الملقب صُنَيتان .

وباقي أولاد عبدالله بن محمد بن سعود نقلهم إبراهيم باشا الى مصر وماتوا هناك .

وأولاد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ثلاثة ، وهم : فيصل ، وجلوي ، وعبدالله .

وأولاد الإمام فيصل أربعة[٤] .

وهم : عبدالله ، صار في الملك بعد أبيه ، ومات ولم يعقب إلا إناثاً .

ومحمد ، ومات ولم يعقب .

وسعود ، وأولاده خمسة : منهم عبد الرحمن — قتله بريه ، في واقعة مشهورة ، ولم يعقب ومحمد ، وعبدالله ، وسعد ، قتلهم سالم ابن سبهان في الخرج سنة ١٣٠٥ هـ بأمر محمد بن عبدالله بن رشيد ، وهم أولاد معروفون .

وعبد العزيز توفي في حايل سنة ١٣٢٢ هـ وله أولاد معروفون[٥] .

أما مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن ، وهو الذي قتل خاله تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ، بعد صلاة الجمعة في بلد الرياض ، وهو خارج من المسجد ، وذلك في سلخ ذي الحجة سنة ١٢٤٩ هـ .

وأما ثُنيَّان بن سعود بن محمد بن مقرن فإنه ضرير البصر ، وأولاده ثلاثة ، وهم : إبراهيم ، وعبدالله ، ويوسف .

فإبراهيم هو جد عبدالله بن ثُنيَّان بن سعود المشهور . وعبدالله هو جد فيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثُنيَّان بن سعود . ويوسف هو أبو أحمد بن يوسف بن ثنيان بن سعود .

وأما مرخان بن سعود بن محمد بن مقرن فمن ذريته سعود ابن إبراهيم بن عبدالله بن مرخان . انتهى ما ذكره ابن بسام صاحب كتاب «تحفة المشتاق» بنصه .

ومن أبناء الإمام فيصل بن تركي — الإمام عبد الرحمن أبو بطل الجزيرة ومُوَحِّد أقطارها الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، أعلى الله في الفردوس مقامه ، وإخوته الغُرّ الميامين ، ثم أبناؤه الملوك والأمراء ، سعود وفيصل — رحمهما الله — وخالد الملك المفدّى أيّده بالتوفيق ، وسدَّد خطاه ، وجعل له من إخوته أمراء البلاد وقادتها خير بطانة تؤازره على الحقّ والعدل ، لتنعم الأمة بما شملها في هذا العهد الميمون من صنوف السعادة والأمن والاطمئنان والرفاهية .

ومُجمل القول عن نسب هذه الأُسرة السعودية الكريمة أنّها من آل مُقرن ، المتصل نسبه بربيعة المُريدي .

والمُرَدَة من بني وائل من أسد بن ربيعة . هذا باتّفاق علماء النسب من أهل نجد .

والقول بأن آل سعود من بني حنيفة القبيلة الكريمة التي وصفها الله في القرآن الكريم بالبأس الشديد — قول معروف عن بَعْض مؤرخي نجد ، وبعض الباحثين من آل سعود — كالأمير عبدالله بن عبد الرحمن ، رحمه الله — ومن غيرهم من العلماء المعاصرين من يُرَجِّحه .

وهذا لا ينافي انتساب الأُسرة إلى قبيلة عنزةَ ، كما أوضحته في الكلام على (وايل) الجدِّ الذي لا خلاف في انتساب الأسرة إليه — كما في كتاب «مثير الوجد» و«شجرة آل سعود» .

وما هي الأنسابُ العريقة وما جدواها إذا لم تكُن الأفعال الكريمة ؟!

وذكرت محاورة جرّت بين الكاتب المؤرخ المعروف أمين الريحاني [٦] وبين الملك عبد العزيز — رحمه الله — حول قول المتوكل الليثي :

لَسنَا — وان أحْسَابُنَا كَرُمَتْ ... يَوماً على الأحساب نَتَّكِلُ
نَبني كَمَا كَانَتْ أوائِلُنَا ... تَبْني ونَفْعَل مِثْلَ ما فَعَلوا

فقاطع الملك عبد العزيز الرَّيحاني حين قرأ البيتين قائلاً : نحن نَبني يا حضرة الأستاذ كما كانت تبني أوائلنا ، ولكننا نفعل فوق ما فعلوا .

فقال الريحاني : أحسنت يا طويل العمر ، أحسنت ! ! أصلحوا البيت حتى إذا قرأ كلٌّ من تَشرَّفَ بالمثول لديكم :

نَبني كما كانت أوائلُنا تبني ونَفْعل (فوق) ما فَعَلوا

تحتدم فيه شعلة الحياة الجديدة ، فيسعى وهو يحترم الأجداد في ما يؤهله لاحترامهم .

آل مُقْرِنٍ :

مُقْرِن هو الجدُّ الثامن لمليك البِلاد المُفَدَّى ، ولإخوانه الغُر الميامين . خالد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله ابن محمد بن سعود بن محمد بن مُقرن .

وَإليه تُنمى الأسرة السُّعودية الكريمة وكان الملك عبد العزيز ــ قَدَّسَ الله روحه ــ كثيراً ما يعتزي قائلاً : (أنا ابن مُقرن) ! !

ومُقرن هو ــ كما هو معروف ــ ابن مَرخان بن إبراهيم بن موسى ابن ربيعة بن مانع بن ربيعة المُريدي ، من المردة .

ومانعٌ ــ على ما ذكر مؤرخو نجد ــ عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، وقد تقدَّم الكلام على المُردة ، وأنَّهم من بني وائل .

ويحسُن بسط القول في وائل لأنَّ كثيراً من الأُسر النجدية ــ حاضرة وبادية ــ تُنسب إليه .

وائل جِذْمٌ عَظيم من رَبيعة بن نزار بن مَعَد بن عدنان ، وتنتمي إليه فروع معروفة من قبيلة عنزة ، وأُسَرٌ كثيرة في نجد ، أشهرها الأسرة السعودية الكريمة ، فهي ــ بإجماع مؤرخي نجد . من المُردة .

والمُرْدَة من المصاليخ ، والمصاليخ من بني وهب . من ضنا مُسلم من عنزة[٧] .

وقال ابن لعبون في تاريخه[٨] في الكلام على نسب آل مُدلج : عند ذكر وايل ، وأن من وايل بني وهب — قال : وكان لِوَهب ولدان هُما مُنَبِّه ، وعليٌّ ، وعليٌّ هو جَدُّ ولد عليٍّ المعروفين اليوم .

ولمنَبِّه ولدان هُما حَسَن جَدُّ الحسَنة وصاعدٌ جدُّ المصاليخ .

ولصاعد ولدان وهما يعيش ، وقوعي . انتهى .

ولكنَّ اسم (عَنزة) لا يرِدُ في سلسلة النَّسَب السعودي الكريم ، من وائل إلى نزار بن مَعَدٍّ بن عَدنان — اذ وائل هو ابن قاسط بن هِنْبٍ ابن أفْصَا بن دُعميٍّ بن جَدِيلَةً ، بن أَسَدِ بن ربيعة بن نزار بن مَعَدٍّ ابن عدنان .

وعَنَزَةُ هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، فوائلٌ وعنزةُ يجمعها ربيعة . فكيف صار الانتساب إلى عنزة ، من قبل كثير من الوائليين ، وليس جَدّاً لهم ؟

وهذا مما سُئِلْتُ عنه كثيراً . ووجدته كثيراً بين قبائل العرب قديماً وحديثاً .

وإيضاحه أنَّ من عادة العرب إذا اشتهر فَرْعٌ من فروع القبيلة التي يجمعها أصلٌ واحد ، فإنَّ بقية الفروع تنتسب إلى ذلك الفرع ، ومثل هذا في القبائل المعاصرة مثل قبيلة شَمَّر — فقد كان هذا الاسم يُطْلَق على فرع قليل العدد ، من قبيلة طيءٍ ذات الفروع الكثيرة الشهيرة ، غير أن أكثَرَ تلك الفروع غادرت الجزيرة سوى فرع شَمَّر ، وفروع قليلة من طيءٍ ، انتسبت إلى شمَّر فيا بَعْد ، فأصبحت فروع طيءٍ في نَجْد داخلة في فرع شَمَّر ، وإن لم يجمعها في هذا الفرع سوى الجَدِّ الأعلى ، وهو طيء ، الذي انحصر في فرع صغير من فروع تلك القبيلة يعيش في العراق .

وهذا الأمر تدفع إليه الحياة التي كانت قبائل العرب تحياها داخل الجزيرة ، فهي بحاجة إلى حالة من العصبيَّة لكي تحمي نفسها قبل استتباب الأمن في هذه الربوع ، بقيام الحكم السعودي الميمون فيها .

وقُل مثل هذا في ربيعة الجذم العظيم من العرب العدنانية فَقَد تفرعت منه قبائل

كثيرة ، منها بكر ووائل ، وعنزة ، وعبد القيّس أهل البحرين (المنطقة الشرقية الآن) والنّمر ، ومن وايل : بنو عنز ، الذين دخلوا في قبائل عسير ، في جنوب الجزيرة ، وبنو حَنيفة الذين استقروا في واديهم مِنذ عصر ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر ، حيث لا تزال أسرٌ كثيرة في قرى هذا الوادي من بني حنيفة .

وفروع أخرى من بني وائل ومن بني تغلب في نعام والأفلاج ونواحيها ، ولكن جُل الفروع هاجرت من الجزيرة ، ولم يبق فيها من ربيعة من البادية سوى فروع يسيرة منها عنزة في حرار خيبر ونواحيها .

ومنها بنو حنيفة في واديها ، يجاورهم أناسٌ متحضِّرون من أبناء عمومتهم من بني بكر وايل ، في الوادي وحوله وفي جنوب العارض .

وتحضُّر القبيلة يُفقدها أهمَّ وسائل القُوة التي كانت تتخذ منها القبائل البدوية أبرز مميزات البداوة ، وهي الانتماء إلى العُنصر — الأصل — الذي به تحافظ على بقائها ، وحدةً متماسكة ، وكانت قبيلة عنزة هي القبيلة التي بقيت داخل الجزيرة متمسِّكة ببداوتها وبمميزاتها القبلية ، ولهذا فلا بد من الفروع التي تمتُّ إليها بصلة ، من بني وايل من الأنتساب إليها ، حتى وإن كانت من قبيلة أشهر منها كقبيلة بني حنيفة ، التي استطاعت أن تحمي نفسها في واديها ، وهي تعيش بين قبائل أكثر منها عدداً ، وأقوى عصبية كبني تميم ، وقيس عيلان — كما قال الشاعر الحنفي الجاهلي موسى بن جابر[٩] :

وجَـدَنـا أبـانـا كـان حـل ببـلـدة
سوى بين قيس قيس عيلان والفزر[١٠]
ورابـيـة أمـا الـعـدو فـحـولها مُطيف بنا في مثل دائرة المُهر
فـلما نـأت عـنـا الـعشيرة كُلُّـهـا أقمنا وحالفنا السُّيوف على الدهر
فَمَا أسلمتنا بعد في يوم وقعة ولا نحن أغمدنا السُّيوف على وتر

وقول الله أجل وأولى : — في وصف بني حنيفة — : «قُل للمُخلَّفين من الأعْراب ستُدعون إلى قوم أولي بَأسٍ شَدِيد تقاتلونهم أو يُسلمون» سورة الفتح الآية ٤٨ .

ومع ذلك كان لا بد لهم من الاعتزاء إلى أحد فروع القبيلة التي يجمعهم بها الجَدُّ الأعلى هو ربيعة ، وهذا أمرٌ متعارف بين العرب قديمهم وحديثهم .

قال البُلبيسي في كتابه الذي جمع فيه كتابي ابن الأثير والرشاطي في الأنساب[١١] . في الكلام على الغفاري : ومن الصحابة رضي الله عنهم الحكم بن عمرو وساق نسبه إلى نعيلة بن مُليل بن ضمرة بن بكر ، وقال : ونُعيلة هو أخو غِفَار ، نُسب إلى أخي جده ، وكثيراً ما تصنع العرب هذا ، إذا كان أشهر من جده . انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» : — في ترجمة الحكم : وقد ينسبون إلى الإخوة كثيراً انتهى ، وهذا من الأمور المعروفة .

لهذا فإن ما نقل الدكتور العجلانيُّ عن الأمير عبدالله بن عبد الرحمن من نسبة آل سعود إلى بني حنيفة ، لا يتنافى مع القواعد المعروفة عند علماء النَّسب قديماً .

فآل سُعود من بني بكر بن وائل ، وبنو حنيفة بن لُجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، ويجمع الفرعين أصل واحد بكر ابن وائل ، ويجمعها بعنزة جدٌّ واحد هو ربيعة .

وما نقله مؤرخو نجد من أن المُردة — أجداد آل سعود — من بني حنيفة له ما يُبرره — عدا ما تقدم من صلة القرابة ، وهو أن بني حنيفة ما كانت لتُمكِّن أحداً من النُّزول في واديها ما لم يكن على صلةٍ قوية بها . والقول بأن ابن درع الذي كان في الوادي ابن عَمٍّ للدروع الذين ينتمي إليهم مانع بن ربيعة الجدُّ الأعلى للأسرة السعودية الكريمة ، لا يتنافى مع القول بأن الدروع كانوا من بني حنيفة ، فنزع قسم منهم مع قبائل بكر بن وائل حين نَزحت إلى شرق الجزيرة ، ثم عاد منهم مانع بن ربيعة إلى قومه في هذا الوادي .

ولعل مما حمل بعض مؤرخي نجد من عدم تأييد قول الشيخ راشد ابن خُنين أن المُردة من بني حنيفة .

١ — أن الشيخ راشدا — عفا الله عنه برحمته التي وسعت كل شيء كان من معارضي بعض آراء الإمام المُجَدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وخاصَّة قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بالزيارة ، خلاف ما هو الصحيح لدى محققي العلماء .

٢ ــ أنَّ بعض أعداء الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام محمد ابن عبد الوهاب ــ ونصرها ونشرها الأئمة من آل سعود ــ اتخذ من اسم (حنيفة) وسيلة للتنفير من قبول تلك الدعوة ، فقد خرج من بني حنيفة مُسيلمة الكذّاب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصار الأعداء يضربون على هذه النغمة ، ويوردون أوهى الأسباب التي تربُط بين قيام الدعوة الكريمة في هذه البلاد ، وبين القائمين بها وبين عمل مسيلمة الكذّاب ، فكان من جرّاء ذلك تحاشي مؤرخي نجد ذكر الصلة بين بني حنيفة وبين الأُسرة السعودية الكريمة .

وهل كان في عدِّ أبي لهبٍ من أعمام المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وقد أنزل الله في ذَمِّه قرآنا يُتلى على مَرِّ العصور والأيام ، ما يزري بقدر المصطفى ؟ حاشا وكلا .

وبالإجمال فآل مُقرن أسرةٌ وائلية النسب ، ربعية ، عدنانية ، بها أعز الله العرب ، ورفع شأنها ، فأضافت إلى كرم المحتد ، وعراقة الأصل شرف الفعل ، ونُبل الخُلُق .

منذ أن قامت بمؤازرة الدعوة الإصلاحية التي عادت بالإسلام إلى منابعه الصافية ، وأصوله الصحيحة ، كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ثم أرست قواعد العدل ، في هذه البلاد ، التي سعدت بحكمها ، وتوحدَّت بذلك الحكم كلمتها ، وعمَّ الأمن ربوعها ، وانتشر الرخاء في جميع أقطارها ــ مما أصبح مضرب المثل في جميع أنحاء العالم ، وأصبح الحديثُ فيه من فضول القول .

وها هو ما ذكره مؤرخو نجد كابن بشر وابن عيسى وغيرهما عن الأُسرة الكريمة (آل مُقرن) في أول أمرها .

قال ابن بشر(١٢) :

قدم ربيعة بن مانع (١٣) من بلدهم القديمة المسماة بالدرعية عند القطيف قدم منها علي ابن درع صاحب(١٤) (حجر والجزعة) المعروفين قرب بلد الرياض ، وكان من عشيرته فأعطاه ابن درع المليبيد وغصيبة المعروفين في الدرعية فنزلها وعمرها ، واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها وزاد عمارتها ذريته من بعده وجيرانهم ، وذكر أن مانع المذكور كان مسكنه بلد الدروع من نواحي القطيف ، ثم انه تراسل هو ورئيس دروع

حجر اليمامة بنو عمٍّ دروع القطيف ، لما بينهم من المراحمة ، فاستخرج مانعاً من القطيف ، فأتى إليه في حجر ، وأعطاه المُليبيد وغَصيبة المذكورين ، وهما من نواحي ملكهم ، فاستقر فيهما هو وبنوه ، وما فوق غصيبة لآل يزيد إلى دون الجُبيلة ، ومن الجبيلة إلى الأبكَّين الجبلين المعروفين إلى موضع حُريملاء لحسن بن طوق جد آل معمر .

ثم ولد لمانع المذكور ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه وحارب آل يزيد .

ثم بعد ذلك ظهر ابنه موسى وصار له شهرة أعظم من أبيه وكثر جيرانه من الموالفة وغيرهم ، واستولى على الملك في حياة والده واحتال على قتل أبيه ربيعة فجرحه جراحات كثيرة ، وهرب إلى حمد بن حسن ابن طوق رئيس العيينة ، فأجاره وأكرمه لأجل معروف له عليه سابقاً .

ثم إن موسى سطا بالمُردة وجميع من عنده من الموالفة على آل يزيد في النعميَّة والوصيل ، وقتل منهم في ذلك الصباح ثمانين رجلاً ، واستولى على منازلهم ودمرها ، وكانت هذه الوقعة يضرب بها المثل في نجد فيقال (مثل صباح الموالفة لِآلِ يزيد) وتشتت آل يزيد بعدها ، ولم يقم لهم قائمة واستمر موسى في الولاية .

وتولى بعد موسى ابنه إبراهيم ، وكان لإبراهيم عدة أولاد : منهم عبد الرحمن وعبدالله وسيف ومرخان ، فأما عبد الرحمن فهو الذي استوطن بلد ضرما[١٥] ونواحيها وذريته آل عبد الرحمن المعروفين بالشيوخ ، وأما عبدالله فمن ذريته الوُطيب وغيره[١٦] .

وأما سيف فمن ذريته آل أبي يحيا أهل بلد أبي الكِباش المعروف .

وأما مرخان فخلف عدة أولاد، منهم مقرن وربيعة .

فأما مقرن فهو الذي من ذريته آل مقرن اليوم وخلف عدة أولاد منهم محمد وعبدالله جد آل ناصر وعياف ومرخان ، فأما محمد فخلف سعود ومقرن . انتهى .

وقد تقدم الكلام على (آل مقرن) و(آل سعود) .

* * *

الحـواشي :

(١) «عنوان المجد» : ص ١١ ج ٢ — طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

(٢) هو عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن جد الأسرة المالكة الكريمة ، ونسل أخيه عبد العزيز بن محمد انقرضوا .

(٣) الكتاب لا يزال مخطوطاً .

(٤) بل خمسة ويظهر أن هذا الكلام ، قيل قبل ولادة الإمام عبد الرحمن بن فيصل .

(٥) لم يذكر الإمام عبد الرحمن بن فيصل — رحمهما الله .

(٦) ملوك العرب ج ٢ ص ٩٧ ط ١٩٥١ في بيروت .

(٧) أنظر مجلة «العرب» س ١٥ ص ٦٠٢ .

(٨) في القسم الذي لا يزال مخطوطاً .

(٩) «المؤتلف والمختلف» للآمدي و«معجم الشعراء» للمرزباني .

(١٠) سوى : وسط والفِزْرُ لقب بني سعد بن زيد مناة بن تميم .

(١١) لا يزال مخطوطاً .

(١٢) «عنوان المجد» — ص ١٨٩/ ١٩٠ — طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ . (١٩٧١ م) .

(١٣) في تاريخ ابن عيسى : (مانع بن ربيعة المريدي من بلد الدروع) .

(١٤) عند ابن عيسى : (أهل وادي حنيفة وكان بينهما مواصلة ، لأن كلا منهما ينتسب إلى حنيفة) .

(١٥) عند ابن عيسى (ضرما وجو ونواحيها)

(١٦) زاد ابن عيسى : (وآل حسين وآل عيسى) .

* * *

ولاتمام البحث يحسن الرجوع الى الكلام على بني (حنيفة) في حرف الحاء و(بني وائل) حرف الواو — من كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» .

المجتمع البدوي

[المجتمعات البدوية في جميع أقطار الجزيرة العربية تكاد تكون متماثلة في عاداتها وتقاليدها ، وفي جميع أحوالها ، بل إن التشابه في كل ذلك لا ينحصر في سكان الجزيرة ، بل يوشك أن يكون عاماً في جميع المجتمعات القبليّة العربية في مختلف الأقطار التي تحلها قبائل عربية ، انتقلت من الجزيرة .

وما عرب الأردن في باديتهم سوى امتداد لعرب نجد والحجاز ، ولهذا فلا غرابة ان تتشابه العادات والأحوال ، إلاّ أن عرب الجزيرة — بعد انتشار دعوة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — منذ منتصف القرن الثاني عشر إلى عهدنا تحرّروا من كثير من العادات التي لا تتفق مع قواعد الشرع الشريف ، كالاحتكام لدى قضاة يحكمون بالعرف أو العادة ، وغير ذلك من الأمور المحرمة شرعاً ، فزالت كل العادات والتقاليد المتوارثة مما لم يقرّه الشرع . إلا أن كثيراً من أهل البادية الذين انتقلوا من قلب الجزيرة لا يزالون متمسكين بشيء من ذلك . والحديث عن هذا يقصد منه معرفة جوانب من حياة الأمّة على ما هي عليه ، وفي هذا ما يفيد الباحثين في أمراض المجتمع العربي — على وجه الإجمال — بغية الوصول إلى وسائل العلاج الناجع ، وان لم تكن كل العادات والتقاليد غير نافعة .

والصّديق الكريم الأستاذ روكس بن زائد العُزيزي ذو معرفة واسعة في أحوال البادية في ذلك الجزء الحبيب من الوطن العربي ، وله أبحاث ومؤلفات معروفة وها هو بحثه المُمتع الذي أتحف به قراء هذه المجلة] .

المجتمع البدوي : سابق للمجتمع الحضري ، وأصل له ، فإذا نظرت كل أسرةٍ من أسرنا الحضرية ، الى تاريخها تجد أنها تحدَّرت من قبيلة بدوية ، في الأصل . وهاجرت أسرتها لسبب من الأسباب ، إلى المدن واستقرت فيها .

أ — إما لطلب الرزق .

ب — واما لخصومة ، اضطرت تلك الأسرة للهجرة ،

ج — وإما لقحط أتى على ما تمتلك ، من إبل ، وأغنام .

د — وإما لمجاعة جارفة ، أو وباء مفنٍ .

هـ — واما لغارة لم تستطع صدَّها .

ونحن نعلم أن البدو كما يقول العلامة ابن خلدون ، هم المُنتحلون للمعاش

الطبيعي ، من القيام على الأنعام ، من الشاء والإبل ، ويتخذون البيوت من الشعر ، والوبر ، والشجر ، ومن الطين ، والحجارة غير منجّدة ، وقد يأوون إلى الغيران والكهوف .

وقد كان نظر البدو إلى صاحب الابل أرقى من نظرتهم إلى صاحب الغنم الذي يسمونه (الشاوي) . ليس هذا عند بدونا وحدهم ، ولكنه شمل العرب من أقدم الأزمنة .

فقالوا : (خير ما بالشّاوي ، صَبٌّ سمنه) .

وقال الشاعر البدويُّ (علي الرميثي) في علوائه البارعة ، المعروفة بـ(شيخة القصيد) لما فيها من رسم للمثل الأعلى في المجتمع البدوي :

ثـامِنْ وصـاتي ، بـه مَـعَـزَّة وهـيـبـة
عَلَيك بسِفن البَر حِرش الْـعَراقيب

الـزبـد ، لا يَـرْمـيك ، هُوَ والـرُّويـبـة
تَرْغَبِ لـحَوْش الضّـانْ وتـخَلّي النِّيْب

رَاعَى الـغَـنَـم يشيبْ، منْ قَبْل شَيَبَه
والْبِلْ ، مَعزَّه ، تـبعد ألهمٍّ والشَّيْبْ !

لَـن اشْلَـهِبَّ الـوَقْت ، لَـو هـو حَلِيْبَه
يُوْصِـلْك لأيّام الـفضَـا ، والتَّـعاجِيْب !

أما الذي يشتغل في الفلاحة ، فنظرتهم إليه سيئة ، إلى حَدٍّ أن بعض قضاة البدو تَحَرَّج من قبول شهادته ، أو قبلها بتحفظ .

* تقسيم البدو :

تقسم طوائف البدو الى هذه الأقسام :

أ ــ السُّلفَان ، ولا مفرد لها ، والسلفان مجتمع عربان كثيرة ، لها أصل واحد ، أو جمعها التحالف : أما كلمة سلف ، فهي اسم جمع للفرسان الذين يتقدمون العربان

الراحلة ، خوفاً من غارة تُشَنُّ ، ويقابل السِّلفان في العربية الفصحى ، الشّعب ، قال الشاعر البدوي ، مشيراً إلى ضخامة التجمع المعروف بـ(السّلفان) :

لو تَنْدَه المجمُول ، ما تسمع نْدَاه سلفان ، ما يَسْمع طرفها المنادي

ب ـــ القبيلة ، وجمعها قبايل ، وهي في الفصحى ، القبيلة أيضاً ، وهي أصغر من الشعب .

ج ـــ عشيرة والجمع عشاير ، ونلاحظ أنهم لا يقلبون حرف العلة همزة ، كما تُوجب القاعدة ، في جمع قبيلة . ويقابلها في الفصحى الفصيلة ، وهي أصغر من القبيلة .

د ـــ الفِريق ، وجَمْعُهُ فرقان ـــ وبعض القبائل ، تلفظ القاف جيماً ، وهذا مألوف في العراق إذ يقولون (جاسم) بدلاً من قاسم . والفريق أصغر من العشيرة . ويقابل الفريق في الفصحى العشيرة ، وجمعها في الفصحى عشائر ، بالهمز .

هـ ـــ الفِرقَة وجمعها فرق ، ويقابل الفرقة بالفصحى ، العمارة ، جمعها عمائر .

و ـــ الفِنْدَة ، وجمعها فُنَد ، يقابلها في الفصحى البَطْن ، والجمع بطون

ز ـــ فَيِّه ، والجمع فَيَّات ، ويقابلها في الفصحى : الفخذ .

ح ـــ الحَمُولة ، وجمعها حمايل ، وسُمِّيَت حمولة ، لأنَّ كل فرد من أفرادها يتحمَّل أوزار ما يرتكب قريبه من جنايات ، ويتحمل معه نصيباً من الدِّيات .

ط ـــ ويسمون القسم من الحمولة آلية فلان ، ولا يجمعونها ، وهي تحريف (آل) .

ي ـــ العَيلة والجميع عَيل ، ولا يقولون : (عيلات) ، إلاَّ في الخطأ ، لأنَّ العيلات معناها الأخطاء المقصودة المتعمدة ، أو الجور ، وقاصد الظلم يُدْعى العايل . قال الشاعر :

شَمَّر ولَتّنَا يا (ضنابشر) لولاك واللِّي يحطُّك باوْسَط الرَّوك عايل

والعيلات جمع عايلة الخطأ ، وفي أقوالهم : (كل عايلة رُدَّها إلاَّ عايلة الكَرَم ، وعايلة البِقَر !) .

ويندر أن تسمع من البدو التَّسميات التي أقرتها الفصحى .

* **تنظيم المجتمع البدوي :**

وقد سمينا هذا التنظيم سياسة ولما كان بعض السلفات والقبائل ، والعشائر أقوى من بعض ، وكانت البادية شَحِيحة بالخيرات ، نشأ الغزو ، مَصْدراً أساسياً من مصادر الرزق ، فكثر اعتداء السّلفان ، والقبائل ، والعشائر ، بعضها على بعض ، فكان لا بُدَّ لهذا المجتمع من تنظيم :

أ ـــ تنظيم داخلي .

ب ـــ وتنظيم خارجي .

وقد أطلقنا عليهما ـــ تسامحاً ـــ اسم سياسة المجتمع البدوي ، داخلياً وخارجياً .

وهذه السياسة لا بُدَّ لها من ركائز تَسْتند إليها ، وتلك الركائز هي :

الأعراف ، والعادات ، والتقاليد ، والسوادي ، وبعضهم يقول السواتي ، وفي العراق يسمونها السواني .

أما الأعراف فهي كل ما تعارف عليه القوم من أساليب التنظيم للحياة ، والعادات ، هي كل ما اعتادوه في أفراحهم ، وفي أحزانهم ، وفي مناسباتهم الاجتماعية .

والتقاليد ، كل ما توارثه الآباء عن الأجداد ، من غير أن يخْضِعُوه لمحاكمة عقلية ، والنَّصارى يسمون التقليد ، كل ما توارثوه من شرائع غير مدونة في كتاب مقدس ، لكنهم يقولون : إنَّ حواريي المسيح نقلوه لهم بالمشافهة .

أما السوادي ، والسواتي ، وما يسميه أهل العراق السواني ، فهي مجموعة اجتهادات قضاة القَلَطَة المناهي ، وتعتبر عندهم بمنزلة المبادىء القانونية ، التي تقرها محكمة التمييز العليا ، والسبب في اعتبار اجتهادات قضاة القلطة بمنزلة المبادىء القانونية ، كون هؤلاء القضاة نادرين ، اذ لا يوجد منهم في كل قبيلة إلاَّ واحد ، مشهور بـ :

أ ـــ بحسن النَّقِيبة ، ويسمونه راعي البخت رزقه الله الكثير .

ب ــ والكرم ، صاحب مَعنى أي شق مقصود .
ج ــ شجاع معروف بالفروسيّة ، إن لكَد ما رَد ، وان انتخى ما صَدّ ، يروى السيف ويقري الضيف .
د ــ لم تعرف عنه في حياته شهادة زُور .
هـ ــ لبس فيه (عِذْرُوْب) من (العذاريب) التي ترد الشّهادة .
* ــ والعذاريب التي ترد الشهادة هي :

طرد الضيف ، اللَّوذ عَلَى الجارة ، والجار غايب ، شارِد الثلاثة ، خاين مَعزّبه ، صاحب الشوفة القريبة ، الذي يسرق من الصاحب .

وقد صَنَّف القوم قُضاتهم لتنظيم السياسة الداخلية على هذه الدرجات :

١ ــ قضاة القَلْطة ، وهم خيار الزعماء المشهورون بالمناقب الحسنة ، والاتزان ، والشجاعة ، والكرم ، الذين يسمونهم أصحاب البخت ، وقد ذكرنا صفات قاضي القلطة .

٢ ــ قضاة المناهي ، وهم الذين يوكل إليهم البَتُّ في أهم القضايا ، التي يثير وقوعها القبائل ، ولا يستطيع أن يوقف ما يترتب عليها من مشكلات اجتماعية ، إلاّ ذو هيبة ، ومنعة في قومه ، وسلطة عظيمة ، وقضاة المناهي هم :

أ ــ قاضي الدم أو مقطع الدم[1] ، أو قاضي الرقاب .
ب ــ قاضي العرض ، ويسميه الحويطات (العُقبي)[2]
ج ــ مُبيّض الوجوه ويسميه الحويطات (المنشد)[3] والجمع مناشد وهذا يقضي في كل القضايا التي تتفرع عن التّعدي على كرامة الكفيل أو المجير ، أو كرامة البيت .

د ــ وقضاة المشاهي ، وهم الذين يختارهم ذوو الخصومات من شيوخ ووجهاء العشائر ، المعروفين بالحكمة والاستقامة وهؤلاء يختلفون عن قضاة القلطة ، بأن أحكامهم يجب أن تنطبق على الأحكام التي أصدرها قضاة المناهي ، في القضايا المشابهة ، بحيث يقول القاضي ، عند اصداره الحكم ما حرفه : (من عندي ، ومن عند العوارف قبلي ، إن حكم هذي القضية وهو كذا ..)

وأحكام هذه الفئة من القضاة، خاضعة لما يسمونه (سوم الحق) وهو شَبيه بالاستئناف، والكلمة، مصدر لـ(سام يسوم) أي فاوض يفاوض في تحديد الثمن، وكأنهم شبهوا القرار في هذه الحالة ببضاعة، يراد تحديد ثمنها، وهو اصطلاح لطيف جداً إذ شبهوا مجلس القضاء بسوق تجارية، توزن كل كلمة فيها بما تستحق من التقدير.

فإذا كان القاضي من قضاة المناهي، فله أن يعطي سوم الحق، وله أن يقول: (إن حكمه مُبْرَم (قطعي)، وليس في استطاعة أحدٍ أن يُرغِمَهُ على إعطاء سَوم الحق. وكأنَّ قراره صادر من محكمة التَّمييز العليا، وسِرُّ ذلك أنَّ هذا القاضي، هو من قضاة القلطة، الذين تعتبر أحكامهم مباديء قانونية.

* * *

لكن إذا كان القاضي الذي أصدر الحكم، من قضاة المشاهي، فإنَّه يجب عليه أن يمنح طالب سوم الحق ما طلب، وإن لم يفعل، أُرغم على ذلك.

أما بقية القضاة، غير الذين سَمَّيْناهم، فتختلف تسميتهم عند القبائل.

فالذين يسمون في (الكرك) وضواحيها و(مادبا) وضواحيها، وفي عربان (البلقا) وعربان بني صَخْر (قضاة المعترضة) تسميهم بعض القبائل: قضاة التمهيد.

ويعرف الحويطات من هذا الصَّنْف نوعين:

أ ـــ قضاة بيت الخط، وهم الصنف الأول من قضاة التمهيد

ب ـــ وقضاة المقارشية وهم الصنف الثاني من قضاة التمهيد.

وفي العراق يسمون القضاة (افْرِضَة) والتاء هنا للمبالغة، كالتاء في علاَّمة، ورحَّالة و(الأفرضة) في العراق يفرضون مقدار الغرامات وما يتبعها من (حشم) أي تكريمات غير الدِّيَة.

أما الزُّوَلة، فيسمون قضاة الدَّم (مقاطِع الدم) الواحد

مقطع الدم، أي الذين يفرضون كل ما يختص بالدم، ويسمون قضاة العرض: (قضاة المقلّدات» وقد جاءت التسمية من لابسات القلائد، ومن أنهم قديماً كانوا إذا وقعت حادثة بعرض، كانوا يقلِّدُوْنَ فرساً قطعة من بيت الشعر، فيوصل راكبها خبر

التي اعتدي عليها في وضح النهار (وراح ثوبها قدايد ، ومخانقها بدايد) يوصل الخبر إلى أفراد عشيرتها المقيمين بعيداً ، لاستثارة نخوتهم وحميّتهم . وقد اتفق ان اختطفت امرأة فجاء زعيم عشيرتها ، لابساً مدرقة ، وعلى رأسه الرماد ، فما كان من العشيرة كلها ، إلا أن جَلَتْ عن ديارها ، استعداداً للمطالبة بشرف العشيرة ! ..

* * *

*** اختيار القاضي :**

وللقوم أصول يتبعونها ، في اختيار القاضي يسمونها (المخاطط) وقد جاءت التّسمية ، من أن المدعى عليه يسمى قاضياً ، ويخط بأصبعه أو بالعصا خطّاً في ما أمامه من تراب ، ويعقبه المدّعي ، فيخط خطاً بعد أن يسمي قاضياً ، ثم يخط المدعي عليه خطاً ثالثاً ، ويسمي القاضي الثاني الذي اختاره هو.

ويجيء بعد ذلك مسح الخطوط ، أو حذف القضاة ، فيمحو المدّعي خطاً من خطوط المدعي عليه ، أي يحذف أحد القاضيين اللذين اختارهما المدعى عليه ، ويتلوه المدعي عليه ، فيحذف القاضي الذي خطه المدعي ، فإن لم يَرْضَ المدعي بأن يتولّى القاضي الذي بقي فَصْلَ القضية ، عمد الخَصمان الى أحد قضاة المعترضة ليعين قاضياً يلتزم الخصمان بحكمه . فمن هُنا يظهر لنا أن من وظائف قاضي المعترضة ، أن يعيّن صاحب الاختصاص للفصل في القضايا المُختلف عليها .

* * *

فإذا رفض المدعي عليه الاذعان — أي عاط عن الحق — عَمِدَ المدَّعي إلى الوساقة ، وهي حَجْرٌ احتياطي ، يُقصد منه إرغام الخصم على الإذعان للحق ، وهذه الوساقة تقع على المواشي عادة خُفْيَةً عن أصحابها ، يمارسها المدعي القوي ، أو دخيلُهُ ، ويجب أن تسلّم وديعة عند أقرب المجاورين لمكان الوساقة ، ويعلن أن هذه الموسوقات تَخُصُّ فلانا ، لإجباره على التقاضي (القعود للحق) ولا يحق للواسق أن يُبْقِي المال الموسوق عنده ، وإلاّ عرّض نفسه لغرامة باهظة ، قد تزيد قيمتها ، على قيمة ما يطلب به ، والقاضي الذي يفرض غرامة الوساقة يختاره المدعي ، بِطَلَب من المدعى عليه . وفداحة الغرامة ، ناشئة عن كون الواسق استهان بالأعراف ، وخرق العادات

والتقاليد ، فكأنه اعتدى على الشرف العام . والحق العام ، فوق إهانته لخصمه ضمناً بأن اعتبره أنه ليس من الرجال الذين يحسب لهم حساب .

فحاجز المال يُدْعَى الواسق .
والمال الموسوق يدعى الوساقة والوسيق .

والذي تودع عنده الوساقة يسمَّى الوديع ، فإذا هلك المال عند الوديع غرم ، لأنهم يقولون : (الوديع المغرّ أولى بالخسارة) .

ويفتخر البدو باسترداد المال الموسوق ، إذا أدركوا الواسق ، قبل أن يودعه عند الوديع ، فيقولون :

إن كان ما نرِدَّ الوسيق يا أبنية ، لا تُهَلِّي بِنَا !

ويسمون ما ينهبه الغزاة وسيقاً أيضاً من أجل هذا جاء هذا البيت من الشعر !

* * *

الرِّزقه : الرِّزقة كما يلفظها البدو ، والرُّزقة بالضم ، كما يلفظها الحضر ، هي رسوم الدعوى ، التي تدفع للقاضي ، وسبب الاختلاف في اللفظ ، أنَّ البدو ينفرون من الضم ، كما نفر منه العرب قديماً ، لعامل نَفْسيٍّ ، فقد توهم العرب أن الضم هو دلالة البخل والقبض ، والفتح علامة السخاء والكرم ، والكسر دلالة العزم ، والقوة . وهي من رَزقه يَرْزُقُه رَزقاً ، والرِّزقة بالكسر اسم هيئة من الرِّزق ، والرُّزقة اسم مصدر ، والكسر لغة أعلى .

وتم الرِّزقة بأن يأتي كلٌّ من الخصمين بشيء ، يُقَوِّم عُرفاً بقيمة هذه الرزقة ، التي هي في الأصل ، ربع المبلغ المطالب به ، إلاَّ إذا أراد القاضي أن يتنازل عن شيء من حقّه فيها . فتكون في الدعاوى الكبرى فرساً مشهورة من سلالات الخيل المعروفة ، أو (بارودة) مَصَبَّبة ، أو سيفا مشهوراً لزعيم معروف (مثل سيف (مطلق السلمان) من فرسان بني صخر المعدودين] ، ويتبادل الخصمان الرِّزق ، وتُسَلَّم كل رزقة إلى كفيل يلتزم بتسليم القاضي رزقته ، عند فرض الحق . ويعلن الخصمان نوع الرزقة ، أوهي :

أ ـــ مسترَّة ، وهي التي يدفعها الذي سره حكم القاضي بأن حكم له (الفالج)

ب ــ (باطوليَّة) وهي التي يؤديها الذي بَطَلَت دعواه وحكم عليه (المفلوج) والمعروف، أن الرِّزقة المسترة، واجبة في هذه الدعاوى:

١ ــ دعوى العرض.

٢ ــ دعوى الدم.

٣ ــ دعوى تقطيع الوجه

٤ ــ دعوى حق البيت.

وبسبب ذلك، إن الغرامات التي تُفرض على المفلوج، لا يستطيع المطالب بها أن يتحملها، على الرغم من أن الذي يَتَحَكَّم عليه بالتعويض في هذه المواقف، يجمع من العشائر الصديقة بطريق الشَّحذ، ما يزيد على ما يطلب منه، لكن هذه المبالغ تُعَدُّ ديوناً عليه، وعلى خَمسته، عند وقوع حادث يحتاج إلى المساعدة. ورابح الدعوى أولى بأن يدفع الرِّزقة. فإذا أراد المتخاصمان أن تكون الرزقة في هذه الحالة (باطولية) تبادلا رزقهما خارج مجلس القاضي. واشترطا هذا الشرط بوجوه كفلاء!..

ولا بُدَّ من كفيل وفَا، وهو الذي يلتزم كل ما يترتَّب على مكفوله من التزامات، وكفيل دَفَا، وهو الذي يحمي المطالب بدعوى جزائية من الاعتداء عليه وعلى أقاربه، المطاردين معه. وهذا في الدعاوى الكبرى.

• تعيين زمان المحاكمة ومكانها:

بعد استتمام ما تحتاج إليه القضية، من شكليات، وترتيبات، يُصَار الى تعيين الزمان، والمكان، لفصل القضية. فإذا تخلّف أحدُ الخصمين عن الحضور، في الموعد المحدد، بدقَّةٍ متناهية، شرب الخصم الذي حَضَرَ القهوة في الشق، وأشهد الحضور، على أن خصمه (عايطٍ عن الحق) أي يراوغ أو متمرِّد، فيطالب كفيله بمقدار الكفالة، والكفيل ملزم بتأدية مقدار الكفالة، إلاَّ إذا كان تغيبه، قد حدث بعذر مشروع، ومُبطلات المواعيد، عند البدو، هي:

١ ــ المطر، ٢ ــ الغارة على الحي. ٣ ــ موت أحد أقارب المتغيِّب، وزادوا طلب الدولة.

كيفية القعود للحق :

يُجرَّد الخصمان في مجلس القضاء ، من السلاح تماماً ، ويبدأ المدعي بِسرّد قضيته ، بعد المقدمة التقليدية ، التي هي في الواقع ، مخاطبة لضمير القاضي . لكي يكون حكمه خالياً من أيِّ غرض ، أو ميل عاطفي ، وتختلف هذه المقدمة بين قبيلة ، وقبيلة ، لكن المعنى واحد ، والغرض واحد ، ونحن نورد المقدمة المتعارف عليها في الكرك — والبلقا ، وعربان بني صخر ، لأنّنا وقفنا عليها بنفسنا منذ أربعين سنة ، ولا ندري إذا كان قد طرأ عليها شيء من التعديل .

جتك يا قاضي العرب ، يا فكّاك النِّشب ، جيتك هَدي قِدي حظي وحظك ، يدخلن على أربعة وأربعين نبي ، من الممسية ، وميلة الحق الردي ، وأنا حَاطِها بعيونك السود ، وربعك القعود ، وبحلاّبات الحليب ، ونسّافات العسيب ، والمرة وما تجيب ، من خافية عليَّ وبيّنة عليك . (جيتك يا للّي)[٤] وهنا يسرد حُجته ويبسط قضيته وبعد أن يصغي القاضي بكل انتباه ، إلى كل ما يقوله الخصمان ، يحق للمدعي أن يزيد على حجته ما فاته ، عملاً بالقول المشهور : (الأول ، أبو حِجّتين !) ويسرد القاضي ما قاله كل من الخصمين ، ويُدعى هذا تعديل الحجج ، أي تقويم ما ادّعاه كلُّ خصم ، ويسأل القاضي المدعي والمدعى عليه : (هذي حجتك) ؟ فيجيبه الخصم بقوله : (زوّدت ، ما نقّصت) ويختم بعض الخصوم حجته بين يدي القاضي بقوله : (وتالي حجة الأبلم ، عندك) .

وبعد تعديل الحجج يعرض القاضي الصلح على الخصمين مُزَيِّناً الصلح ، متنازلاً عن حقّه في الرزقة ، فإذا أصرّ أحد الخصمين أو كلاهما على سماع الحكم ، قال القاضي : (زين تكافلوا) .

فيُعين كل منهم كفيله ، ويصدر القاضي الحكم . فإن أَحَسَّ أحدُ الخصمين بأنّه مَغْبُون طلب سوم الحق — وسوم الحق كما أسلفنا — بمنزلة الاستئناف . وقد وضحت سابقاً ، من القاضي الذي يُستأنَفُ حكمه ، ومن القاضي الذي يُعَدُّ حكمه مُبْرماً .

الشهادة وشروطها :

خلو الشاهد من العذاريب ، العيوب ، المبطلة للشهادة وهي :

أ ــ تُرَدُّ شهادة المعروف بالكذب .

ب ــ وشهادة المعروف بالسرقة من الأصدقاء الذين يسمونهم الصاحب ، ويسمونه راعي الشوفة القريبة أو صاحب الشوفة القريبة .

ج ــ الخابر الصابر ، وهو الذي يتغاضى عن زلّات محارمه ، ويسكت عليها ؛ مثل أُخته ، وبنته ، وابنة عمه ، أما الذي يطلق زوجته لاتهامها بالزنا أو تُتهم أمه بالزنا فلا يُعَدُّ خابراً صابراً ، لأن المرأة والأم ، لا حكم لغير أهلها عليها . إذ يقولون : المرة خيرها لجوزها وشرّها على أهلها .

د ــ الذي يطرد ضيفه .

هـ ــ إذ ثبت عليه أنه اعتدى على عرض جارته ، المستجيرة به ، ويلقب الرجل الذي يُراود جارته عن نفسها ، أو المُستجيرة به ويلقب بـ(الشّبر) وهو أحط الرجال ، قال الشاعر ينفي أن تكون فيه صفة من صفات الشبر :

ما شبر غير اللّي يطَاطي على الرّدى   أو يلوذ ع الجارات والجارْ غايب !

و ــ البايق ــ وهو الذي يغدر برفيقه . ومن أقوالهم :

(راعي البَوق ، ما ينتهض فوق)

ز ــ خاين مأمنه ، ومن أقوالهم : (ما خاين الا خاين مآمنه) .

ح ــ الذي يبول وهو واقف ، على قارعة الطريق .

ط ــ شارد الثلاثة ، الذي يهرب عن رفيقيه ، ويَعُدُّونه في عداد الحريم ، لأنَّ المرأة لا تقبل لها شهادة .

وقد حاول أحد قضاة البادية أن يقلط على أن شهادة الفلاّح مرفوضة ، وشهادة الحضري مرفوضة ، لكن قلطته تلك لم يُؤخذ بها .

ي ــ (مْواكل امرته) لأنهم كانوا يعتقدون أن الزوج الذي يؤاكل زوجته تضحي

بمنزلة أخته ، فما دام يقبل على نفسه ، أن يتخذ ممن أصبحت أختاً له زوجة ، فلا تقبل شهادته .

ك ــ الفاغم ، وهو الذي يساعد الأعداء على أحلاف عشيرته ، أو على عشيرته فهو عندهم بمنزلة (أبو رغال) .

ل ــ والقريب إلى الدرجة الخامسة .

م ــ المشارك في المنفعة .

ن ــ والمنيَّل وهو الذي يهرب من المعركة وتُصَبُّ على ثوبه المخططة النّيل .

وقد ذكر المرحوم عوده القسوس ، معطلات الشهادة ، لكنه لم يستوف كل ما توصلنا إليه ــ وإن كان له فضل السبق .

* * *

حلف اليمين :

والبدو يأخذون بالقاعدة التي أقرها اكثم بن صَيفي في الجاهلية : الْبَيِّنَةُ على من ادّعى واليمين على من أنكر[٥] .

فإذا أقر القاضي اليمين ، جاءت شكليّاته ، وهي : ينهض طالب اليمين ، ويذهب إلى ما وراء بيت القاضي ، ويخط بسيفه دائرة ، يغرز سيفه في وسطها ، ويضع في الدائرة شمله ونملة ، ويقفز حالف اليمين إلى داخل الدائرة ، المعروفة بالحوطة وتُملّى عليه صفة اليمين ، فيُرَدِّدُها ، وهو ممسك بِيَدْه عُوداً .

ومن صِيَغ الايمان التي سمعناها (وحَقّ هالعُود ، والرب المعبود والكاذب ماله مالود ، إني ما حطّيت في افلان ، لا سامية[٦] ولا رامية ، ولا شقّيت له جلد ، ولا يتّمتْ له ولد) هذا إذا كان الحالف متهماً بالقتل .

أما إذا كان الحالف شاهداً ، فإنّه يقول : (وحقّ هالعُوْد والربّ المعبود ، إني ما أغبي شوف عيني ، ولا سماع أذني ، وإن غبَّيت من اللّي أعرفه شي ، الله يْغبِّيني بين جماعتي !

ورموز هذه هي :

١ ـــ السيف يشير إلى أن الله يمنح الصادق قوة وعزماً ومضاءً ، وأنه يجتثُّ أصول الكاذب وفروعه ، بسيف الحق الذي لا يصيبه كلال .

٢ ـــ الدائرة أو الحوطة ـــ تشير إلى أن الله يضيّق الحياة في وجه الكاذب ، ويجعلها مغلقة في وجهه لا منفذ لها كأحكام الدائرة تماماً .

٣ ـــ الشملة التي هي قطعة من بيت الشعر ، تشير إلى أن الله يحرم الكاذب من المأوى الذي هو بيت الشعر ، ومن كل ما يدور حوله من نَعَمٍ .

٤ ـــ والنَّملة ترمز إلى النّماء والبركة ، وأن الله يحرم الكاذب من كل نَماءٍ وبركة ولجوء البدو إلى اليمين ناتج عن الحكمة القائلة : (الدم ما عليه شهود ، والعيب ما عليه ورُود) .

ومن وسائل الإثبات غير الشهود ، وحلف اليمين : (البلعة ، أو البشعة) وهو الامتحان بالنار ، الذي عرف عند الشعوب البدائية كلها تقريباً .

وقد نظمت السياسة الداخلية : البيع والشراء والشفعة التي يدعونها (البداة) فيقولون : فلان أبْدَى من فلان ، أي هو أحَقُّ بذلك . ونظموا أجور الرعاة (الشرط) والعَدولة ، والإرث ، وقد كانت البنات محروماتٍ من الإرث ، وكُنَّ هُنَّ أنفُسهن مما يُورث . وكانت منزلة المرأة غريبة جداً :

أ ـــ فالأم مقدسة .

ب ـــ والأخت مجال فخر . فإذا ضِيم الرجل انتخى بأُخته قائلاً : أنا أخو فلانة) إذاً فأخته مجال اعتزازه .

ج ـــ أما الزوجة فمنزلتها مُتَدنيَّة . فقد كان البدوي إلى وقت قريب ، إذا أراد أن يذكر زوجته كنى عنها قائلاً (ام العيال ، المعزبة ، أو الحرمة ، الله يكرمك من هالطاري . المرة بعيد عنك) .

مع هذا فدية المرأة أربعة أضعاف دية الرجل . وكأنها الرجل الذي اغتيل اغتيالاً ، ويسمون الاغتيال (الغولة) .

السياسة الخارجية :

المسؤول عن سياسة القبيلة الخارجية ، هو الزعيم ، وكثيراً ما يختار الزعيم بعض الوجهاء لاستشارتهم في الأمور المعقّدة . أما أفراد القبيلة فهم متساوون في الحقوق والواجبات ودليل ذلك أنَّ الدية واحدة ، ويتميز شيخ المشايخ لأنه هو الذي يحق له وحده أن يعلن الحرب ، أو يوقفها ، ويعرف اعلان الحرب هذا بـ(ردُّ النّقا) ومعناه أنه لم يبق بيننا ، سوى كسر العظام ، وهيل الرمال !!

والزعيم ، أو شيخ المشايخ ، هو الذي يعقد الصلح ، وهو الذي يحرك الغزو ، ويتزعمه ، وهو الذي يأمر الغزو بالهجوم ، وهو العَقِيد والويل للذي يخالف العقيد ، وفي أقوالهم المأثورة : (كلمة عَقيْد) أي إنه لا جدال فيها .

وعند ردِّ النقا يبلغ الزعيم إعلان الحرب بوساطة رسول أمين ، أو برسالة خَطيَّة يرسل بها على يَدٍ أمينة ، لئلا يُتهم الزعيم بالغَدر ، إذا هو هاجم قبيلة ، من غيران يكون لها علم بِرَدِّ النَّقا .

وعند رَدّ النّقا ، تحتاط القبائل من الغزو ، الذي يترأَّسُه زعيم مشهور بالشجاعة والفروسيّة وجودة الرأي ، يُدعى العقيد المُنيخ المُثير أي الذي يأمر بإناخة الركائب ، ويأمر بإثارتها للهجوم . ومن العقداء من يُلَقَّب بالعقيد المِحْرم ، أي صاحب الحَظْوةَ ، وأن الغزاة الذين تحت إمرته يكسبون بِحَظْوَتهِ ، وإذا كان العقيد المحرم هو شيخ المشايخ ، فتكون له (عِطفَة) والعِطْفَةُ ، ناقة مُتميِّزة في شكلها ، تركبها ابنة الزعيم في أيّام الحرب لكي تشجع الفرسان ، فلا يكون بينهم من يفكر في الفرار ، أو التّراجع . هذا هو الأصل الذي كان عليه ملوك العرب ومنهم ملك الغساسنة الحارث وابنته حليمة والزعيم الذي يُستولى على عطفته ، مرة ، لا يحق له إبراز عطفة مرة ثانية ، إلا إذا استولى على عطفة زعيم في معركة .

وطعام الغزاة عادة ، مما لا يعرض على النَّار ، لأنَّ الغزاة يتحامون إيقاد النار ، خوفاً من الاهتداء إليهم ، ومن ذلك (العِرنة) أي اللحم المطبوخ المجفف ، والكلمة في الفصحى تعني اللحم المطبوخ ، وللعرنة معنى آخر عند البدو ، وهي الطبيعة والفصيلة . ومن أقوالهم في التحقير : كلهم عرنة واحدة ، وطينة من مَطْينة !

أنواع الغارة :

أ ـــ الغارة التي تُشَنُّ والناس نيام ، وتدعى غارة البيات .
ب ـــ الصباح ، وهي التي تشن قبيل الفجر عندما تنهض النساءُ لحلب الأغنام .
ج ـــ وغارة المفالي ، وهي التي تُشنُّ والأنعام في مراعيها مع الرُّعاة .
د ـــ وغارة الظَّعن وهي الغارة التي تشنُّ على المرتحلين من منازلهم .
هـ ـــ غارة الرحيل بـ(نزيل) وهي الغارة الساحقة الماحقة التي تُشَنُّ على القبيلة بقصد تَدْمير كل شيء لها ، والاستيلاء على بيوتها وكل ما تملك فيقولون : (العقيد الفلاني ، خذ العرب رحيْل بنزيل ، وخلَّى عَمدها يَقْرَع ، وما ملص منها لا عاجز ، ولا اللّي يَرْجع) .

ولَصَدّ الغارة ترافق بعض النِّساء لكي يُثِرْنَ حَمَاسة المغيرين ، ومن الغارات المشهورة ، غارة (غافل) على الكرك ، يوم استبسل أهل الكرك وسحقوا المغيرين في وادي اللجون ، وغنموا غنائم كثيرة يضرب بها المثل : (زَبْحَة اللجون) وقد كان مع المدافعين امرأة اسمها مريم النَّحاس ذكرها الشاعر الذي وصف المعركة .

* **حقوق العقيد :**

للعقيد أن يأخذ من الغنائم ما شاء ، وله كل أَشْهَب ظَهْر من الإبل ، وهو البعير القادر على الحمل . وليس لأحد أن يعترض عليه لأنهم يعتقدون أن الله نجّاهم من الهلاك ، ويَسَّر لهم الكسب بِحَظْوة العقيد عند الله . وله كل نايرة من الخيل ، وهي التي شرّدت بعد قَتل صاحبها وله عرفاً أن لا يتجاوز الخمس ، ويوزع الباقي على الغزاة أما (القلاعة) فهي حقٌّ من حقوق الذي يقتل فارسها ، ومن آداب الحرب أن لا يقتل :

١ ـــ المَنيع .
٢ ـــ الدخيل الذي يلقي سلاحه ويقول : بوجه الله ثم وجهك .

والمنيع الذي يمنعه . فمنهم من يقيّد المنيع ـــ الأسير ـــ إلى أن يفتدى نفسه ، ومنهم من يَمُنُّ عليه ، ويمنحه ناقة ويوصله إلى مَأمنه ، وفي هذه الحالة يُعْتَرف للذي صنع هذا الصنيع بالحُسنى !

ومن السياسة الخارجية :

* **الخاوة** : وهي إتاوة تفرضها القبائل القوية ، على القبائل الضعيفة في نظر حمايتها من اعتداء الأقوياء ، وكثيراً ما كان الإخوان يتّفق بعضهم مع بعض على تجريد إخوانهم مما يملكون (٧) .

* **الالتحاق** : وهو ما يشبه تغيير الجنسيّة أو اللجوء السياسي . فإذا شعَرَت إحدى العشائر أنَّ حقوقها مهضومة ، أو شعرت أسرة هذا الشعور ، أو شعر فردٌ بهذا الشعور — ارتحل ونزل عند بَيْت زعيم مشهور ، مُعلناً أنه قاصد الزعيم الفلاني ، فيستجير به ويطلب الانضمام إلى عشيرته ، فيُولِمُ وليمة يدعو إليها الوجهاء ويعلن أنه التحقَ بالعشيرة التي نزل بها ، ومثل هذا إذا كان الالتحاق لعشيرة كاملة .

آداب المنازل من السياسة الداخلية :

تُنصَب المضارب صفوفاً — سماطات — إذا كانت لِسلفان وقبائل ، أما إذا كانت العرب قليلة ، فتنصب صَفَّين ويكون بيت الزعيم في الجهة الغربية ، ومن أقوالهم : (منازل الأشراف بالطراف) ومن الأغاني المعروفة وفيها كناية :

اللّي احْزامه خَيْط ، ما يَنْزِل طَرَف

واللّي حزامه خَيْط كناية عن الضعيف في عُصيته . فهذا لا يجوز له أن يَتَصَدَّى للضيوف ، وللغارات ، لأن الكرم يُشبه المعركة وفي أقوالهم : (من خلاَّك للضيف ، خلاَّك للسيف !)

وقديماً قال المُتنبِّي :

لولا المشقَّة ساد الناس كلهم   الجود يُفْقِرُ والاقدام قَتَّالُ !

وإن لم يَنْصب الزعيم بيتَهُ في الجهة الغربية نصبه في الوسط ورفع شارعته ، أي العمود الأمامي ، ليهتدي إليه الضّيفان ، وتُقام البيوت حول بيت الزعيم الأولى ، فالأولى ، إلاَّ إذا كان هناك طَنيبٌ أو دخيل على الزعيم ، فإنَّ بيته يُنصَب إلى جوار بيت الزعيم .

ويتشاءم البدو كثيراً بتوجيه الكاسر إلى مأوى إبلهم أو غنمهم ويسمون الكاسر (العامر) تفاؤلاً ، وليس هذا خاصاً بالبدو ، فقد سمي العرب الصحراء مفازة ، وسَمّوا اللديغ سليماً ، تفاؤلاً .

الضيف والدخول الى المنازل :

يجب على الضيف أن يدور من وراء البيوت ، لأن تنطُّح البيوت يَعُده القوم احتقاراً لهم ، والذي يتجرأ على ذلك يُهان ، وإذا كان قاصداً ذلك (يذبح) . وعندما يترجل الضيف وراء البيوت يستقبله القوم ، ويُرحبُون به أجمل ترحيب ، فإذا كان الضيف (وجيهاً) جُدِّد له الفراش ، وجُدِّدَت القهوة ، وتغالط القوم على قراه ، والمغالطة هي أن يقول كلّ واحد منهم : غدَاالضيف أو عشا الضَّيف عندي ، ويقسمون الإيمان المغلَّظة وأحياناً يصلون الى الطلاق !

والضيوف أصناف :

أ ــ ضيف مندوب ، وهو الذي يُدعى من أهله للتكريم وهذا يُبالغ في إكرامه . ويُدعى جمهور من الوجهاء معه ، ومن واجب هؤلاء أن يدعوه بِدَورهم .

ب ــ ضيف جلالة وهو الذي يحضر هو (ومركوبته) أي بعض اصدقائه وهذا يعامل معاملة تشبه معاملة الضيف المندوب ، غير أنَّ دعوته ليست واجبة على الذين يدعون معه .

ج ــ ضيف عابر سبيل ، وهو الضيف الذي ترغمه المسافة الطويلة أن يَحُلَّ في أي عرب ليتمكَّن من الوصول إلى حاجته .

د ــ ضيف خانق عصاته ، وهذا قراه الخبز والسمن أو الخبز واللبن ولكل واحد من الضيوف تكريم خاص .

وفي مأثور أقوالهم :

الضيف لا اقبَل أمير ، ولقعد على فراشه أسير ، ويوم يرحل وان وصل أهله شاعر ، أي يذكر المحاسن والسيئات وقد كرهوا تدخل الضيف في شؤون المعزب ، وقد اشتهر بين

العربان رجل كريم ، سموه (دابح ضيفه) اذ لم يزره ضيف ، إلا انتهت ضيافته بضرب موجع فتحاماه الضيوف ، إلى أن قرّر أحد الزعماء أن يكشف جليَّة أمره فزاره ، وبالغ الرجل في إكرامه ، ولم يعترض الضيف على شيء فلما انتهت أيام الضيافة وودعه المعزّب ، ضحك الضيف فسأله المعزّب عن سبب ضحكه ، لأنه لم يَضْرِبه بل بالغ في تكريمه ، فأجاب المعزب : (أنا أريد تكريمهم وهم يرفضون ، واللّي يرفض التكريم ما له إلا الدوحة) .

هذه بعض ملامح من البداوة وحياكم الله .

عمان — روكس بن زايد العزيزي

الحــواشي :

(١) تراث البدو القضائي ، للأستاذ أبو حسان ص ٢٧ (القضاء البدوي مخطوط للعزيزي)

(٢) تراث البدو القضائي ، للأستاذ أبو حسان ص ٢٧ (القضاء البدوي مخطوط للعزيزي)

(٣) تراث البدو القضائي ، للأستاذ أبو حسان ص ٢٧ (القضاء البدوي مخطوط للعزيزي)

(٤) وقد سمعت من قال : جيتك يا قاضينا ، يا اللي بالحق ترضينا ، داخل ع المال والعيال وكل ولي له عند ربه حال ، من ميلة بالقلب من جال الجال . اذكر الله يا اللي ثم يسرد حجته .
[العرب : وبدو الحويطات وبني عطيّة والعمران والعميرات عندما يحضر أحدهم إلى القاضي يبدأ كلامه بمقدمات مسجوعة ، مثل جملة : (يا قاضينا ، يااللي بالحق ترضينا) أو (يا قاضي العرب ، يا فكّاك من النشب) وكنت حين توليت القضاء في شمال الحجاز في بلدة (ظبا) اسأمُ من مقدمات الاسجاع التي يبدأ بها الخصوم كلامهم فأمنعهم منها ، فكان بعضهم يعتقد أنني حُلْتُ بينه وبين الادلاء بحجته كاملة] .

(٥) [العرب : وقد أقرها الشرع الإسلامي الحنيف] .

(٦) [العرب : لعل الصواب : كامية ، والعامّة تنطق الكاف من مخرج يقرب من مخرج السين والكامية هي الضربة التي تكمي داءها في الجوف فلا يخرج دمُها ولا قيحها من الجوف حتى يموت من أصيبت به من مادة (كمأ) الفصيحة] .

(٧) [العرب : كانت تعرف في نجد باسم (الأخاوة) مأخوذة من الأخوة أي إن دافعها يكون كالأخ للمدفوعة إليه من حيث الحماية وعدم الاعتداء ، ومن المهاجاة بين أهل قرية وبين من دفعوا لهم (الاخاوة) قول طالب الأخاوة :

أدّ (الاخاوة) يا خنيْزَان　　　يا قَايدْ البَقْرَة باذانِيْها

فأجابه صاحبُ القرية :

نَعْطِيْك في (كَتّاح) صِيْمَان　　　وبِخَيْنق لانْتَاكْ نَشْرِيْها

ثم بيت مقذع في الهجاء ، حمل طالب (الاخاوة) على تركها شيمة وترفُّعاً ، وتعهّد بحماية القرية بدون اخاوة] .

رحلة التميمي التونسي إلى الحج

- ٥ -

[طالع القراء طرفاً عن رحلة الشيخ محمد بن صالح الجودي القيرواني (١٢٨٧/ ١٣٣٢ هـ الى الحج في سنتي ١٣٣١ و١٣٣٢ .

والطريف في هذه الرحلة أنها تصل عصرنا الحاضر بماضٍ لا يزال تاريخه بحاجة الى إبراز ، فالشيخ في رحلته يتحدث عن رجال قابلهم في المدينة كالبشير الابراهيمي وعبد الحميد بن باديس وعمر حمدان ، وابراهيم حمدي الخربوطي — وغيرهم ممن أدركناه ، ونحن بحاجة إلى الاستزادة من معرفة أحواله ، ثم إنّه يصف الحالة العلمية قبل ثلاثة أرباع القرن الماضي وصفاً يفيد المعنيين بدراسة أحوال المدينة الكريمة ، بصرف النظر عما يحيط بتلك الأحوال من أمور قد لا نرتاح إلى كثير منها مما كان مخيّماً على المجتمعات العلمية في أكثر الأقطار الإسلامية] .

ويستمر الشيخ في الحديث عن مشاهداته في المدينة بما ملخصه :

وفي يوم الاثنين عاشر محرم سنة ١٣٣٢ هـ ذهبت للمكتبة المجاورة للحرم الشريف من شرقيه ، التي حبسها شيخ الاسلام أحمد عارف فوجدتها مشتملة على كتب كثيرة ، مضبوطة بدفاتر عدة ، ذات أودية ، أحدها به اسم التأليف ، والثاني به اسم مؤلفه ، وآخر عدد الكتاب في الفنّ ، والرابع هل هو مطبعة أو خط يد ، وآخر فيه هل هو عربي الخط أو تركي . فرأيت من جملتها في فن التاريخ تأليفاً للزركشي التونسي سماه «عقود الجُمان ، وتذييل وفيات الأعيان» وجدت على ظاهره ما نصه : قال الصَّفدي في الجلد الأول من تاريخه الكبير المسمى بـ«الوافي» في ترجمة الصاحب محمد بن محمد بن علي بن الوزير بهاء الدين بن حنّا ، وهو الذي اشترى الآثار النبوية بسبعين ألف ردهم ، وجعلها في مكانه بالمعشوق ، وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية ، وقد رأيت هذه الآثار في مكانها ، وهي قطعة من العنزة ، ومرودٌ ، ومخضب ، وملقط ، وقطعة من قصعة ، فكحلت ناظري برؤيتها ، وقلت أنا :

أكرم بآثار النبي محمدٍ   من زارها استوفى السعود مزاره
يا عين دُونك فالحظي وتمتعي   إن لم تَريه فهذه آثاره

ورأيت به ترجمة الحُصريِّ القيرواني صاحب «زهر الآداب» وترجمة الصَّرصري ونصُّها : يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام ، الشيخ الإمام جمال الدين الزاهد الضرير ، أبو زكريًّا الصَّرصري البغدادي الحنبلي ، الأديب ، صاحب المدائح الحنبلية (؟) السائرة في الآفاق ، ولم يمدح أحد سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ، وشعره يدخل في ثمانية مجلدات ، وكله جيِّد ، مولده سنة ثماني وثمانين وخمس مئة ، وتوفي في واقعة بغداد ، سنة خمس وخمسين وست مئة ، قتله التتار .

ورأيت بالمكتبة المذكورة كتاب «مختصر رياض النفوس» في طبقات علماء مدينة قيروان لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي ، (نمرة ٥٦٢) وهو كتاب في مجلد واحد ، ذكر فيه من دخل القيروان من الصحابة ، ومن رجع ومن بها من العلماء ، ومن خرج منها ، والمختصر له الشيخ يحيى بن إبراهيم المالكي .

وفي اليوم المذكور زُرتُ جامع الغمامة ، وهو جامع خطبة بالمناخة ، وزرت مسجداً آخر ، ينسب لسيدنا أبي بكر الصِّديق ، ــ رضي الله عنه ــ وهو قريبٌ من الجامع قبله .

وفي اليوم نفسه اجتمعت بالمكتبة المذكورة بالشيخ البشير الإبراهيمي ، من سطيف ، من بلدان المغرب ، هاجر لنحو سنتين وهو متطلب (؟) مشارك في العلوم .

وفي ليلة الثلاثاء استدعانا الشيخ العالم المهاجر سيدي محمد العزيز الوزير التونسي المدرس بالحرم الشريف للعشاء ، فحضرتُ عنده ، فوجدت معه جماعة من الفضلاء ، فنهم صِهره السيد محمد ياسين بن سعيد ، شُهر الفرَّاء من أعيان بيوت الشام ، له مشاركة في العلم ، ويدٌ في التجارة ، والشيخ البشير الابراهيمي المذكور ، والشيخ محمد الصقر المصري المالكي المهاجر حيث ذكر ، والسيد حسن بن محمد بن حسن برناز التونسي ، والسيد عبدالله الهدة السوسي ، الذي أتى حاجًّا عام التاريخ ، والسيد محمد الشريف البنزرتي ، من تلامذة الشيخ ، وجماعة أُخر .

وصارت مُذاكرة حسنة .

وفي عشية يوم الاثنين حضرت بالحرم درس الشيخ سيدي حمدان بن الونيسي ، فوجدته يقرىء «الجامع الصغير» للسيوطي ، وشرح أحاديثه بأحسن شرح ، وله تحقيقات غريبة ، وبعد تمام الدرس سأله أحد الحاضرين بأنه أتى بعائلته بقصد المجاورة بالمدينة ، ثم بدا له الرجوع ، وخشي يكون عليه إثمٌ في ذلك . فأجابه الشيخ أنه لا إثم عليه ، ومُراد النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : «المدينة تنفي خبثها» الخ إذ ذاك خاصٌ بزمن النبي صلى الله عليه وسلم ، لوجوب مؤازرته ونصره ، وفي زمن الدجّال إذا خرج قريباً من المدينة ، تخرج أناسٌ تتبعه فالمراد بالخبث هم الخارجون في هذين الزمنين ، أما ما عداه فلا .

وفي اليوم المذكور اجتمعت بالشيخ محمد نَذير البخاري ، الخوجندي ، وأصله من بُخارا ، وجاور بالمدينة قريباً ، وهو من تلاميذ الشيخ حسين أحمد الهندي ، الذي قدمنا ذكره . وله مشاركة حسنة ، يقرأ على الشيخ المذكور «صحيح مسلم» وذكر أنه ختم عليه «صحيح البخاري» و«تفسير الجلالين» .

واجتمعت بالسيد محمد العمري الجزائري ، المجاور بالمدينة ، لمدة ثلاثين عاماً ، وهو رجل ذو أخلاق حسنة .

ورأيت عند الشيخ عمر حمدان كتاباً لابن المناصب الإمام الشهير ، سمّاه «الدرّة السنيّة ، في المعالم السُنيَّة» .

وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر من محرم اجتمعت بالشيخ فخري أفندي ، قاضي المدينة المنورة ، قدم لنحو أسبوع ، وكان قاضياً لمكّة المكرمة ، ويوصف بالانصاف والعدل ، والتسوية بين القويِّ والضعيف والشريف والسَّخيف ، حتى أن أعاظم أهل مكة المكرمة لم يطيقوا اجراء الحكم على شريفهم ، وتسويته مع ضعيفهم ، فنقل إلى المدينة المنورة وكثر ثناءُ الناس عليه ، واجتمعت به في مجلس حكمه ، فتلقّاني وقابلني أحسن قبول ، وبَشَّ بي ، وأتى لنا بالقهوة فَدَعَوْت له بخير ، وذكرت له ما اشتهر به من الثناء الجميل ، وما سمعته من اتصافه بالعدل والانصاف ، وأنَّ ذلك هو الحامل لي على ملاقاته . فأجابني بأنَّ ذلك حسن ظنٍّ من الناس ، وسألني الدعاء له بالتسديد .

وفي يوم الثلاثاء ذهبت لمكتبة شيخ الإسلام ، ونظرت في «عقود الجمان» للزركشي ، تذييل «وفيات الأعيان» فكان في جملة من ترجم له : أحمد بن القاسم المعروف بالرَّقيق النَّديم ، أصْلُهُ من القيروان ، رجل فاضل ، له مصنفات كثيرة ، وحرمة شهيرة ، في التاريخ والأدب ، ومنها «قطب السرور ، في أوصاف الخمور» قال ابن رشيق في حقه : شاعر سهل الكلام ، لطيف الطبع ، غلب عليه اسم الكتابة ، وعلم التاريخ ، قدم مصر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة ، بِهَدِيَّةٍ من ابن باديس ، إلى الحاكم ، وقال قصيدة يصف فيها المنازل والمناهل ، منها :

إذَا ما ابنُ شَهْرٍ قد لبسْنا شبابه بَدَا آخَرٌ من جانب الأُفق يطلع
إلى أن أقَرَّتْ جِيَرَة النِّيل أعْيُناً كما قَرَّ عَيناً ضاعنٌ حين يرجع

وله :

رِيم إذا ما معارِيضُ المُنى خطرت أجَلَّـه المُتمنّي عن امانيه
يا إخوتي أقاح فيه أقبل لي أمْ خَطُّ راءين من مسكٍ على فيه
أمْ حُسْنُ ذاك التراخي في تكلُّمه أم حُسنُ ذاك التهادي في تمشِّيه

وقال في اختصار المالكي : آخره اختصر ذلك لنفسه يحيى بن ابراهيم بن علي ، وذاك سنة ثمان وسبعين ، ولم يذكر المئة ، وذكر أنَّ الفراغ من نسخة سنة ٦٤٧ .

وفي اليوم المذكور استدعانا السيد عبد الرحمن الغري القيرواني ، المجاور بالمدينة للعشاء .

وفي يوم الأربعاء نظرتُ في «عقود الجُمان» للزركشي ، فرأيت به ترجمة سليمان بن موسى بن سالم الحميريِّ الكلاعي ، الأندلسي البلنسيِّ ، الحافظ الكبير ، وُلد في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مئة وتوفي سنة أربع وثلاثين وست مئة ، شيخ حافظ بلنسية ، اعتنى بأنواع الحديث ، وبرز فيها وأجاد ، وصنَّف كتاب «معرفة الصحابة» و«الاكتفا في مغازي المصطفى» صلى الله عليه وسلم والخلفاء الثلاثة ، و«مصباح الظلام» وغير ذلك ، وله :

أشجـاهُ ما فعـل العِذارُ بخـدِّه

ثم أورد ثلاثة أبيات وقال : ومنه في ترجمة عبدالله بن أحمد أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن القادر بالله : مولده سنة احدى وتسعين وثلاث مئة ، وبُويع سنة اثنين (؟) وعشرين وأربع مئة ، وكانت دولته خمسا وأربعين سنة وكان كثير الحلم ، فصيح اللسان ، أديباً خطيباً شاعراً ومن شعره :

يا أكرم الاكرمين العفو عن غَرِقٍ في السَّيئات له وردٌ واصدار
هانَتْ عليه معاصيهِ التي عظمت علماً بأنَّك للعاصين غفار

وله :

سَهِرنا على سُنَّة العاشقين وقُلنا لما يكره الله: نَمْ
ومَا خيفتي من ظُهُور العِدَى إذا كان رَبُّ الورى قد عَلِمْ

ومنه في ترجمة الزَّكي ابن أبي الأصبع ، ما نصُّهُ : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن محمد ، الأديب زكيٌّ الدين ابي محمد بن أبي الأصبع القيرواني ، المصري ، الشاعر المشهور ، الإمام الفاضل العالم ، وتصانيفه مشهورة ، منها كتاب «بدائع القرآن المجيد ، توفي بمصر في ٢٣ شوال سنة أربع وخمسين وست مئة عن نَيِّفٍ وسبعين سنة ، ومن شعره يمدح الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق :

تَصَدَّق بِوَصل إنَّ دمعي سائل وزَوِّد فؤادي قطرةً فهو راحل
فَخَدُّك موجودٌ به التبر للغنى وحُسْنُك مَعْدُوم لديه التَّماثل
أيا قمراً في شمس وجنَته لنا وظلٌّ عذاريه الضُّحَى والأصايل
غدا القدُّ غُصْناً منك يعطفه الصَّبا فلا غرو إن هاجَتْ عليه البلابل
أعاذل لو أبْصَرت حبِّي وحُسنه فإن لُمتني فيه فَمَا أنت عادل
مُحَيَّاه قِنديل وديجور شعره تُعلقُهُ في الصُّدغ منهُ سلاسل
رآى ضَيْفُ وَجدي نار قلبي فظنَّها وَرَت لقراه فهو للقلب نازل
إذا جنَّ ليلي أحيَت الوجد ادمعٌ هَمَتْ فهي للصَّبر الجميل قواتلُ
كَراحة عيسى في الرَّدا والنَّدا معاً تُحيت وتُحيي فهي بُؤسٌ ونائل

وقال :

فديتُ التي إذْ ودَّعتني أودَعَت من اللَّفظ سمعي ساعة البين جَوْهرا

ثلاثة أبيات أوردها

وقال :

مَنْ يَذُمُّ الدُّنيا بِظُلم فإنِّي بِطَريق الإنصاف أُثني عليها
وعظتْنا بكُلِّ شيءٍ لو أنّا حِيْنَ جدَّتْ بالوعظ من مصطفيها
نَصَحتنا فَلَمْ نَرَ النُّصح نُصحاً حين أبْدَت لأهلها ما لَدَيها
أعْلمتنا أنَّ المآل يقيناً للبِلى حينَ جَدَّدَت عَصريها (؟)
كم أرتنا مَصارع الأهْل والأحبا ب ، لو نستفيق بين يديها
ولَكَم مُهْجة بِزَهرتها اغتَرَّ تْ ، فَأدمَتْ نَدامةً كَفَّيها
أتَراها أبْقَت على (سبا) من قَبْ لُ حِيْنَ بَدَّلَت جَنَّتيهَا
يَوْمُ بُؤْسٍ لها ، ويومُ رَخاءٍ فَتزوَّدْ ما شِئْتَ من يَوميها
وتَيَقَّنْ زوالَ ذاك وهذا تَسْلُ عمَّا تراهُ مِنْ حَادثَيْها
فازدرادٌ لِمَن تَزوَّد منها وغُرورٌ لِمَن يَمِيلُ إليها

ثم أربعة أبيات قال بعدها : وله غير ذلك في التاريخ المذكور ، اقتصرت على هذا القدر لطوله .

وأورد من شعر محمد بن أحمد بن علي القسطلاني المولود بمصر سنة ٧١٤ :

إذا كان أُنسي في التزامي بخلوتي وقلبي عن كل البرية خالياً
فما ضرَّني من كانَ في الدَّهر قالياً ولاَ سَرَّني من كان فيَّ مُواليَاً

ونقل عن كتاب «عقود الجُمان» للزركشي أيضاً : ومنه في ترجمة شرف القيرواني : علي بن سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني ، الجذامي ، أحد فحول الشعراء الأندلسيين ، كان أعور ، وله تصانيف منها «أبكار الأفكار» من نظمه ونثره ، وكان بينه وبين ابن رشيق معاداة طويلة ، وهجوٌ فاحش ، ولابن رشيق فيه عدَّة رسائل ، مثل رسالة «ساجور الكلب» ورسالة «قطع الأنفاس» توفي ابن شرف سنة ستين وأربع

مئة . وذكر الشيخ تقيُّ الدين بن دقيق العيد في «شرح العُمدة» في (باب الصلاة) في الكلام على الحديث الحادي عشر ، عن عبدالله بن مالك بن عُيَينة ، وقال : إنَّ عُيَينة أمُّ أبيه ، ومن غريب ما وقع لي في ذلك أنَّ محمد بن شرف القيرواني ، أن شرف ليس هو أبوه ، وإنما هو أُمُّهُ ، وذكر بيتين قبيحين ، وذيَّلهُما ابن رشيق ببيت قبيح ، فلذا أعرضنا عن بقيَّة الترجمة — هذا كلام صاحب الرحلة التميمي التونسي .

وذكر أنه رأى في مكتبة شيخ الإسلام في فن التفسير كتاب «الاتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف» لمحمد بن يوسف الشامي ، و«الانتصاب في رَدِّ الاعتزال من مذهب صاحب الكشاف» لم يذكر مؤلفه .

وذكر الشيخ صاحب الرحلة ما نصه : وفي يوم الأربعاء ، استدعانا الشيخ سيدي حمدان الونيسي القسمطيني ، المدرس بالحرم الشريف للفطور ، فأجبناه واجتمعنا بالفاضل السيد عبد الحميد بن باديس من بلد سطيف [في الهامش بخط المؤلف : بل من قسمطينة] قرأ بجامع الزيتونة ، بحاضرة تونس ، وتطوَّع به لنحو أربعة أعوام ، وهو فَطِنٌ ذكيٌّ ، له مشاركة في العلوم ، ومعرفة بالأصول ، ذو أخلاق طيبة . كما اجتمعنا بابن الشيخ سيدي حمدان ، واسمه محمد الطاهر ، وهو متطلب ، يقرأ على والده بالحرم الشريف «الجامع الصغير» للسيوطي ، بعد صلاة العصر ، وأكرمنا الشيخ ، وصار يُطعمنا بيده ، وسُرَّ لحضورنا دعوته ، جزاه الله خيراً .

ثم ذكر من مؤلفات الشيخ محمد بن جعفر الكتاني التي رآها : «النظم المتناثر ، في الحديث المتواتر» و«الرسالة المستطرفة ، لبيان مشهور كتب السُّنَّة المُشرَّفة» وما يتبعها من كتب الوسائل ، التي تنبغي للقاصد والسائل» .

وذكر أن للشيخ الكتَّاني كتاباً في أسماء الكتب التي يعتمد عليها في علم الحديث .

واجتمع — بمكتبة شيخ الإسلام — بشيخ حُفَّاظها الشيخ ابراهيم بن أحمد حمدي المدني الحنفي .

(للحديث صلة)

تاريخ الفاخري

لا

الأخبار النجدية

— ٣ —

طريقة التحقيق :

أضاف الأستاذ الكريم الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل إلى كتاب الفاخري من الحواشي والتعليقات ما يَرْبُو على مقدار أصله . وكثير من تلك الحواشي تتعلق بتصحيح أخطاء المخطوطة (الإملائية) التي اعتبرها الدكتور أصلاً اعتمد عليه ، وما كانت تلك المخطوطة — لحداثة كتابتها ورداءة خطِّها تصلح لتُتَّخذ أصلاً ، لوجود ما هو أقدم منها .

أما ما عدا الأخطاء المذكورة فقد بذل الدكتور جُهْداً مشكوراً في إضافة ما يكمل عبارات الأصل ، أو يوضح مُبهمها .

ومن المعروف أنَّ جُلَّ ما في كتاب الفاخري من معلومات ، أوردها ابنُ بشر في كتابه «عنوان المجد» فما في هذا الكتاب يصحح كثيراً من الأخطاء الواقعة في مخطوطة كتاب الفاخري ، وقد رجع الدكتور إلى كتاب «عنوان المجد» والى مصادر أخرى بلغت ٢٦ مصدراً ومع ذلك فقد وقع في الكتاب ما هو بحاجة إلى التصحيح بالرجوع إلى كتاب ابن بشر ، أو غيره . ومن أمثلة ذلك ما جاء في ص ١١٩ :

(شحمة نخيل الرجيل في الحويطة) هذا الكلام غامض ، ولكنَّ ابن بشر ، في حوادث سنة ١١٩٥ — أوضحه ، وأورد الاسم صحيحاً ، وهو (الحوطة) حوطة بني تميم .

وسأشير إشارات موجزة إلى أمور يسيرة لفتت انتباهي في تعليقات الدكتور ، قد يستفاد من بعضها ، أو قد تكون محلاً للمذاكرة التي توضح وَجْه الصواب فيها .

١ ص ٦٠ — عن أجود بن زامل : (وهو من بني عُقَيل بن عامر ، من بني عامر بن صعصعة) تكرَّرت نسبة بني عُقَيل — الذين كان لهم نفوذ في الاحساء في خلال القرن

السادس وما بعده — إلى بني عامر بن صعصعة القبيلة العدنانية المعروفة — تكررت في كثير من المؤلفات القديمة والحديثة .

ولكن الحمداني فيما نقل عنه ابن فضل الله العمري في كتاب «مسالك الأبصار» أوضح أنهم ليسوا من بني عامر بن صعصعة . وورد في بعض النسخ المخطوطة من «شرح ديوان ابن مقرب» — أنظر «العرب» س ١٦ ص ١٦٥ أنهم من عامر ربيعة . أي ليسوا من بني عامر بن صعصعة الذين من مُضَر .

وعامر ربيعة من عبد القيس بن أَفْصَى بن دُعمي بن جديلة من أسد بن ربيعة — ذكرهم البكريُّ في مقدمة كتابه «معجم ما استعجم» ص ٨٢ — وذكر انتشارهم في الأحساء ، وعدَّد الأماكن التي استوطنوها فيها .

وهاؤلاء هم الذين كانوا يعرفون باسم العمور ، ثم عُرِفوا أخيراً باسم (العماير) وصاروا معدودين من بني خالد ، وهم في الأصل من عبد القيس ، وغيرهم من قبائل ربيعة .

ومنشأ الخلط بين بني عامر بن صعصعة المُضريين وبين بني عامر الرَّبعيين وجود فرع يُدعى باسم (عُقَيل) في القبيلتين وهذا يحدث كثيراً في القبائل العربية كبني خالد ، وبني سلول ، وألمع وغيرهم .

٢ — ص ٦٦ — في الأصل : (القوادرة من سبيع) في «عنوان المجد» وتاريخ ابن عيسى : (القواودة) وسمعتُ من بعض المتأخرين أن الصواب (الذواودة) الذين تولى أحدهم إمارة الخرج في عهد الملك سعود — رحمه الله .

٣ — ٧٩ : (مرات : أصلها مرأة ، أو مرأت ، إحدى بلدان محمل الوشم) لا أعرف على مَ عوَّل الدكتور في القول بأن أصل مرات : (مرأت) وأنها من (محمل الوشم) إذ صحة الاسم (مرأة) على ما وردت في شعر ذي الرُّمة ، وفي كثير من الكتب القديمة ، والمحمل والوشم إقليمان مختلفان ، فالأول قاعدته ثادق ، وهو في سفوح جبال العارض الغربية ، والوشم يعرفه الدكتور وغيره ، ولكن إطلاق اسم (المحمل) عليه ليس معروفاً — على ما أعلم .

٤ — ص ٧٩ — علق الدكتور على قول الفاخري : (في سنة ١٠٩٥ — قتل

دوّاس المزاريع) فقال : (المقصود بالمزاريع هنا آل زرعة من بني حنيفة ، وليس المزاريع أبناء مزروع التميمي أهل الروضة في سُدير) .

ولا أدري على م اعتمد الدكتور في هذا الكلام ، فابن بشر أورد الخبر ــ في السوابق ــ وزاد (وملكها) يعني منفوحة ، ومحقق تاريخ ابن بشر الشيخ عبد الرحمن بن عبداللطيف علّق على كلام ابن بشرٍ بما نصه : (هم آل مزروع ، وهم من تميم) . وهذا هو المفهوم من كلمة (المزاريع) كما أنَّ آل مزروع من أهل منفوحة القدماء ، بخلاف آل زَرْعَة فهم أمراء (مِقْرِن) التي سبق عمرانها الرياض ، وبين آل زرعة وآل دواس مصاهرة ورحم ، كما يفهم من خبر استيلاء دِهَام بن دَوَّاس على إمارة الرياض ، الذي فَصَّله ابن بشر في أول تاريخه وذكر أن زيد بن موسى أبا زرعة لما قُتِل تَرَأَّس دهامٌ في الرِّياض بشبهة أنَّ ابن زيد هو ابن أُخته ، وأنه نائب عنه حتى يَكْبُر «عنوان المجد» ص ٣٠ ــ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ .

٥ ــ ص ٧٩ ــ : (ثَرْمَداء : بلدة موغلة في القدم ، كانت ماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم ، ثم أصبحت احدى بلادهم) ــ كذا قال الدكتور . وبصرف النظر عن وصف ثرمداء بالايغال في القدم ، إلاَّ أن القول بأنها كانت ماءً لبني سعد ــ تكرَّر كثيراً في المؤلفات الحديثة ، وما أراه ينطبق على هذه البلدة إذ الاسم يقصد به موضع آخر ، بل ماء آخر كان في وادي السّتار ، بمنطقة الاحساء ، ووادي السّتار يعرف الآن باسم (وادي المياه) وكان لبني سعد فيه قرى ومياه كثيرة منها ثَرمداء ــ وقد فَصَّل قراهم ومياههم صاحب كتاب «بلاد العرب» وتحدث عن الوادي وعن ذلك الماء الأزهري وغيره ــ انظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (المنطقة الشرقية ــ البحرين قديماً) رسم (ثَرمدا) .

أمّا ثَرمداء الواقعة في الوشم فهي من بلاد بني تميم أيضاً ، ولكنها لبني امرىء القيس بن زيد مناة ، إخوة بني سعد .

٦ ــ ص ٨٠ ــ في الأصل (وقتل عبيكة بن جار الله ، رئيس بلد ثرمداء) وفي مخطوطتي من كتاب الفاخري (راعي مراة) وهو الصواب ، إذ الفاخري ذكر ــ ص ٧٩ ــ مطبوعة الدكتور ما نصُّه : (قتل راشد بن ابراهيم صاحب بلد مراة وتوفي فيها

عيكة بن جار الله) وكلمة (توفي) في المطبوعة تحريف كلمة (تَولّى) كما في مخطوطتي ، وكما في سوابق ابن بشر ثم كيف يكون توفي في هذه السنة ـــ سنة ١٠٩٣ ـــ ثم يعيش ثلاث سنين حتى يقتل سنة ١٠٩٦ ؟

٧ ـــ ص ٨٠ ـــ المسافة بين العاريَّة وبين مدينة الرياض ضعف المسافة التي ذكر الدكتور بل تزيد ، وتحديد المسافات بحاجة الى اعادة النظر.

٨ ـــ ص ٨٩ ـــ : (الحُرَيِّقُ : بضم الحاء وفتح الراء وتشديد الياء ـــ تصغير حَريق ـــ قرية صغيرة في سُدَير) .

الحُرَيِّقُ : ليس من قرى سُدير ، بل من قُرى الوشم ، ينحدر شعيبُهُ من سفوح طُويق الغربيَّة حتى يتصل ببلدة القصب .

٩ ص ٩٠ ـــ : (نُفُود السِّر : سِلسلة رمالٍ تَفْصِلُ بين إقليمي الوشم وسُدَير) .

نفود السر : يقع غرب الوشم ، ويفصل بينهما الصَّفراء ، وسُدير يقع في سفوح جبال العارض (طويق) الشرقية ولا صلة له بنفود السّر . ولعل الدكتور أراد نُفُود عُريق البلدان ـــ المعروف قديماً باسم رملة الرغام ـــ فهذا النفود هو الذي يقع شرق الوشم .

١٠ ـــ ص ١٠٢ ـــ عن اسم فوزان وفوّاز : (اسم فواز غير مألوف في نجد في تلك الحقبة) ـــ أي سنة ١١٤٢ هـ .

ولكن في مخطوطة من كتاب ابن لعبون (فوّاز) وكذا في مخطوطة كتاب الفاخري التي نقلها عبدالله بن عبد الرحمن بن حمود التويجري سنة ١٣٦٨ هـ عن نسخة المؤلف .

ثم إنَّ اسم (فواز) ليس غريب الاستعمال في نجد ، فهناك فوّاز التمامي قتل سنة ١١٨٠ ـــ من أهل الرياض ذكره ابن بشر ، ورئيس البرزان . من مطير فواز أبو شُويربات مات سنة ١٢٤٤ هـ وهذان وان كانا متأخرين عن الحقبة التي أشار إليها الدكتور الشِّبْل إلاَّ أن المُلاحظ أنَّ الأسماء تتوارث غالباً في نجد ، وخاصَّةً إذا كانت أسماء أُناس مشهورين ، ومهما يكن فالجزم بأن الاسم الفلاني غير مألوف في الزمن الفلاني يحتاج إلى دراسة عميقة .

١١ ـــ ص ١٠٣ ـــ علق الدكتور على قول الفاخري عن قتل سليمان بن محمد أمير الحسا سنة ١١٤٣ هـ قائلاً : (يبدو أنَّ هُنا خطأ في الاسم صوابه علي بن محمد) الى آخر ما ذكر ، والأمانة العلمية تقضي بالإشارة إلى أنني كنت نبَّهت على هذا الخطأ الذي وقع فيه ابن بشر أيضاً في المحاضرة التي ألقيتها في ربيع الثاني سنة ١٤٠٠ هـ في (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الذي أقامته (جامعة الإمام محمد بن سعود) الجامعة التي يعمل فيها الدكتور الشبل ، فقد قلت : (المقتول هو علي بن محمد ، وتولَّى بعده أخوه سليمان بن محمد الذي عاصر ظهور الدعوة ومات في الخرج سنة ١١٦٦ هـ) في الكلام على الأمير عثمان بن معمر .

والدكتور ـــ وأمثاله من رجال الجامعات ـــ أولى وأوَّل من يحرص على الأمانة في النقل .

١٢ ـــ ص ١٠٣ ـــ عن قتل زيد بن أبي زرعة ذكر الفاخريُّ أنَّ عنزة هم الذين قتلوه في مناخ بينهم . ولكن ابن بشر ذكر في «عنوان المجد» ـــ ج ١ ص ٢٩ طبعة وزارة المعارف ـــ ما نصُّه : (قتل زيد بن موسى أبا زرعة .. قتله أحد بني عمه ، وكان معتوه العقل ، صعد عليه في علِّيته وهو نائم فذبحه بسكين) .

ويظهر أن ابن عيسى نقل الخبر عن الفاخري .
وكان يجدر بالمحقق الإشارة إلى هذا الاختلاف .

١٣ ـــ ص ١٠٧ ـــ : (وفي سنة ١١٦٢ ـــ وقعة الجنوبية ، وهدم جدرانها) .

وعلق الدكتور : (الجنوبية بستان نَخْل معروف في الرياض ، في تلك الفترة) .

الجنوبيَّة هنا تصحيف (الحُبُونيَّة) بالحاء المهملة بعدها باء موحدة مشددة مضمومة ثم نون ثم مثناة تحتية فهاء ـــ كذا وردت في عنوان «المجد» بدون ضبط ـــ ج ١ ص ٣٦ ـــ وهي إحدى محلاَّت الرياض الجنوبية بجانب صِياح ، ولا تزال معروفة مسكونة ، متصلة بمدينة الرياض .

١٤ ـــ ص ١٠٩ ـــ : (بني خالد كبيرهم عبدالله بن حصين) هو عبدالله بن تركي بن حُمَيد ـــ لا حُصين ، وفي مخطوطة التويجري (عبدالله بن حسن) .

١٥ — ص ١١٣ — : (جراب اسم منهل معروف حتى الآن يقع إلى الشمال الشرقي من القصيم ، وإلى الشمال من سَدير) .

جراب — واسمه القديم إراب — يقع في الطرف الجنوبي (مُجزّل) لجبل العارض (طويق) على خطّ الطول (٠٠/٤٥ْ) و(٤٥/٢٦ْ) عَرضاً ، فهو يقع شَرق القصيم لا شماله ، ولعلّ كلمة (الشمال الشرقي) سبق قلمٍ وأنّ المقصود (الجنوب الشرقي) .

١٦ — ص ١١٤ — : (الهلالية : اسم بلدة في القصيم ، شمال وادي الرُّمة ، وهي قديمة ، يُظَنُّ أنّها تُنسب لبني هلال) .

العامّة ينسبون ما يشاهدون من الآثار القديمة إلى بني هلال ، لما عَلِق في أذهانهم من أخبار بني هلال ، وشجاعتهم ، كما كان العرب الأقدمون يُنسبون آثار العمران القديمة إلى قبيلة عادٍ ، فيُسمُّون القديم عادياً .

وبنو هلال لم يستوطنوا القصيم ، فقد كانوا مع قومهم بني عامر في عالية نجد ، وليسوا متحضّرين ذوي عُمران ، فنسبة الهلالية إليهم قد تكون ناشئة عن وجود آثار قديمة فيها ، لا لكونها من آثار بني هلال .

١٧ — ص ١١٦ — : (عثر فَرَسُ دواس بن دهام في صفاة الظهر ، التي بين عرقة والقواره ، فقُتل) الخبر فصّله ابنُ بِشْر في حوادث سنة ١١٨٥ — وكلمة (الظهر) صوابها (الظهرة) وهي الآكام المرتفعة من دون بلدة عرقة .

وكلمة (القوارة) صوابها (الفوّارة) موضع لا يزال معروفاً غرب الرياض ، وقد بلغه العمران الآن .

١٨ — ص ١١٩ — : (سَفَوان مورد ماء قرب البصرة) هو الآن بلدة كبيرة سكانها كثيرون .

١٩ ص ١١٩ — : (مبايض ورد ذكره في الشعر والمصادر القديمة هو معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، وموقعه شرقي سُدَير) .

هما مُبايضان : أحدهما ورد في الشعر والمصادر القديمة ، وهذا في جهات العراق ، ولا أعرفه الآن .

←——

العرب في القرن السابع

من كتاب «مسالك الأبصار»

— ٣ —

[النسختان المخطوطتان من كتاب «مسالك الأبصار» سيئتا الكتابة ، كثيرتا التحريف ، ومع أن القلقشندي نقل كثيراً مما جاء في هذا الكتاب في كتابيه «صبح الأعشى» و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» إلاّ أنه وقع فيما نقل من التحريف والتصحيف أكثر مما وقع في المخطوطتين . ومع هذا يحسن الرجوع الى الكتابين المذكورين ، والى «سبائك الذهب» الذي هو تشجير لكتاب «نهاية الأرب»] .

وأما آل عليّ :

فأميرهم زَغَل بن حياد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حُدَيثة بن غُضَيَّة بن فضل بن ربيعة

وقد كان جده أميرا ، ثم أبوه ، وقلد الملك الأشرف جدّه محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك عيسى بن مُهَنَّا ، ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه ، حين بعث بجلس في طرد مهنا وسائر إخوته وأهله ، ولما أمر رملة كان حدث السّن فحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر فقدموا على السلطان بتقادمهم ، وتراموا على الخواص ، وسائر الأمراء وذوي الوظائف ، فلم يُحضرهم السلطان لديه ، ولا أدنى أحداً منهم إليه ، فرجعوا بعد معاينة الحين ، بخفي حنين ، ثم لم يزل يتربصون به الدوائر ، وينصبون له الحبائل ، ويقيه الله سيئات ما مكروا ، ويدفع عنه بالسلطان ما تعكروا (؟)

والثاني : مبايض الذي أشار إليه الدكتور ، وله ذكر في كتاب «بلاد العرب» وغيره . ولكنَّ الأول أشهر .

٢٠ — ص ١١٩ — لو رجع المحقق الفاضل إلى «عنوان المجد» حوادث سنة ١١٩٥ — لعرف موقع خضراء ، نخل ابن عشبان ، وأنها في بلدة الدّلم — والقارىء لكي يفهم النّصّ كاملاً بحاجة إلى إيضاح مُبهمه .

(للحديث صلة)   حمد الجاسر

وها هو اليوم سيّد قومه ، وفرقد دهره ، والمشهور في عشيرته ، المبيِّضُ لوجوه الأيام بسيرته .

وله إخوة ميامين كبرا ، أمراء فَضْلٍ وآل مرا ، وهم أهل بيت عظيم الشأن ، مشهور السادات ، آل موال جمّة . ونعَم ضخمة ، ومكانة في الدول عالية .

وديارهم في مَرْج دمشق ، وغوطتها ، بين إخوتهم آل فَضْل ، وبني أعمامهم آل مِرا .

ومنتهاهم الى الجوف والحَيّانية ، إلى الشبكة ، إلى تيما ، الى البرادع .

وأمـا آل مِـرَا :

فبيت الإمرة فيهم الى أحمد بن حجّي
وبقيتهم آل منيخر : وأميرهم سعد بن محمد .
وآل سر[1] وأميرهم برجس بن سكال
وآل يقرة : وأميرهم علوان بن أبي عسرا
وآل شمّا : وأميرهم عَمْرو بنُ واصل .

ثم صارت الإمرة في بيتين : في آل أحمد عمر بن نجاد بن أحمد قناة بن نجاد ، ومن بني سليمان بن أحمد شطي بن عمر بن توبه بن سليمان ، وأحمد هذا هو ابن حجّي بن يزيد بن تبل بن مرا بن ربيعة . والإمرة مقسومة بين هذين الأميرين نصفين . ويدخل في إمرتهم من يذكر :

وهم : حارثة ، والحاضر[1] ولام ، وسُعَيْدة ، ومدلج ، وفُرير ، وبنو صخر ، وزُبَيْد حوران ، وهم زُبيد صَرْخد ، وقد تقدم ذكرهم ، وبنو غني ، وبنو عز .

ويأتيهم من البريّة : آل ظفير ، والمفارجة ، وآل سلطان ، وآل غُزّي ، وآل برجس ، والخُرسان ، وآل المُغيرة ، وآل أبي الفضيل ، والزراق ، وبنو حسين الشرفا ، ومُطَير ، وخثعم ، وعدوان ، وعنزة .

وآل مرا أبطال[2] مناجيد ، ورجال صناديد ، وأقيال قُلْ كونوا من حجارة أو حديد ، لا يُعَدُّ معهم عنترة العبسيُّ ، ولا عرابة الأوسيُّ ، إلاَّ أن الحظ لَحَظَ بني

عَمِّهم ، أتمُّ مما لحظهم ، ولم تزل بينهم نُوبُ الحَرب ، ولهم في أكثرها الغلب . وقد كانت لهم بأحمد بن حجّي الأنفة الشمَّا ، والرتبة التي لا تتطاول إليها السَّماء ، ثم قُتِلَت بهم القتْلي ، وأنْزِف قوّة بأسهم سفك الدِّما ، وتشتت كلمتهم بقسمة الإمرة ، على أنها لو لم تُقسَم لظلَّ فيهم كل يوم قتيل ، وآخذ بجريرته قبيل ، لإباء نفوسهم ، وعدم انقياد نظير منهم لنظير .

وديارهم من بلاد الجَيدور والجولان إلى الزرقا والصليل الى بُصرى ، وشرقا إلى الحرة المعروفة بحرَّة كُشُب ، قريبة من مكة المعظمة ، الى شعبا إلى سرفرد[٣] الى الهضب المعروف بهضب الرَّاقي وربَّما طاب لهم البرُّ ، وامتدَّ بهم المرعى أوانَ خِصْب الشتاء ، فتوسعوا في الأرض ، وأطالوا عدد الأيام ، حتى تعود مكة المعظمة وراء ظهورهم ، ويكاد سُهَيل بَصير شامهم ، ويصلُّون مستقبلين بوجوههم الشام .

وأما زُبَيْد ـــ الغوطة والمرج :

وقد تقدمت الإشارة إليهم ـــ وامرتهم في بني نوفل ، وهم والمشارقة جيران وليس للمشارقة إمرة ، ولكن لهم شيوخ منهم ، وأمر هاؤلاء وهاؤلاء إلى نوَّاب الشام ، وليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمرة . وديارهم جميعاً المرج والغوطة بدمشق ، إلى لاهة ، إلى أم أوعال[٤] الى الرويدان[٥]

وعليهم الدرك وحوط الأطراف .

ومنهم : ثُمَّ ذِكَر ربيعة .

قال الحمداني : وقد ذكر أعيانهم : وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيان ، لهم مكانة وأبهة . فأول من رأيت منهم مانع ابن حديثة وغنام أبو الطاهر ، على أيام الملك الكامل ، ثم حضر الكل في هذه الأيام الى أبواب السلاطين ، من دولة المعزّ أيبك ، والى أيام المنصور قلاوون ، وهم زامل بن علي بن حديثة . وأخوه أبو بكر بن علي ، وأحمد بن حجّي وأولاده وإخوته ، وعيسى بن مهنا وأولاده وأخوه ، وهم رؤساء أكابر سادات العرب ووجوهها ، ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيت عظيم الى رونق في بيوتهم ومنازلهم .

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُل لاقيتَ سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

قال الحمداني : إلا أنهم مع بُعْد صِيتهم قليلٌ عددهم . قلت :

تُعَيِّرنا أنا قليل عَديدُنا فقلت لها : إنَّ الكرام قليلُ
وما ضرَّنا أنَّا قليلٌ وجارنا عزيز ، وجارُ الأكثرين ذليلُ

قال المَهمندار الحمدانيُّ : وقد وفد فرج بن هبة على المُعز ، وأنزلناه بدار الضيافة ، وقعد أياماً ، فجاء مقدار ما وصل إليه من عين وقماش ، وإقامة له ولمن معه ستة وثلاثين ألف دينار . واجتمع أيام الظاهر جماعة من آل ربيعة وغيرهم فحصل لهم من الضيافة خاصَّةً في المدة اليسيرة أكثر من هذا المقدار ، وكل ذالك على يدي . قال : وما يعلم ما خرج على يدي من بيوت الأموال والخزائن والغلال للعرب خاصة إلا الله تعالى ، مما لا يُحْصَرُ إلا بالجهد ، فسبحان من سَخَّر لهم وقسم .

قلت : قد قال الحمدانيُّ هذا واستكثره ، وأطال في هذا واستعظمه واستكبره ، فكيف لو عُمِّر إلى زماننا ، ورآى إليهم إحسان سلطاننا ، ورآى العطايا كيف كانت تفيض فيهم فيضاً من الذهب العَيْن ، والدراهم ، بمئين الوف ، والخلع الأطلس بالأطرزة الزركش ، وأنواع القماش الذي يفصَّل لملبوسهم بالسمُّور والوسق والسخاب ، والبرطاسي والأطرزة المزركشي والملمع ، والباهي والسادج والعنابي من الأسكندري ، وفاخر المقترح والمصوغات المجوهرة ، والذهب ، وأنواع الزركش لنسائهم ، والسكر المكرر والأشربة المختلفة ، بالقناطير المقنطرة ، وأحمال الجمال المقطَّرة ، إلى ما ينعم به على أعيانهم من الجواري التُّرك ، والخيل للنتاج ، والفحول للمهاير ، مع ما يطلق لهم من الأموال الجمَّة بالشام ، ويقطع باسمهم من المدن والبلاد ، ويملك لهم من القرى والضِّياع ، ويُعطي غلمانهم ، ويُجري من الإقطاعات لهم ، وللائذين بهم ، وللمتوجهين بجاههم ، مع المكانة العليَّة ، والشفاعات المقبولة ، في استخدام الوظايف ، وترتيب الرواتب ، وإقطاع الجند ، والإطلاق من السجون ، والرعاية في الغيبة والحضور . إلى غير ذلك من تجاوز أمثال الكفاية في الإنزال والمضيف لهم ولأتباعهم منذ خروجهم من بيوتهم وإلى حين عودتهم إليها ، مع مواكلة السلطان مدة

إقامتهم بحضرته غداة وعشاء والدخول عليه في المحافل والخلوات ، وملازمته أكثر الأوقات ، وإن وجدت لساناً قائلاً بقل : وهم إلى الآن يقلعون بتلك الريح ، ويستضيئون بتلك المصابيح .

قال الحمداني : ولقد رأيتهم في الوقائع مع من غلب ، إلا نوبة حمص ، يعني الكائنة أيام المنصور قلاوون ، فإنهم أثروا أثراً حسناً ، وعملوا في التتار عملاً جيداً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وربّما تقدّموا الجيش في اللقاء ، وكانوا سبب الكرة — يعني المؤدية الى النصرة .

قلت : وحكي لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود أنه رأى آل مراحين جاؤا تلك المرّة قال : كُنْتُ جالساً على باب الاصطبل السلطاني بدمشق ، وقد أقبلوا زهاء أربعة آلاف فارس ، شاكين في السلاح ، على الخيل المسوّمة ، والجياد المطهّمة ، وعليهم الكزغدان[٦] الحمر ، من الأطلس المعدنيّ ، والديباج الرومي ، وعلى رؤوسهم البيض ، مقلدين بالسيوف ، بأيديهم الرماح ، كأنهم صقور على صقور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ، ويرقصون بتراقص المهارى ، وبأيديهم الجنائب التي خلت إليهم عيون الملوك صُوراً ، ووراءهم الظعائن والحمول ، قال : وكانت معهم مغنيّة لهم ، تعرف بالحضرمية ، وكانت لها سمعة طائرة في زمانها ، ورأيتها سافرة من الهودج وهي تغنّي :

وكنّا حَسِبْنا كُلَّ بَيْضَاء شحمةً   لَيالي لاقينا جُذَام وحميرا[٧]
ولما لقينـا عصبـةً تغلبيـة   يقودون جُرداً ، للمنيَّة ضمّرا
فلما قَرَعنا النبع بالنبع بعضه   ببعض أبت عيدانه ان تكسّرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها   ولكنهم كانوا على الموت أصْبرا

فقال رجل منهم كان إلى جانبي : هكذا يكون ورب الكعبة . فكان الأمر كما قال : فإن الكسرة كانت أولاً على المسلمين ، ثم كانت النُّصرة لهم ، واستَحرَّ القتل بالتتار ، فسبحان منطق الألسنة ، ومصرف الأقدار ، فهو الفاعل لما يشاء الفاعل المختار .

واذ قد انتهينا في ذكر آل ربيعة ، فلنذكر ما حضرنا من بقية العرب وديارهم فنقول :

بنو خالد : عرب حمص ، يَدَّعون النسب إلى خالد (بن الوليد) وقد أجمع أهل العلم بالنَّسب على انقراض عقبه . ولعلهم من ذوي قرابته من بني مخزوم ، وكفاهم ذلك فخراً أن يكونوا من قريش .

وبنو كلاب :

عرب أطراف حلب والروم ، ولهم غزوات معلومة ، وغارات لا تُعَدُّ ، ولا تزال تُبَاع بناتُ الروم وأبناؤهم من سباياهم ، وهم يتكلمون بالتركية ، ويركبون الأكاديش ، وهم عرب غزو ، ورجال حروب ، وأبطال جيوش ، ولإفراط نكاياتهم في الروم صُنِعَت السيرة المعروفة بدلهمه والبطال[8] منسوبة إليهم ، بما فيها من ملح الأحاديث ، وملح الأباطيل ، والكذب فيها يغلب على الصحيح .

وقد رأيت لعبد الوهاب ذكراً في سواها فقيل : عبد الوهاب بن نوبخت . وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر البطال ، وسماه عبدالله الانطاكي ، وذكر أنه كان أيام بني مروان ، وفيها هلك مصنف هذه السيرة ، قد جعله أيام بني العباس ، وذلك حديث خُرافة ، ولم أقِفْ لدلهمة للذِكر البتة ، فيا يوثق به ، وقد نبهت على هذا لِيُعْرف .

قلت : وذكر لي رجال من بني مروان أنهم ينسبون الى عبد الوهاب هذا .

قال المهمندار الحمدانيُّ ما معناه : فأما بنو كلاب عرب الروم ، فقد كانوا ظهوراً على آل ربيعة ، لأن الملك الكامل كان طلب من مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر جِمَالاً يحمل عليها غِلالاً إلى خُلاط ، يُقَوّيها بها . فاعتذر بأن الجمال عَزّبت في البرِّية ، وكان بعض بني كلاب حضوراً لديه ، فتكفَّل له بحاجته من الجمال ، ووفى بقوله ، فحقدها الكامل على مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر ، واستوحشا منه ، ثم أتياه عند أخذه آمد ، فوبَّخهما وقال : والله لولا أنكما عربي لأفعلنَّ بكما الواجب ، فخرجا خائفين منه ، إلى فتح دمشق ، فأتياه بأنواع التقادم ، وتقربا اليه بالخدمة .

قال : وكانت بنو كلاب تخدم الملك الأشرف موسى ، وتَصْحَبُهُ لمُتاخمته لبلاد الروم ، وكانوا مُتَرصِّدين لخدمه ، ومعدودين من خَدَمه .

قلت : وكان سُلطاننا لا يزال مُتلفِّتاً الى تألُّف بني كلاب ، وكان أحمد بن نصير

المعروف بالثّري قد عاث في البلاد ، والأطراف ، واشتد في قطع الطريق ، فأمّنه وخلع عليه ، وأقطعه ، فانقادت بنو كلاب .

وحكى لي الأمير علاي الدين الطنبغا ، أيام نيابته بالشام ، أن بني كلاب أشدُّ العرب بأساً ، وأكثرهم ناساً ، ولكنهم لا يَدينون لأمير منهم يجمع كلمتهم : قال : ولو انقادوا لأمير واحدٍ لم يَبْق لأحدٍ من العرب بهم قِبلٌ ولا طاقة . ولما توجه إلى حلب لإمساك طُشتُمر ، أتاه مشاهير بنو كلاب ، مثل أحمد بن نصير وندى بن ضحّاك وغيرهم ، فكانوا أعوانه ، وظهراه ، ولم يزالوا معه حتى جَفَت[8] عليه النوبة ، ففارقوه من المعيصرة ، وكان ذلك بمباطنة من سليمان بن مُهَنا ، وكانوا قد صاروا أحلافاً له ، وكان الملك النَاصر قد أمّرهُ على عرب بني كلاب ، وجعل عليه حَوْطَ جَعْبر ، وما جاورها .

وآل بَشّـار :

ديارهم الجزيرة ، والأحَصُّ ببلاد حلب ، والأحلاف منهم حالهم في عدم الانقياد لأمير واحدٍ ، حال بني كلاب ، ولو اجتمعوا لما أمن بأسهُم ، وهم على تفرق كلمتهم ، وتشتُّت جماعتهم ، لا يزال آل فَضْلٍ منهم على وجلٍ ، وطال ما باتوا وقلوبهم ، منهم ملأى من الحذر ، وعيونهم وسنّى من السّهر ، وبينهم دِمَاء ، وهم وبنو ربيعة ، وبنو عجل جيران[9] وديارهم من سنجار وما يدانيها الى البازار ، قريب الجزيرة العُمريّة ، إلى أطراف بغداد .

غَزِيّة :

قال الحمداني : وهم بطون وأفخاذ ، ولهم مشايخ ، ومنهم من وفد على السلاطين في زماننا ، وهم متفرقون في الشام والحجاز وبغداد ، وفيما بين العراق والحجاز .

وأما شيوخ غزية الذين في طريق بغداد إلى الحجاز ، الذين مياههم اليحموم واللصف والنخيلة والمغيثة . مياه البطنين .

ومياه الأجود : لِينَة والثّعلبيّة ، وزَرُود[10]

فمن غزية : البطنين ، منهم آل دعيج ، وكان شيخهم مانع بن سليمان ، قد وفد

الديار المصرية سنة ثلاث وست مئة ، وآل روق ، وآل رفيع ، وآل شرية[١١] ، وآل مسعود ، وآل تميم ، وآل شمردل . هذه البطون من غزية . بطون الأجود من غَزِيَّة : آل منيع ، وآل سنيد ، وآل سند ، وآل سنان ، وآل أبي الحزم ، وآل محلى[١٢] وآل عقيل وآل مسافر. هاؤلاء المشهورون من بطون غزية . والله أعلم ، هذا ما ذكره الحمداني .

قلت : وذكر لي نصير بن برجس المشرقي زيادة : أولاد الكافره ، وساعدة ، وبنو جميل وآل أبي مالك وأما أحلاف آل فضل ، فقد قدمنا ذكرهم فيهم .

وديار آل أجود منهم الرخيمية والوقبا ، والفردوس ، ولِيَنَة والحَدَق .

وآل عمرو بالجوف ، وديار بقاياهم اللَّصَف والكمن ، واليحموم والام(؟) والمُغيثة .

ومنهم ساعدة : وديارهم من خضرا إلى تُربة وزرود[١٣] ، ولا محيد للركب العراقي عنها ، الى سقارة الى النقعا الى البيت إلى الساسة ، الى حفر[١٤]

وخـالد :

ودارها التنومة ، وضبيدة ، وأبو الدِّيدان ، والقريع ، وخارج والكوارة ، والنَّبوان ، إلى ساق العرفة الى الرسوس ، إلى عنيزة الى وضاخ الى جبلة الى السِّرّ إلى العودة الى العشرية (؟) الى الأنجل]‏[١٥]

وخفاجة وعبادة : عرّب بغداد والعراق .

وقال ابن عدام : منازل عبادة من بغداد إلى الموصل ، وبمرج دمشق قوم من عبادة .

وخفاجة من هيت والأنبار والى الحلة ، الى مرملاها (؟) إلى الكوفة ، إلى قائم عنقا والديار[١٦] الى السى دون البصرة ، وهو غاية مرعاهم ونهاية بعدهم .

قال الحمداني : إنهم وفدوا على الدولة الظاهرية ، بُعيد كسرة الخليفة المستنصر ، المجهّز من مصر لاستفتاح العراق ، وكان كبير جماعتهم حصن بن بدران بن مقلد بن سلمان بن مهارش العبادي ، وشهري بن أحمد الخفاجي ، في أشياخ منهم مقبل بن سالم ،

وعياش بن حديثة ، ووشاح وغيرهم ، فأنعم الملك الظاهر عليهم وقتاهم (؟) ، ثم كانوا عَيْناً لهُ على التّتار ، وأعواناً له للانتصار .

عربان العذار :

وهم عربان المسيَّب بالبطايح ، وقد كانوا يَعْصون على الخلفاء وملوك التتار ، لتمنُّعهم بالماء ، والمقاصب المغلقة ، والأجم المُتأشبّة ومقدَّمهم ابن رزق ، وهم من سنبس والجبور ، وآل نطاح إلى بطون أخرى .

وقد صاروا أَهْلَ مَدَرة ، وحُلاَّل دارة ، لا يبارحونها ، ورزقهم مقدر عليهم .

عَرَب العارض :

والعارض وراء الوشم ، والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذا توسَّعوا في البرّ .

وهم بنو زياد ، والجميلة .

وعَرَب الخرج :

وهم العُقفان والبرمان

ومن بلادهم البريك والنعام ، وهما قريتان في وادٍ مَنيع ، اذا حُصِّن مدْخلُهُ بسُورٍ كان أمْنَعَ بلاد الله .

قال ابن عَدام : والى هذا الوادي أزْمَعَ تنكر على الهرب ، حين خاف من الملك الناصر ، وعليه طريق ركب الحَسَا ، وعليه مَمرُّ الركب من الحسا والقطيف ، وفيه يقول بعضهم :

لـعـلَّك تـوطـيـني نـعـامـاً وأهـلـه ولـو بـان بـالحجَّـاج عـنـه طـريق

عايذ بنو سعيد :

دارهم من حرمة إلى جلاجل والتويم ، ووادي القرى ، وليس بالوادي المقارب المدينة الشريفة النبوية — زادها الله شرفاً — ويُعرف بالعارض ، ورُماح والحَفَر .

وحدثني أحمد بن عبدالله الواصلي أن بلادهم بلاد خير ، ذات زرع وماشية ، بقرى عامرة ، وعيون جارية ، ونعم سارحة ، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانه ،

قال : وكان المظفر بيبرس الجاشنكير همَّ بقصده ، واللحاق به ، والمقام فيه . وأن يكون فيه كواحد من أهله ، مُرتزقاً من سوائم الإبل والشاء ، قال : ثم انثنى رأيه عن ذلك آخر وقت . ولو وجّه إليه وجهه كان أحمد لمُنتجعه ، وأدنى لعوده إلى صلاح الحال ومرتجعه .

بنو يزيد :

ودارهم ملهم وبنبان وحجر ، ومنفُوحة ، وصباح ، والبرَّة ، والعُويند ، وجو .

المزايدة :

دارها البغرا وحرمة — وهي حرمة أُخرى غير الذي تقدم ذكرها — وسَبحة الدَّبيل ، والخَلوة ، والحريم ، والبُريك ونعام والخَرج .

عقيل :

وهم من آل عامر :

قال الحمداني : وهم غير عامر المنتفق ، وغير عامر بن صعصعة(١٧)

قال ومنهم القديمات والنعايم وقبات وقيس ودغفل وحرنان وبنو مطرق .

وذكر أنهم وفدوا في الأيام الظاهرية ، صُحْبة مُقَدَّمهم محمد بن أحمد بن العقدي بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر ، وعُومِلُوا بأتمّ الإكرام ، وأفيض عليهم سابغ الانعام ، ولحظوا بعين الاعتناء .

قلت : وتوالت وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية ، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت النائي منهم ، وبرز الأمر السلطاني إلى آل فَضْل بتسهيل الطريق لوفودهم وقُصّادهم ، وتأمينهم في الورد والصدور ، فانثالت عليه جماعتهم ، واخلصت له طاعتهم ، وأتته بأجلاب الخيل والمهاري في أعنّتها وأزمّتها تتبارى ، وكان لا يزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لا يزال على فضاء تلك الرحاب ، تغص بفنائه تلك المضاب ، بخيام مشدودة بخيام ، ورجال بين قعود وقيام .

وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع إلى بقية أُمراء فيهم وكبراء لهم .

شَمْر ولاَم :

من عرب الحجاز ، وديارهم جبلاطي .

وظفير من بني لام ، ومنزلهم الطعن[19] ، قبالة المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

(للكلام صلة)

الحواشي :

(*) في «صبح الأعشى» ج ٤ ص ٢٠٩ (آل نُمَيّ).
(١) في (ب) : الحاص(؟)
(٢) الجيدور — بالجيم — معروف بهذا الاسم في نواحي حوران
(٣) كلمة غير واضحة في النسختين (إلى سراس بريد) وفي «صبح الأعشى» ٢٠٨/٤ : إلى نيران مزيد) .
(٤) لاهة — الاهة — قارة في السماوة تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي» قسم (شمال المملكة) ولا تزال معروفة . وأم أوعال في شمال وادي السرحان .
(٥) في (ب) : (الرويشدات)
(٦) في (ب) : (الكرعندات)
(٧) هذه الأبيات من الشعر القديم .
(٧) سيرة (ذات الهمة والبطال) لا تزال متداولة في بعض الأقطار العربية .
(٨) في (ب) : حقت .
(٩) في (أ) : (حران)
(١٠) أنظر عن هذه المياه قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»
(١١) رفيع وشرية — بدون إعجام في (أ)
(١٢) في (ب) : (آلك علي)
(١٣) تُربة هذه هي الواقعة في الدهنا ، شرق منطقة حايل بقرب زرودو خضرا ولينة ، وكل هذه المياه حددتها في (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» .
(١٤) كذا وردت هذه الأسماء ولكنها مُحرّفة ، ولم أهتد الى تصحيحها .
(١٥) ما بين المربعين [ ] من (ب)
(١٦) في (ب) : (والثرثار إلى الثني)
(١٧) هم من عامر ربيعة ، من عبد القيس منها — ويعرفون قديماً بالعمور ، وحديثاً باسم (العماير) ولا تزال لهم بقية في المنطقة الشرقية ، وينتسبون في بني خالد .
(١٨) أنظر عن هذه المواضع قسم (المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» وانظر كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» وص ١٢١٥ من ج ١ من قسم المنطقة الشرقية .
(١٩) لعله (الطعن ظعَن الحرّة) الضعن — أي مسايل الحرّة الشرقية وانظر عن هذا الاسم قسم (شمال المملكة) من المعجم الجغرافي .

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ١٢ —

١٧٧ — بابُ جُدَّةَ وَحَدَّةَ[1]

أمَّا الأوَّل — بِضَمِ الجِيمِ وتَشْدِيدِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ : على[2] ساحِلِ البَحْرِ ، بَيْنَهُما وَبَيْنَ مَكَّةَ مَسَافَةُ يَومٍ ولَيْلَةٍ .

يُنْسَبُ إليها عَبْدُ المَلِكِ بن إبراهيمَ الجُدّي ونَفَرٌ سِوَاهُ[3])

وأمَّا الثَّاني : أوَّلُهُ حاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ — : وَادٍ بِتِهَامَةَ ، وَيُقَالُ لهُ حَدٌّ — أيضاً — بإسْقَاطِ الهاءِ[4] .

---

(١) هو نصُّ ما في كتاب نصر ، ولم يزد الحازمي سوى جملة (ينسب إليها) الى (ونفرٌ سواه)

(٢) كذا ورد في النّص في كتاب الحازميّ . وفي كتاب نصر : (البلد قُرْبَ مكة) إلى آخر ما ذكر الحازمي . وفي «معجم ما استعجم» للبكري : جُدّة — بضم أوّلها — ساحل مكة ، معروفة سُمّيتْ بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجُدّة من البحر والنّهر : ما وَلِيَ النّهر ، وأصْلُ الجُدّة الطريق الممتدّة . انتهى وقال ياقوت في «معجم البلدان» : الجُدّة في الأصل الطريقة ، والجُدّة الخُطّة التي في ظهر الحمار تخالف سائر لونه ، وجُدّةُ : بلد على ساحل بحر اليمن ، وهو فُرْضَة مكة ، بينها وبين مكة ثلاث ليال عن الزّمخشري — ثم أورد قول الحازمي ونقل عن ابن الكلبي قوله : وبجُدّةَ وُلِدَ جُدَّةُ بن جَرْم بن رَبّان — من قضاعة — فسُمّي جدة باسم الموضع ، ونقل عنه : لما تفرّقت الأمم صار لعمرو بن مَعَد بن عدنان — وهو قضاعة — لمساكنهم ومراعي أغنامهم ، جُدّة من شاطىء البحر وما دُونَها إلى منتهى ذات عِرْقٍ ، إلى حَيِّز البحر ، من السهل إلى الجبل ، فنزلوا وانتشروا فيها ، وكثروا بها . انتهى .

والقول بأنّ قُضَاعة هو عَمرو بن معد بن عَدنان قول مَرْجُوحٌ على ما ذكر الهمداني في الجزء الأول من كتاب «الإكليل» حيث أورد الأدلّة الكثيرة على أنّ قضاعةَ مِن حِمْيَر ، ثم من قحطان .

(٣) مِمّن يُنْسَب إلى جُدّة — من رواة الحديث — على ما في كتاب «الاكمال» ٢/٢٦٣ — و«الأنساب» : ٢/٢٢٢ — :

١ — عبد الملك بن ابراهيم الجُدّي

٢ — علي بن محمد بن علي بن الأزهر العُليمي المُقرِيء القطان الجُدي ولد سنة ٣٩٠ وتوفي سنة ٤٦٨ — على ما ذكر ياقوت ، وذكر في «توضيح المشتبه» .
٣ — قاسم بن محمد الجُدّي — من رواة الحديث .
٤ — حفص بن عمر الجُدّي من الرواة أيضاً .
٥ — أحمد بن سعيد بن فَرْقَد الجُدّي — حدث عنه الطَّبراني .
٦ — عبد الرحمن بن شيبة الجُدّي — يروي عن شريك ، وروى عنه أبو يزيد القراطيسي .
٧ — موسى بن محمد بن كثير الجُدّي ، يروى عن حفص بن عمر العدني ويروى عنه العُقيلي .
٨ — بكر بن صدقة الجُدّي ، محدث روى عنه مصعب بن ثابت .
٩ — جابر بن مرزوق الجُدّي — أنظر «لسان الميزان» ٨٨/٢ .
١٠ — عبدالله بن ابراهيم الجُدّي .

ولجُدَّة ذكر كثير في كتب المتقدمين وفي رحلات العلماء والمتأخرين ، وأُلِّف عنها رسائل تدور حول فضائلها بصفتها رباط مكة والمدخل إليها — أنظر مجلة «العرب» س ٢ ص ١٩٣ وس ١٣ ص ٤٠٤ وما بعدها وس ١٤ ص ١٠٩ وس ١٥ ص ٢٢٧ — ومن آخر من ألف عنها الحضراوي المكي الذي نشرت «العرب» مؤلفه عنها ، وبعده الأستاذ عبد القدوس الأنصاري .

(٤) قال صاحب «معجم البلدان» : الحَدَّة — بالفتح ثم التشديد : حصن باليمن من أعمال الخبية (؟) وهي من أعمال جيب .

وحَدَّة أيضاً : منزل بين جُدَّة ومكة من أرض تهامة ، في وسط الطريق ، وهو واد فيه حِصْنٌ ونَخْلٌ وماءٌ جارٍ من عَيْن ، وهو موضع نَزِهٌ طيِّب ، والقدماء يُسَمُّونه حَدَّاء بالمد .. وقد ذُكِر .

وقد أورد صاحب «المعجم» بعض هذا القول في رسم حَدَّاء وزاد : قال أبو جُنْدب الهُذَلي :

بَغَيْتُهُم ما بَيْنَ حَدَّاءَ والحَشَا ... وأَوْرَدْتُهُم مَاءَ الأُثَيْلِ فَعَاصِمَا

وأخشى أن صاحب «المعجم» — خلط بَيْن موضعين أحدهما الموضع الذي بين جُدَّة ومكة ، وهو كما وَصَف يفيض فيه سيل وادي فاطمة (مَرّ الظهران) ثم ينحدر حتى يصب في البحر جنوب جُدَّة ، وحَدَّة الآن أصبحت بلدة كثيرة السكان . ويسميها بعضهم حَدَّاء — بالألف — وما أراها المقصودة بقول أبي جُنْدب ، وليست حَدَّاء التي ذكرها أبو جندب موضعاً ، تِلْقاء الأبواء — كما ذكر البكريُّ في «معجم ما استعجم» إذ أورد البيت ، وقال : والحشا جبل الأبواء ، فإنَّ الشاعر ذكر المسافة بين الموضعين ، التي بغى من ذكرهم فيها — وهم أعداؤه — الذين قال عنهم قبل هذا البيت من قصيدة — شرح أشعار الهُذَليين — ص ٣٥٣ :

عَلَى حَتِّ صَبَّحْتُهُم بِمُغِيرةٍ ... كَرِجْلِ الدَّبا الصَّيفيِّ أَصبح سائِمَا

وقد جاء في شرح السُّكَّري للبيت ما نصه : حَدَّاء : طريقُ جُدَّة . والحشا وادٍ ، أبو عَمْرو : (الأُثَيل نَبْتٌ(؟) ويُروى : جَدَّاء والحشا ، مكان بلدان . والأُثَيل وعاصِم ماءان . قال الباهليُّ : هذه كلُّها مياه .

إلى ملمع الفَيْفا فَقُنَّةِ عازبٍ ... أُجَمِّعُ مِنهم جاملاً وأغانِمَا

زعم أنه كلَّم قومه في مرضه لجمعوا له غَنَماً (؟)

قال : الفَيْفا موضع . والجامل الإبل وأغانم : أراد غَنَماً . انتهى المقصود من شرح السُّكَّري وفيه : حَدَّاء طريق جُدَّة — كذا .

والذي أراه أن الشاعر الهُذَلي أراد حَدَّاء الجبل الذي لا يزال معروفاً ، في جنوب مكة ، بقرب السَّعْدِيَّة قال عنه الأستاذ عاتق بن غيث البلادي : حَدَّاء جبل للمحادلة ، بطرف يلملم من الجنوب ، يقابل جبل (عوامن) بينهما دَرْب السَّيْل وهو المقصود ببيت أبي جندب . انتهى . وعلى هذا فالشاعر قصد طول المسافة الواقعة بين جَبَلي حَدَّاء والحشا ، الذي هو جبل الأبواء — على ما ذكر عَرَّام في رسالته ، والبكريُّ وغيرهما .

وعواهن المقابل لجبل حدَّاء أرى صواب الاسم (عوائن) وأبدل العامة الهمزة هاء لتقارب مخرجي الحرفين ، وكون نطق الهاء أسهل من نطق الهمزة وعوائن اسم جبل ورد في شعر مالك بن خالد الهذلي :

أخطار تهدد تراثنا
مَصْدَرُها جامعاتنا

[من بين رسائل القراء حول ما نشر في «العرب» حول (الدكاترة) و(الدكتوراة) رسالة من الأخ الأستاذ عبد القادر العافية الأستاذ في (كلية الشريعة) في مدينة فاس — ملخصها] :

تحية ملؤها الإعجاب والتقدير ، وسلاماً حاراً صادقاً نابعاً من الأعماق .

أما بعد . فإنَّ تعقيبكم على رسالة (الدكتوراة) في موضوع : دراسة وتحقيق لكتاب : (التعليقات والنوادر للهجريِّ) أثلجتُم به الصَّدْر وقوَّمتم به الاعوجاج ، ونبَّهتم به الأغرار ، وأبنْتُم — ولكم الفضل — أن تُراثنا العربيَّ ما زال له — بحمد الله — حُماة وحُرَّاس أوفياء ، وأمناء مقتدرون ، وذَابُّون عن حماه يقظون ، من فقهاء العربية وأدبائها ، ومن الذين لا تُوشحهم الألقاب الفارغة والتقديرات الجوفاء ، بل من الذين درسوا العلم للعِلْم ، وأخلصوا في التحصيل والبحث والدراسة ..

سيدي الأستاذ الفاضل : إنَّ تعقيبكم القيِّم والمفيد لا يقف مَغزاه عند منح شهادة عُليا ، لمن لا يَسْتَحِقُّها ، ولا عند صدور كتاب يحمل أخطاء عديدة ، وتحريفات فظيعة .. بل إنَّ تعقيبكم القيِّمَ يَدُقُّ جَرَسَ الخطر ، وينبِّهُ على ما يُحَدِّقُ بتراثنا العَربيِّ من أخطار ، مصدرها جامعاتنا ومعاهدنا ، ومدارسنا .. مصدرها أصحاب الألقاب الفخمة ، والكراسيِّ المشيدة في عنابر الجامعات المختصة . وإن هذا لَهُو الخطر الداهم ، والويل المُبير — حفظ الله تراثنا ووقاه — .

سيدي الفاضل : المعروف عادة أن أطروحات (الدكتوراه) يُتَشَدَّد في منحها غاية التَّشَدُّد ، وتُناقش بواسطة لجنة موسَّعة ، من المتخصصين ، يُعالج كلٌّ واحدٍ من

→

فإن يُمْسِ أهلي بالرَّجيعِ ودُونَنا ... جِبالُ السَّراةِ مَهْوَرٌ فعَوائِقُ
يُوافيكَ منها طارقٌ كُلَّ ليلةٍ ... حَثِيثٌ كما وافى الغريمَ المُدائِنُ

أعضائها جانباً من الجوانب التي تحتوي عليه الرسالة بالإضافة إلى النحو ، واللغة ، والتعبير ، والعروض .. وما إلى ذلك .

فأين الرسالة المعقَّبُ عليها من هذا كله ؟!

إن تعقيبكم درسٌ نافع غاية النفع ، للمحقِّق ولأساتذته ، ولسائر القراء . فجزاكم الله خيراً جزيلاً على عملكم المشكور ، وأثابكم على غيرتكم العلمية ، وعلى شهامتكم العربية ، بما يُثاب به الأوفياء المخلصون .

سيدي الأستاذ لا أكتمكم أنني معجب غاية الاعجاب بمجلتكم الغراء . وبأبحاثكم المفيدة النيِّرة فيها . ومجلة «العرب» هي من المجلات الملتزمة بالحفاظ على الروح العربية الصميمة .

حفظكم الله للعلم ...

عبد القادر العافية
أستاذ بكلية الشريعة في فاس

بلاد يام

قبيلة يام قبيلة عريقة وقديمة عاصمتها مدينة نجران التي تقع في الجنوب الغربي من مملكتنا الحبيبة كما أن معظم بلاد قبائل يام يقع من نجران شمالاً بمساحة قدرها ٣٨٠ كيلاً ومن الغرب السروات الى الشرق الربع الخالي حوالي ٤٥٠ كيلاً كذلك يوجد في شمال منطقة نجران مناطق وأودية تحادُّ لبلاد قحطان ، وفيها جبال القاره الغنية بالآثار القديمة والمنقوشة على الصخور وفيها آثار قرى قديمة مثل يَدَمه وبدر الجنوب ، والصحن ، وثار ، وقطن وغيرها .

وفيها أودية عظيمة تمتد من الغرب الى الشرق منها وادي ثار ، ووادي قطن ووادي طلحام ، ووادي الصحن ووادي الحبط آخرها شمالاً وجميع هذه الأودية تنحدر حتى تصل الى العارض والربع الخالي ومن هناك تتقطع في الرمال ..

وهذه الأودية غنية بالآبار وبالمياه العذبة الجوفية التي لم يستخرج منها إلا القليل وذلك لعدم الاهتمام بالزراعة لصعوبة المواصلات حيث .

وفي هذه المناطق كان يمر الحجيج من الأراضي اليمنية وغيرها من الجنوب اليمني وقد

ثم فتح خط طريق نجران الى أبها والمؤدي الى الحجاز وذلك قبل عشر سنوات تقريباً .

وأخيراً تم فتح خط الرياض الى نجران وشروره وبسبب عزلة هذه المناطق ورحيل أغلب سكانها منها طلباً للعلم والرزق حيث المدارس في هذه المناطق التي أشرت إليها اعلاه لم تتعدَّ التعليم الابتدائي وحتى كتابة هذا فهذه المناطق تبعد عن مدينة نجران بما يقارب ١٩٠ كيلاً تقريباً شمالاً ويسكن هذه المناطق من قبائل يام قبائل الوعلة حوالي ستين ألف نسمة والأغلبية فيهم بادية ومن قبيلة الوعلة الفروع التالية :

١ ـــ آل فطيح : ومنهم آل عازب ، وآل دبيش وآل شهوان ، ومنهم آل المهان .
٢ ـــ آل مطلق : ومنهم آل مخلص وآل معجبه ، وآل عاطف بن سلطان ، وآل راكه .
٣ ـــ آل رشيد : ومنهم آل شعفه وآل زايد ، وآل علي بن مطلق .
٤ ـــ آل الفهاد : ومنهم آل عبدان ، وآل حسن بن فهاد وغيرهم ممن لا أذكرهم الآن .
٥ ـــ آل العرجا : ومنهم آل جحدود وآل مطرة وآل سالم بن ناجع ، وآل معيض بن مهشل وغيرهم .
٦ ـــ آل حسن بن عيسى : ومنهم آل سالم وآل فروان ـــ وآل معوض وآل البيد وغيرهم .. الخ .

وتلك القبائل عموماً يرجعون الى وعيل بن هشام بن مذكر بن يام ..

هذه المناطق التي أشرت اليها محرومة من المواصلات ومن التعليم حتى الإرسال التلفزيوني لم يصل إليها حتى الآن علماً بأن وكلاء الوزارات قد سبق لهم زيارة منطقة نجران والاطلاع عليها وعلى عموم المناطق المشار إليها إلا أنه حتى الآن لم يتَّخذ شيء حيالها ..

نجران : محمد بن ذيب المهان

« العرب » : ملخص رسالة بعثها الكاتب الكريم عن هذا الجزء الحبيب من بلادنا ، الذي يأمل كلُّ مخلص من أبنائها أن ينال نصيبه كاملاً من عناية حكومتنا واهتمامها بكل

ما يتطلع إليه كل محب لرفعة هذا الوطن وعزته وتقدمه .

حول أسرة الحمادى في القصيم :

اطلعت على ما نشر في «العرب» العزيزة في ص ٣٠٩ وما بعدها من ج ٣ و ٤ س ١٦ الصادر في رمضان وشوال سنة ١٤٠١ هـ بعنوان «أسرة الحمادي في الشقة» ولأني أمتّ الى تلك الأسرة بنسب فقد سعدت لأن ألقي في العرب الجديد المفيد لي عنها سواء فيما ذكره الأخ عبد العزيز بن سليمان البعيمي أو ما تفضلتم به من تعقيب على كلامه وما استشهدتم به من تاريخ ابن العبون من حيث هجرة تلك الأسرة من أشيقر الى القصيم.. وأرجو أن يتسع صدر (العرب) للتعليقات الموجزة التالية :

١ — من الغريب أن يكون للأسرة جَدٌّ يدعى (حتايت) مع أنَّ الكثيرين ممن ينتسبون إلى تلك الأسرة ممن تُذرِّف أعمارهم على الأربعين لم يطرق اسمه أسماعهم قط قبل ذكره في المجلة فما بالك بمن هم أصغر سناً ! وفي هذا عبرة كبيرة إذ يظهر سرعة اكتناف النسيان للحقائق واضمحلالها حتى لا تكاد تعرف.. وهنا تبرز مهمة مؤرخ الانساب في التنقيب والبحث والتمحيص إلى أن يصل الى حقائق منسية .

٢ — كثير من الأسر المتفرعة من أسرة الحمادى برحت الشِّقة واستقرت في أماكن أخرى بالقصيم ، منذ وقت مبكر نسبياً مثل السِّداسا الذين استوطنوا منذ نحو ٢٠٠ عام البكيرية ثم البدايع وقصور الشِّيحية ، ومثل الجفارا أو الحضافا الذين استوطنوا البكيرية .. ثم انتقلت في السنين الأخيرة أسرٌ منهم كغيرهم من المواطنين — الى مختلف مدن المملكة .

٣ — جاء في كلمة الأستاذ البعيمي ما يلي في ص ٣١٠ (ومن ذرية سليمان عائلة : السديسي والحظيني والجفيري والفراج) ويجب أن تكون العبارة (ومن ذرية سليمان عائلات : السداسا — المفرد السديس ، بدون ياء نسب — والحضافا — المفرد الحُضيف — والجفارا — المفرد الجفير — والفراج . وبالمناسبة فقد ورد في (معجم الأسر المتحضرة في نجد) القسم الأول ص ٣٧٤ «السُّديس (السُّدَيسي)» على أن

الكلمة الأخيرة صيغة أخرى ، والحق أن لا وجود لهذه الصيغة . وجاء فيها (ص ٣٠٩) السطر الأخير : فمن ذرية محمد عائلة : البعيمي والغازي والكلية والعقيل) وهذه أربع عائلات لا عائلة واحدة . و(الكلية) تحريف سيء وصحته (الكُلَيَّة) بألف ولام ثم كاف مضمومة فلام مفتوحة فياء مشددة مفتوحة ثم تاء مربوطة بلفظ تصغير (الكلية) .

وجاء فيها (ص ٣١٠) : ومن ذرية سالم : عائلة الشويهي والخضيري والمدهيش والجوعي) وهذه أيضاً عائلات لا عائلة . والجوعي صحته «الجويعي» .

وورد في موضع آخر (من الصفحة نفسها) : العصالي بالياء والصحيح أنها بالألف بصيغة الجمع والمفرد (العصيل) وهو اسم معروف لعائلة .

٤ ـ ذكر الأستاذ عبد العزيز أنه اطلع على ورقة قديمة فيها معلومات نافعة عن هجرة حتايت . وأنا أدعوه الى بعثها لكم لتصور وتضمن ما بها من معلومات بعد التحقق من أصلها ومصدرها ضمن الحديث عن الأسرة في «معجم الأسر المتحضرة في نجد» المرتقب .

وتفضل يا أستاذنا الجليل بقبول خالص التحية ووافر الود والتقدير .

٢٠ محرم ١٤٠٢هـ محمد السليمان السديس

أسرة آل عفنان :

اطلعت على مؤلفكم «جمهرة أنساب الأسر في نجد» القسم الأول ويطيب لي أن أكون من المسهمين ولو بجهد ضئيل في تقديم بعض المعلومات التي ربما تجد لها مكانا في القسم الثاني والذي لم يقدم ـ حسب علمي ـ الى المطبعة حتى الآن .

والموضوع يتعلق بأسرة (العفنان) في منطقة حائل :

وأسرة العفنان تميمية النسب من المفيد ، وموطنها الأصلي (السَّبعان) جنوب شرق حائل وفروعها أربعة وهم الدواس والسعد والحسن والحمود .

وقد استوطن المفيد السبعان قبل حوالي مائتين وخمسين سنة جاؤوها من (قفار) وسبب خروجهم من قفار هو ما حدث بينهم وبين بني عمهم (العيادات) من نزاع على أن المفيد لم يتجهوا الى السبعان في بداية أمرهم بل اتجهوا بعد خروجهم من قفار الى قرية (الحفير) شمال حائل واستوطنوها ولكن ما حدث بينهم وبين بدو تلك المنطقة من خصومة اضطرهم الى مغادرة الحفير والعودة الى قفار ، ثم الخروج الى السبعان ويُذكر أنه بسبب الحيلة استطاع البدو أن يضطروا المفيد الى ترك الحفير بعد أن كان المفيد هم أصحاب الشوكة ويدل على ذلك قول شاعرهم :

لي غـــرســـة جـــبّـــارة الماء تحتها يجري
تـــــذبّح بها (. . .) يــــا جويهل مــــا تــــدري

وقد استطاع أمير مناوئي للمفيد أن يخدعهم بعمل وليمة لهم خارج الحفير وأن يوعز الى من يعقبهم على مساكنهم وبذلك تمت الخدعة وكذلك فإنّ استيطان المفيد في السبعان لم يتم إلا بعد منازعة مع أهل تلك الناحية ولكنها انتهت بتغلب المفيد وبذلك يقول شاعرهم يذكر انكسار خصومهم وتركهم السبعان لهم :

تَر مكرمين الضيف يوم الدهورا قَفّوا عن الدار المعفاة عيّاف

وقد ورد في قصيدة لابن رشيد :

وبغربي سَلْمى للمفيدات مشهاة كِلّ يحَدِّرْ مرزقه من وعرها

وهو بهذا يشير إلى ما ذكرناه من استيطان المفيد للسبعان في غربي جبل سَلْمى ولسنا بحاجة إلى أن نذكر كل ما ورد في هذا المعنى من أشعار ونكتفي بإيراد مقتطفات من بعض القصائد التي لها علاقة بما نحن بصدده من الحديث عن الأسرة يقول شاعر سلمى فرج بن خربوش الأسلمي الشمري في رثاء دوّاس بن عفنان الذي كان أميراً للسبعان :

دوّاس لو أنه بعيد نصيناه ناتيه فوق اللي تكبّ الشداد

ويقول فيها :

مـارَ البَلا حَطّوه عند المقباه بأيمن بطين الضّلع عند المراد

ويقول :

ولا نصلح الديرة وأهلها بليّاه   يوم افخته دوّاس ما هي جواد
لا والله إلاّ راح ما به مراواه   حَزم تزحزح زلّ عن سيل وادي

ويقول فيها أيضاً :

والحر حر تنثر الرّيش يمناه   والتبع يفلس من عمود الجراد

وهي قصيدة طويلة ، وللشاعر المذكور قصيدة أخرى منها :

جينا عليهن يابو غالب مسانيْد   نبي نْسَلّم وأكثره لِك مَودّه
دّواس مات ولا بْسَلمى مقاعيد   وأبيك فِرجة شايب لي تسدّه

وأبو غالب هو تركي بن ربيعان راعي المستجدة .

ويقول مناور بن غمر من الجحيش من شمّر :

عيّوا على الدّيرة عيال ابن عفنان   واللّي نَهج عن ديرته للذّلاف

وتقول شاعرة :

يسقي ديّار مْبَهرة كل فنجال   عيال المفيد مشيّمين القصيرة

وقبل أن اختتم حديثي أود أن انبه إلى أن المفيد في السبعان ليسوا هم العفنان فقط بل إن العفنان فرع من المزيد الذين هم أحد فروع المفيد في السبعان فالمزيد الذين منهم علي المزيد القائل :

يا راكب اللي كما الهيج لا نْقاد   مرسول من علي المفيدات لنعيس

ينقسمون الى العفنان والصعب والعمر (العبد العزيز) وفرع صغير يحمل اسم المزيد .

أما بقية فروع المفيد في السبعان فهم البراهيم والسليمان والشايع والغرابا والفيصل والسلاطين والحنيش وكل فرع ينقسم الى فروع صغيرة . وبهذا القدر أكتفي ، وربما يكون لي عودة أخرى ..

عبد الرحمن العفنان

«العرب» : حبّذا لو أن ما كتبه الأخ عن أسرة (آل عفنان) وصل قبل صدور القسم الثاني من كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» الذي طبع منذ سنة ، ولكنه لم يصل من مصر إلى الآن ، ومع ذلك فقد ورد في ذلك القسم (ص ٦٠٤) : العفنان في السبعان ، ومنهم الدّوّاس والسعد والحسن والحمود ، من آل مفيد من بني عمرو ، من تميم .

وتفصيل ما يتعلق بالأسر من أخبار غير مُدوّنة في المؤلفات المعروفة — خارج عن موضوع الكتاب ، وللأخ الشاعر عبدالله بن علي بن صقيه كتاب «بنو تميم في بلاد الجبلين» فصل كثيراً من أخبار الأسر التميمية والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

حول كتاب «معجم قبائل المملكة»

قبيلة قحطان

اطلعت على كتاب «معجم قبائل المملكة» بجزئيه الأول والثاني وانني معجب حقاً بما بذله الشيخ حمد الجاسر من جهود في سبيل جمع تلك المعلومات التي احتواها الكتاب المذكور .

انه حقاً عمل جليل وجهد مشكور تحمل ولا شك في سبيل جمعه واظهاره الى حيز الوجود كثيراً من العمل والصبر .. فشكراً على هذا الجهد .

وامتثالاً لإشارة شيخنا الكريم في خاتمة كتابه التي قال فيها :

«أرجو من المعنيين بموضوع هذا الكتاب أن تكون نظراتهم اليه نظرات نقد وتصحيح لا نظرات إغضاء وستر لعيوبه» ..

ورغبة المؤلف في اخراج طبعة جديدة مصححه يتلافى فيها ما حصل من نقص في بعض المعلومات والأخطاء غير المقصودة التي وردت في هذه الطبعة التي بين أيدينا الآن . فانه يسرني أن أتناول بشيء من التفصيل والتقويم جزءاً من هذا الكتاب هو ما

يتعلق بقبيلة (قحطان) من أكبر قبائل المملكة الآن إن لم تكن أكبرها على الإطلاق .

هذه القبيلة التي ينتسب إليها كثير من قبائل المملكة وبعض القبائل العربية الأخرى والتي تعرف الآن بأسماء تختلف عن اسم القبيلة الأمّ .

والحقيقة انني أسفت كثيراً ان المعلومات التي وردت في الكتاب عن هذه القبيلة لا تتجاوز صفحة من صفحات الكتاب وجزءاً من صفحة أخرى هما ص ٦٤٥ ، ص ٦٤٦ من حرف القاف ورغم ذلك نجد أن ما ورد من معلومات على ايجازها الشديد ناقصة أو مشوهة ، ونفس الشيء بالنسبة للفروع الأخرى من هذه القبيلة التي ورد لها ذكر في الكتاب .

ولعل السبب في ذلك يكن فيا اعتمد عليه المؤلف من مصادر وروايات .. فقد لاحظت من مصادر الكتاب قائمة بأسماء بعض الأشخاص المتعاونين مع صاحب الكتاب لم أر من بينهم واحداً ينتسب الى هذه القبيلة (قحطان) .

مع أنه من الأولى أن يطلب المؤلف المساعدة من واحد أو أكثر من هذه القبيلة لأنه كما يقال : (أهل مكة أعرف بشعابها) ، والناس مأمونون على أنسابهم .

وها أنا أقدم سرداً مفصلاً لقبائل قحطان المعروفة الآن في المملكة العربية السعودية ، راجياً نشره في مجلة العرب تمهيداً لأخذه في الاعتبار عند اعادة طبع الكتاب الكبير «معجم قبائل المملكة» .

قبيلة قحطان الكبرى :

سأقصر حديثي على ما يتعلق بهذه القبيلة قحطان المعروفة في عصرنا الحاضر في المملكة ، ولا مانع من الإشارة إلى بعض القبائل القحطانية في الأقطار العربية المجاورة ..

وأسماء البطون والفروع منها التي سأشير إليها في هذا البحث هي الأسماء المعترف بها والمتعارف عليها في وقتنا الراهن ، بصرف النظر عن الأنساب القديمة مما يحتاج إلى بحث طويل ومتشعب ، والى عدد كبير من المصادر .

وانني في نهجي هذا أسير على طريقة كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي أكتفي بإيراد المعلومات اللازمة عن قبائل المملكة المعروفة الآن.

تنقسم قبيلة قحطان الى عدد من البطون منها ثلاثة بطون كبيرة جداً هي :

١ — عَبيدة.

٢ — الجحادر.

٣ — الحباب. وغيرها قبائل أخرى متفرقة مثل رفيدة، سنحان، بنو بشر، ووادعة.

وهذه القبائل الأربع التي تسكن سروات الحجاز وبعض أغوار تهامة وليس لديّ إحاطة تامة بتفاصيل فروعها وأفخاذها، وسأكتفي بذكر كل قبيلة من هذه القبائل مع الإشارة إلى منازلها بالتقريب لا بالتحديد.

أولاً : قبيلة عبيدة :

وتنتسب إلى جَنب بن سعد وقيل إنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى أمّهم (عَبيدة بنت المهلهل)، ولكن صحة هذه الرواية غير مؤكدة.

وتنقسم قبيلة عبيدة إلى ثلاثة أقسام هم : حارث. صقر. جنب.

أ) حارث، أي (ولد الحارث) وهم كالآتي :

١ — بنو شداد ومنهم : القُهَر، آل مهدي، العرجان، ومواطنهم المضّة، والصّبيخة، والبعض منهم يسكن وادي بيشة.

٢ — الوَهّابة : وهم المساردة ويسكنون وادي جاش، وبعض الأودية المجاورة كوادي الثّفن، ووادي الرسين، وفي قمة المساردة.

آل محاصل — آل مهروي — آل سلمان، وهذه القبائل الثلاث لا زالت تسكن موطنها الأصلي وادي الوهابة بسراة عَبيدة، وهم حتى الآن يعرفون بالوهابة.

٣ — الحرقان : وهم آل سليمان وآل سلمان ويسكنون العرين، وعرقة، وخبت آل سلمان.

٤ ـــ بنو طَلْق : وهم المنادية ، زهير ، آل علي (إعْلي) ويسكنون سراة عَبيدة وهجرة زهير .

٥ ـــ آل زيدان : ويسكنون ضواحي بلدة الصُّبيخة ، بادية رحل .
٦ ـــ آل معمَّر : يسكنون المضَّة وضواحيها وفي جوف آل مُعَمَّر بسراة عبيدة .
٧ ـــ حمالة : (احمالة) ويسكن معظمهم في قرى نجد وقليل منهم بالجنوب .

ب) آل الصقر :

وهم :
١ ـــ آل عائذ : وهذه القبيلة متفرقة المنازل منهم جزء يسكن سراة عبيدة ، ويعرفون بآل عائض بدلاً من عائذ ، وبعض منهم يستوطنون الصبيخة ، وما جاورها ، ومنهم أُسَرٌ نزحوا منذ القدم إلى نجد ، والمنطقة الشرقية مثل آل ناصر بالاحساء وآل معيذر وآل عضيصان بالخرج ، وكذا آل عواد وآل بكر وآل شهيل وغيرهم .
٢ ـــ آل بِنهار : ويسكنون طَريب والعرين .
٣ ـــ آل الجرو : ويستوطنون غضاة آل الجرو قرب طَريب ، وبعض منهم مستوطنون في قرى نجد .
٤ ـــ المجرابيع .
٥ ـــ آل قريش .
٦ ـــ آل الجلدة .
٧ ـــ العبس .
٨ ـــ آل عابس (آل بسام) ، وجميعهم يسكنون وادي طريب وسراة عَبيدة ، وما حولها من الأودية والقرى .

جـ) جنب :

ومنهم :
١ ـــ شُرَيف .
٢ ـــ آل سريع .

٣ ـــ آل حيّان ومساكنهم ظَهْران الجنوب وحرجة ابن دُلَيم وفي المنحدرات القريبة من تهامة .

٤ ـــ قبيلة بنو هاجر وهي القبيلة المعروفة في المنطقة الشرقية وبلاد قطر .

هذه هي قبيلة عبيدة المعروفة الآن في المملكة العربية السعودية .

أما في اليمن الشمالي فهناك وادٍ كبير يسمى الآن بوادي عَبيدة ، وهو المعروف تاريخياً وجغرافياً بوادي سبأ ، وجميع سكانه من قبائل عَبيدة .

وأحِبُّ التنويه في تعريفي هذا انه قد ورد في «معجم قبائل المملكة» الذي نحن بصدده اسم قبيلة (عبده) ومنسوب لهذا الاسم معظم فروع وأفخاذ عَبيدة (ص ٥٠٣ من حرف العين) مع العلم أنه لا يوجد في جنوب المملكة قبيلة بهذا الاسم .. وقد ورد اسم عبيدة الى جانب عَبْدَة في ص ٥٠٨ من نفس المعجم مكرر فيها اسماء الفخوذ التي ورد ذكرها من قبيلة عَبْدَة المزعومة .

وأحب التأكيد انه لا يوجد قبيلة بهذا الاسم أي عبده ـــ سوى قبيلة عَبْده من شَمَّر ، في شمال المملكة ، وهذه القبيلة جزء من ذلك الأصل أي إنها (عبيدية) الاصل من قحطان .. ومنها أسرة آل رشيد التي كانت لها إمارة في حائل منذ أكثر من قرن وقضى عليها الملك عبد العزيز أثناء توحيد المملكة العربية السعودية .

ثانياً : قبيلة الجحادر :

وقد درج على ألسنة العامة أنهم آل الجمل وآل محمد بينما هم آل سليمان وآل الجمل وهما فرعان كبيران لقبيلة الجحادر ، وهذان الفرعان يتفرعان الى فروع :

أ ـــ آل سليمان :

وينقسمون الى فرعين أيضاً هم :

١ ـــ آل محمد .   ٢ ـــ آل عاصم

آل محمد هم : آل سعد وآل روق .. ويقال لهم آل البيطن

آل محمود وآل سلطان .. ويقال لهم آل دهيم

آل محمود هم : ١ — الشُّحمة . ٢ — الخنافر

آل سلطان هم : ١ — آل عاطف . ٢ — المشاعلة .

ب — آل الجمل :

وهم : ١ — آل مسعود . ٢ — آل سويدان ٣ — آل شبوة . ٤ — آل عليان . ٥ — العجارشة . ٦ — آل مريتع . ٧ — آل عياف .

وبلاد الجحادر هي : تثليث الأمواه ، وعَين قحطان ، وما حولها من الهجر والبوادي والفلوات ، ومنهم من يسكن قرى نجد كالزّين بعالية نجد والهياثم بالخرج وصبحاء ، ولجعه وخلافها .

ثالثاً : الحباب : وواحدهم حبابي وينقسمون الى فرعين كبيرين هما :

آل مسلم .والموجة

أ) آل مسلم : ومنهم : ١ — الرشدة الذين هم آل جبران وآل الشريف .

٢ — آل جميل وهم آل حميدان وآل زيد ومن آل زيد : آل العبد — الزهرة وهم : آل جميح ، آل ناصر ، آل ملحان ، آل حسناء .

ب — الموجة :

ومنهم : ١ — آل زربة . ٢ — آل غراب . ٣ — آل الجابر .

وتنقسم قبيلة آل زربة الى أفخاذ : آل شنان ، آل حثيث ، آل سالم ، آل الكحلا وآل مالك .

وبلاد قبائل الحباب ومساكنهم هي الأمواه وظهران الجنوب ، وقرية ملحة ، وقرية راحة ، وما جاور هذه البلدان من قرى وفلوات . وهذه القبيلة تجاور قبيلة (يام) في الشمال الغربي .

رابعاً : قبائل قحطان أهل سروات الجنوب وأغوار تهامة :

ومنهم : ١) رفيدة وهي قبيلة كبيرة لها فروع وقرى عديدة ، ومركزها الرئيسي أحدُ رفيدة الواقع بين خميس مشيط وسروات عَبيدة .

٢ ــ بنو بشر : يجتمعون في جنب عبيدة في سعد ، أي جنب بن سعد وبشر بن سعد وتسكن هذه القبيلة في المنطقة ما بين أحَد رُفيدة وسراة عَبيدة ، في الجهة القبلية من الطريق العام ومن قراهم العسران . وآل الخلف . وزهرة .

٣ ــ سنحان وهم سراة وتهامه ويسكن بعض منهم في السروات في قرى راحة وسروم ، والجوة ، والفرشة ، والبعض الآخر في المنحدرات إلى تهامة ويتبعون إدارياً ظهران الجنوب والحرجه .

٤ ــ وادعة : وهي قبيلة كبيرة توالى الحدود اليمنية وفي ظهران الجنوب والمناطق المجاورة ويقال إنها قحطانية بالحلف مع الشيخ ابن دُليم .

واني اعترف بعجزي عن تعداد فروع هذه القبائل الأربع وفخوذها لعدم معرفتي التامة إلا أنني سأحاول الاتصال بتلك المنطقة للحصول على المعلومات اللازمة تمهيداً لاعداد بحث مستقل عن القبائل المذكورة ان شاء الله .

اعداد فراج بن شافي بن ملحم
بالتعاون مع الشيخ عبد المحسن بن شافي بن ملحم
وادي (جاش)

(العرب) : شكراً للأخوين الكريمين على ما أوضحاه عن قبيلتهما ، وليت كل عارف بأحوال قبيلته فروعاً ومساكن أن يتفضّل بتصحيح ما في كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» من أخطاء حتى يتيسّر إصلاحها عند إعادة طبع الكتاب .

أما ما أشار إليه الأخ الحبيب فراج بن شافي من أنه كان من الأولى الاستعانة بواحد من قبيلة قحطان . فقد كنت أنشر في مجلة العرب منذ زمن طويل أطلب ممن لديه مقدرة على إمدادي بمعلومات تتعلق بالأنساب ، وقد نشرت كثيراً مما وصل إليّ ولم أتلق من أحد من الاخوة شيئاً إلا نشرته ثم بعد ذلك استعنت به عندما ألّفت الكتاب . فعلى من يقع العتاب ؟ على كل حال للأخ فراج الشكر ومنه ينتظر التفصيل ، عما أجمل .

ملاحظات حول :

جمهرة
أنساب بعض الأسر المتحضرة في نجد

[صدر حديثاً عن (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» في مجلدين صفحاتها (٩٩٢) ويسر مجلة «العرب» أن تتلقى ملاحظات القراء حول هذا الكتاب ، وسيكون لتلك الملاحظات من اهتمام مؤلف الكتاب وعنايته ما يجعلها المكانة الجديرة بها عند إعادة طبعه] .

الرعُولة :

ورد هذا الاسم (ص ١٦٥) في الكلام على نسب (الحُقَيل) وقد قال لي الشيخ حمد الحقيل : إن صواب الاسم (الرولة) وأن كلمة (الرعولة) خطأ وقع أولاً في كتاب «علماء نجد» للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام (ص ٦٨٠) ونصه : (آل حُقَيل فخذ من آل رعوله من آل لقمان) وكنت رأيت الشيخ حمداً ذكر في كتاب «كنز الأنساب» ص ٦٣ طبعة سنة ١٤٠٠ أنَّ آل عولة في المجمعة من عنزة . فظننت أن تكون (الرعولة) تحريف كلمة (آل عولة) ولكن الشيخ نفى هذا .

آل سُلَيْمان :

جاء (ص ٤٠٨) : آل سليمان في المجمعة ، من آل جُبَير ، من العُرَينات من سُبَيع .

وقد اتصل بي الشيخ النسَّابة الأديب الشيخ حمد الحُقَيل ، في القاهرة ، بالهاتف صباح السبت ١٤٠١/١٢/١٢ هـ وقال لي : إنَّهم ليسوا من سبيع ، بل من هُذَيل ، ومنهم الواعظ المعروف الشيخ عثمان بن سليمان ـ انتهى .

ولقد ذكرت في الكتاب (ص ١٠٤) أن آل جُبير من هُذيل ، وكررت هذا (ص ٩٥٦) في الكلام على هُذيل .

أما الشيخ عثمان بن سليمان فكان ينبغي ذكره لأن له رحمه الله مواقف مع الإخوان في أول أمرهم في هجرة الارطاوية ، وله ذكر في وقعة (الجهرا) . ←

[لا تتحدث « العرب » إلاّ عما يصل إليها من المؤلفات الحديثة ، مع حرصها على ذكر ما ينشر من كتب التراث وتقديمها على غيرها] .

☐ — كتاب التنبيه والإيضاح :

تَعقَّب العالم اللُّغويُّ عبدالله بن برِّي — المتوفى سنة ٥٨٢ هـ كتاب « الصحاح » للجوهري ، فأوضح بعض أوهامه ، فَعُنِي صاحب « لسان العرب » بما كتب في الموضوع ، وأورده في ثنايا كتابه الواسع .

ويظهر أن أحد العلماء جمع ما كتب ابنُ برِّي في كتاب عُرِف باسم « التنبيه والإيضاح عمَّا وقع في الصحاح » .

وقد قام (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بطبع هذا الكتاب .

فصدر الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ مصطفى حجازي مدير قسم المعجمات وإحياء التراث ، في المجمع ، وهذا الجزء يحوي تَعقُّب كتاب « الصحاح » من أوله إلى آخر حرف الخاء ،

وتحدث عنه الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتاب « تاريخ الكويت » حين تولّى مفاوضة الكويتيين عن الإخوان حديثاً فيه غلظة .

والله يسبغ رحمته على الجميع .

آل عُبيْد :

بعد ذكر نسبة آل عُبيد (ص ٥٥٨) الذين من آل أبي ربّاع من وائل ، ورد في الكتاب ترجمة الشيخ عبدالله بن سليمان بن محمد بن عُبيْد قاضي سُدَير سنة ١٢٤١ وترجمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد إمام مسجد جلاجل سنة ١٢٨١ .

وقد ذكر لي الشيخ النسابة حمد الحُقَيل انه لا صلة للشيخين بآل عُبيْد الوائليين .

ثم صدر الجزء الثاني يحوي من حرف الدال إلى آخر حرف الشين.

وقد جاء في آخره: (هذا ما وجدنا من كتاب «التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح» مما أملاه الشيخ العلامة أبو محمد عبدالله بن برّي رحمه الله).

وقد حقق هذا الجزء الأستاذ عبد العليم الطحاويّ، الخبير بمجمع اللغة العربية، وراجعه الأستاذ عبد السلام هارون من أعضاء المجمع.

وصدر هذا الجزء في عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) مطبوعاً بمطبعة دار الكتب بمصر ٣٤٤ — من القطع الكبير.

□ — ورقات عن الحضارة المغربية:

الأستاذ الجليل محمد المنوني من خير من عرفت من علماء المغرب سَمتاً، وسعة عِلم، وتواضعاً، وانصرافاً للبحث والدراسة. وله أبحاث كثيرة، ومؤلفات منشورة ومن مؤلفاته التي صدرت حديثاً كتاب «ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين».

وبنو مَرِيْن قامت دولتهم في المغرب سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) واستمرّت إلى سنة ٨٦٩هـ (١٤٦٣م) وكانت مدينة فاس قاعدة ملكهم.

وقد استقصى المؤلف الكريم دراسة الموضوع، فأوفاه بَحثاً وإيضاحاً في هذا الكتاب الذي حوى من الصفحات (٣٧٦) التي ستتضاعف لو طبع الكتاب بحروف كبيرة، كالكتب التي تطبع في البلاد الشرقية.

وهو من منشورات (كلية الآداب والعلوم الانسانية) في الرباط — مطبوعاً بمطابع أطلس — بدون ذكر تاريخ الطبع وقد أفضل المؤلف الكريم بإهداء نسخة منه لصاحب «العرب».

□ — العفو والاعتذار:

ومن كتب الأدب التي نشرت حديثاً كتاب «العفو والاعتذار» تأليف محمد بن عمران العبدي الرَّقّام العبدي البصريّ، من علماء اللغة والرواية، من أصحاب محمد

بن دريد من أهل القرن الرابع الهجري .

وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، عمد المؤلف الى كثير من الأخبار والأشعار القديمة فاتخذ منها مادة كتابه ، فهو لهذا — ولقدم عهد المؤلف — يعتبر مصدراً من مصادر كتب الأدب والتاريخ القديمة ، وفيه تفاصيل وتوسُّعٌ في إيراد بعض النصوص ، قد لا توجد في غيره .

وقد تولّى تحقيق الكتاب الأستاذ الجليل الدكتور عبد القدوس أبو صالح — الذي عانَى العمل أوّل معاناة في تحقيق «ديوان ذي الرّمة بشرح الباهلي» فبرز من أثره في التحقيق ما عُهِد عنه من دقّةٍ وسعة اطلاع .

وصَدّر الكتاب بمقدمة ضافية عن المؤلف وعن موضوع كتابه ووصف مخطوطته الوحيدة التي اتخذها أصلاً للعمل ، وختمه بفهارس مفصلة — فجاء الكتاب بجُزءٍ في ٧٠٦ صفحات ، وقام بنشر الكتاب (المجلس العلمي) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) فكان الحلقة الثالثة والعشرين من سلسلة منشوراته بطباعة حسنة في مطابع تلك الجامعة وقد صدر في العام الماضي (١٤٠١هـ) .

☐ — قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية :

وصدرت الطبعة الثانية من كتاب «قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية» تأليفَ الباحث المحقق الأستاذ روكس بن زائد العُزيزي ، وهذه الطبعة منقّحة جاءت في ثلاثة أجزاء بطباعة حسنة .

وهذا الكتاب يفيد المعنيين بدراسة الأحوال الاجتماعية لأن العادات والتقاليد واللهجات عند سكان الأردن لا تختلف كثيراً عما عليه أهل بلادنا فأولئك السكان انتقلوا من هذه البلاد .

ولا يفي تعريف موجز بقدر هذا المؤلف الحافل ، الذي آمل أن أتحدّث عنه حديث المستفيد منه ، المقدر لفضل مؤلفه الأستاذ الكريم .

[ضاق هذا الجزء عن التحدث عن جميع الكتب التي أهديت للمجلة ، فمعذرة وإلى الأجزاء الأخرى] .